وزارة المجاهدين

المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

الرؤية

مجلة دورية تعنى بالثقافة والمعرفة التاريخية

تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

- رموز مجهولة من زعماء المقاومة الشعبية
- الإستراتيجية الدفاعية الفرنسية ومكانة الجزائر فيها
- الحركة الوطنية الجزائرية

السنة الأولى/ العدد الثاني

ماي/ جوان 96

وزارة المجاهدين

المركز الوطني للدراسات
و البحث في الحركة الوطنية
وثورة أول نوفمبر 1954

الـــــــــــــر ؤ يـــــــــــــة

مجلة دورية تعنى بالثقافة التاريخية تصدر عن المركز الوطني
للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول
نوفمبر 1954

المدير المسؤول: السيد **علوي محمد لخضر**
تنسيق التحرير: **عبد المجيد شيخي**
كاتبة التحرير: **علال ليندة**

أسرة التحرير
الدكتور: **العربي الزبيري**
الأستاذ: **الغالي غربي**
الأستاذ: **كواتي مسعود**
الأستاذ: **تلمساني بن يوسف**

العنوان: 63، نهج إنتصار 23 نوفمبر 1836
الأبيار (الجزائر العاصمة)
الهاتف: 24 23 92 (02) الفاكس: 73 43 78 (02)

نشر و طباعة : مطابع الجزائر - **Presses d'Alger** -

الرؤية

فهرس

كلمة العدد

نشطات المركز 9

آراء و إسهامات

- أهمية التاريخ و الجغرافية في البرامج التعليمية الفرنسية في الجزائر 17
(الأستاذ عبد القادر حلوش - جامعة وهران -)
- أطماع فرنسا في الأغواط (الأستاذ إبراهيم مياسي - معهد التاريخ 25
جامعة وهران -)
- رموز مجهولة من زعماء المقاومة الشعبية (الأستاذ بوضرساية بوعزة 50
مدير معهد التاريخ جامعة الجزائر)
- الإستراتجية الدفاعية الفرنسية و مكانة الجزائر فيها (الأستاذ عبد المجيد 60
شيخي)
- الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة النضج (الدكتور محمد العربي الزبيري) 74
- دور جمعية المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية مابين 1931-1952 114
(الأستاذ أحمد مريوش - جامعة الجزائر -)
- إستدراك 147

إصدارات

- 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية 151
(الأستاذ عامر رخيلة)
- مجلة الدراسات التاريخية في عددها التاسع (الأستاذ مسعود كواتي) 158

– عرض ملخص للعدد الثالث من مجلة الدسره (الاستاذة طرشون نادية) 163

بطاقات

– فاطمة نسومر 1830 – 1863 (إعداد المركز) 171
– الشيخ الطيب العقبي 1888 – 1960 (إعداد المركز) 173
– معركة أسطاوالى 19 جوان 1830 (إعداد المركز) 175
– معتقل قصر الطير (إعداد المركز) 177

قراءات قانونية

– قراءات قانونية (الأستاذ عبد المجيد شيخي) 181
– ملحق (فاتح نوفمبر 1954 الأمانة الوطنية) 193
– قراءات قانونية للملتقى الوطني الثاني لتدريس التاريخ الوطني بين وزارتي المجاهدين والتربية الوطنية 198
– قراءات قانونية لبروتوكول إتفاق بين وزارتي المجاهدين التعليم العالي و البحث العلمي 203

كلمة العدد

ظهر العدد الأول من "الرؤية"، وتناوله القراء واستقبلوه كما يستقبل كل مولود جديد، وقد كانت "الرؤية" حددت لنفسها مهمة تتمثل في:

1 - دفع الدراسات التاريخية إلى المنهج العلمي للوصول إلى ثقافة تاريخية أصيلة اعتمادا على الأقلام الوطنية التي تعمل في سياق الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر والروح التي بثتها في المجتمع.

2 - أن تساهم بالقدر الممكن في بلورة جيل من الباحثين يكونون "مدرسة وطنية لكتابة التاريخ الجزائري"، اقتناعا منها بأن تاريخنا لا تكتبه سوى أقلام جزائرية متشبعة بالروح الوطنية ومعتمدة أحدث أساليب البحث التاريخي.

وخدمة لهذا الهدف النبيل فإن "الرؤية" تفتح صفحاتها لكل المساهمات النظرية أو الميدانية التي يمكن أن تفسح مجالات المناقشة وسيكون لذلك ولا شك الأثر الخلاق الذي نطمح إليه قبل كل شيء: إعادة إدراج التاريخ ضمن الإهتمامات الإجتماعية، وجلب الشباب نحو هذه المادة التي يدير لها ظهره الآن، لأن تناول التاريخ كان في أغلب الأحيان يتم بسطحية مرعبة.

إن الجهود التي يبذلها الباحثون وقد وضعوا صوب أعينهم المصلحة العليا للوطن، وكذلك الأمانة العلمية في تناول الوقائع التاريخية تناول الباحث لا تناول الخطيب السياسي الذي يجند ويحمس، إن هذه الجهود وحدها كفيلة بإعطاء المعرفة التاريخية بعدها الإجتماعي الدافع إلى نهضة ثقافية حقيقية وأصيلة نهضة لا تضرب بالماضي عرض الحائط بل تتخذه مطية لبناء المستقبل، وهذا هو أساسا دور التاريخ، لأن المعرفة التاريخية ليست ذات أهمية إذا لم تكن لتحديد معالم طريق الأمة فيصبح الشعلة التي تنير الطريق نحو المستقبل.

إن تاريخ بلادنا لا زال مادة خام من جميع الجوانب، فهو قابل للبناء من جديد على أسس سليمة ليس فيها للأجنبي دخل إلا بما شارك فيه من أحداث فالتقينا معه في حقبة من حقبات زمننا التاريخي، أما ماعدا ذلك فأبناء الوطن قادرون على إعادة البناء وتشييد صرح شامخ للمعرفة.

والله ولي التوفيق

الرؤية

نشاطات المركز

نشطات المركز

عرف المركز الوطني للدراسات والبحث فى الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 نشاطا مكثفا فى مجالات مختلفة تتعلق :

– بالنشاط العادي للمركز واستكمال هياكله التنظيمية .

– بالمساهمة فى نشر المعرفة التاريخية فى النطاق المتخصص والعام.

أولا: النشاط العادي : ويتمثل فى تنصيب المجلس العلمي للمركز، (أنظر قائمة الأسماء على الصفحة 13 ، واجتماعات هذا المجلس لتحديد مجالات عمل وبرامج البحث.وهكذا أشرف السيد وزير المجاهدين يوم 1996/3/11 على تنصيب المجلس العلمي للمركز الوطني للدراسات والبحث فى الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 والمتكون من 13 عضوا من بينهم اساتذة جامعيون فى اختصاصات متنوعة وكذلك شخصيات علمية ووطنية. وحضر حفل التنصيب مديرون مركزيون بوزارة المجاهدين وكذلك مدير وأعضاء من المجلس العلمي لمتحف الجهاد لما لهذه المؤسسة من صلة وثيقة بمهام المركز.

وفى الكلمة التى ألقاها السيد وزير المجاهدين بهذه المناسبة ذكر بالظروف التى أنشيء فيها المركز والعمل الجبار المنتظر منه. كما حدد للمركز الدور التالي :

– ضرورة إخراج البحث التاريخي من الوضعية المزرية التى يوجد فيها وذلك باعتماد المناهج العلمية والمناهج العلمية وحدها .

– ضرورة ايصال المعرفة التاريخية الموضوعية الى الجمهور الواسع، مع التركيز على مساعدة الباحثين فى التاريخ بالنسبة للمرحلة التى يغطيها المركز، ووضع الوسائل اللازمة فى متناولهم.

– ضرورة البحث عن الوثيقة بجميع أنواعها وجمعها ووضعها فى متناول الباحثين، مع ضرورة التنسيق مع المؤسسات العمومية التى تعنى هي الاخرى بهذا الموضوع.

وفى اليوم التالي اجتمع المجلس العلمي فى جلسته العادية الاولى، ووضع جدول اعماله على النحو التالي :

– تكليف لجنة مصغرة لإعداد نظام داخلي للمجلس.

– وضع الخطوط العامة لبرامج البحث العلمي التى سيتولى المركز إنجازها.

وعلى هـذا الاساس عقد المجلس اجتماعين استثنائيين ايام 96/4/8 و 96/5/15 لمواصلة بحث النقاط المذكورة والمصادقة على النظام الداخلي و كذلك تحديد عدد وحدات البحث والمواضيع العامة التى تكلف بها كل واحدة منها، على ان يتم وضع البرامج المفصلة لكل وحدة. كما تمت المصادقة المبدئية على الخطوط العامة لأرضية العمل الثقافي والتاريخي العام للمركز، على أن تقدم هذه الارضية فى الدورة المقبلة للمجلس. وأخيرا صادق المجلس العلمي على محتوى النشرية فى عددها الثاني هذا مع التوصية بتسميتها "*مجلة*" بدلا من "*نشرية*".

وكان السيد محمد الأخضر علوي، مدير المركز قد قدم عرضا عن مهام المجلس العلمي خاصة دوره في وضع التصورات الأولية لبرنامج عمل وحدات البحث، كما طلب من الحاضرين إبداء الرأي وإثراء مشروع أرضية العمل في مجال التراث التاريخي والثقافي للفترة 1830 – 1962 المقترح من طرف وزارة المجاهدين وكذا برنامج الملتقيات التي كلف المركز بالمساهمة في إعدادها تحت إشراف وزارة المجاهدين.

إلى جانب ذلك إنعقدت يوم 1996/4/9 جلسة عمل مشتركة بين المجلس العلمي للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 والمجلس العلمي للمتحف الوطني للمجاهد، أشرف عليها السيد وزير المجاهدين الذي استعرض مهام وزارة المجاهدين في الميدان الثقافي

والتاريخي مشيرا إلى بعض ما تم تحقيقه في هذا الميدان وما ينوى تحقيقه في المستقبل حسب برنامج محدد تمت المصادقة عليه من طرف المجلس الوطني الإنتقالي بعد مناقشته والمصادقة عليه بكل من مجلس الحكومة ومجلس الوزراء وأصبح هذا البرنامج، كما قال جزءا من برنامج الحكومة ككل والواجب تطبيقه سواء بالنسبة لجمع المادة التاريخية بصفة عامة بمختلف الطرق والكيفيات الممكنة من ملتقيات وندوات وجمع وتصنيف وترتيب للوثيقة والبحث عنها وجلبها من داخل الوطن أو من خارجه، وكذا بالنسبة للحفاظ على ما تم إنجازه في هذا الإطار واستكمال ما تبقى منه، من بناء وترميم وتصميم لمعالم أثرية لكل موضع لحدث هام، والحفاظ عليه، وترميم وصيانة مقابر الشهداء ووضع خرائط لمدننا وإبراز تسمية شوارعها وساحاتها العمومية ومؤسساتها التربوية والثقافية والصحية والرياضية بأسماء لأبطال ثورتنا، مع توحيد النمط والشكل بصورة تحفظ لهؤلاء الشهداء ما يستحقونه من كرامة وأجلال وتبرز ماتوليه الدولة من أهمية لتدوين تاريخا بصفة عامة.

ثانيا : النشاطات العامة للمركز

كان هذا الجانب من نشاطات المركز حافلا ومكثفا إذ تضمن ما يلي :

1 - وقفة بمناسبة ذكرى اجراء التجارب النووية فى الصحراء إذ انتقل يوم 1996/2/13 بعض الباحثين من المركز الى منطقة " **رقان** " (ولاية أدرار) رفقة السيد وزير المجاهدين ووقفوا على الاثار الباقية لمنشآت العدو فى المكان الذى فجرت فيه أول قنبلة ذرية فرنسية يوم 1960/2/13.

2 - تنظيم يوم دراسي فى المركز ولنفس المناسبة يوم 1996/2/15، وقد اشتمل البرنامج على :

- عرض اشرطة وثائقية علمية حول الطاقة النووية.
- عرض افلام وثائقية عن تجربة رقان.

– محاضرة للأستاذ عبد المجيد شيخي حول " الاستراتيجية الدفاعية الفرنسية ومكان الجزائر فيها ".

– محاضرة للأستاذ منصوري عمار (مختص في الهندسة النووية) حول الطاقة النووية بين مخاطرها واستعمالاتها السلمية.

3 – بمناسبة ذكرى مظاهرات ورقلة في 1962/2/27 والتي قامت فيها الجماهير الشعبية ضد سياسة فصل الصحراء عن الجزائر شارك المركز في احياء هذه الذكرى بمحاضرة ألقاها الأستاذ عبد المجيد شيخي في ورقلة يوم 1996/2/27.

4 – إحياء للذكرى الخامسة والثلاثين لعيد النصر (19 مارس 1962) نظم المركز يوما دراسيا تحت الاشراف السامي للسيد وزير المجاهدين وذلك يوم 1996/3/17 وتضمن البرنامج :

– معرض صور عن مفاوضات " **إفيان** "

– محاضرات حول " **إتفاقيات إفيان** "

– عرض بطاقات عن بعض الكتب الصادرة في هذا الشأن.

5 – نظم المركز بمشاركة مجلسا الولايتين التاريخيتين الخامسة والسادسة الملتقى الوطني الاول حول سياسة فصل الصحراء عن الجزائر، وذلك في مدينة ورقلة ايام 15-16-17 أفريل 1996، وقد تضمن برنامج الملتقى فضلا عن كلمات الافتتاح والترحيب، على 12 محاضرة و عدد كبير من المداخلات وكذلك شهادات حية من مجاهدين وسياسيين عايشوا الاحداث من قريب ومن بعيد مبرزين المجهودات الجبارة التي كانت تقوم بها الولايتين التاريخيتين لتجنيد الشعب ومواجهة مخططات العدو في طبيعة قاسية مثل الصحراء. والجدير بالذكر أن حرص المركز كان ويبقى الطابع العلمي لما قدم من محاضرات ومداخلات بعيدا عن كل حشو. وقد وزعت جميع المحاضرات على الحاضرين كما قدم المركز لكل مشارك ملفا وثائقيا ثريا عن محاولة الاستعمار فصل الصحراء عن الجزائر ومناوراته في هذا الشأن.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين

رقم 423

قرار يتضمن تعيين أعضاء المجلس العلمي للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

المادة 2: يتشكل المجلس العلمي للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 من السادة:

- الدكتور	ابراهيم فخار	رئيسا
- "	عبد المالك مرطاط	عضوا
- "	غانم محمد الصغير	"
- "	العربي ولد خليفة	"
- "	العربي زبيري	"
- "	مصطفى بيطام	"
- "	بشير خلدون	"
- الأستاذة	زهور ونيسي	"
- الأستاذ	فيلالي المليح	"
- "	عبد المجيد شيخي	"
- "	بوضرساية بوعزة	"
"	القاسمي المهدي	"
- "	الغالي غربي	"

المادة 3: يسري مفعول هذا القرار إبتداء من تاريخ تنصيب المجلس العلمي.

حرر بالجزائر في 27 مارس 1996

وزير المجاهدين

السعيد عبادو

آراء وإسهامات

أهمية التاريخ والجغرافية في البرامج التعليمية الفرنسية في الجزائر.

بقلم الأستاذ/ عبد القادر حلوش
جامعة هران.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأهمية التي أولتها الإدارة الإستعمارية لكل من مادتي التاريخ والجغرافية في برامجها التعليمية في الجزائر.

ولما كان التاريخ هو ذاكرة الشعوب وأحد مقومات شخصيتها، فقد أولته أهمية خاصة، وجعلته حجر الزاوية في برامجها التعليمية التي أحدثتها خلال فترات متعاقبة، بحيث إرتكزت برامجها على إبراز عظمة فرنسا وتاريخها وعلى قوتها العسكرية وثرواتها متجاهلة عن قصد تاريخ الجزائر، وخاصة فترة الفتوحات العربية الإسلامية، مع الإهتمام بالفترة الرومانية، ثم قفزة تاريخية طويلة ضاربة عرض الحائط كل الحقب التاريخية من تاريخ الجزائر، لتصل في النهاية إلى التمجيد بالغزو الفرنسي " والرسالة الحضارية " لفرنسا وأوروبا عامة.وتهدف هذه البرامج وفق ما سطره مشرعوها إلى حمل الجزائري على الإعتراف بأن " الفرنسيين أقوياء وكرماء، وأنهم أحسن الذين يمكن الإعتماد عليهم "(1).

وعملت بالمقابل على مسخ وتشويه تاريخ الجزائر بتجاهله أحيانا وحرمان الجزائريين من دراسته الدراسة الصحيحة في المؤسسات التربوية التي أنشأتها

لهذا الغرض والتدخل لإلغائه في المدارس التعليمية الحرة أحيانا أخرى. فمادة التاريخ التي تعتبر بمثابة " شعور الأمة وذاكرتها ووعيها بكيانها " ، وإذا كان التاريخ كذلك هو شعلة الماضي لإنارة الحاضر والمستقبل، فقد كان له هدف مغاير في المدرسة الفرنسية، التي أسستها الإدارة الإستعمارية، لأنها كانت تهدف من وراء دراسته إلى إنكار الذاتية الجزائرية والمساهمة في تحبيب فرنسا إلى الجزائريين من خلال إبرازها للحضارة الغربية فالبرامج التعليمية للجزائريين كانت مشابهة ومطابقة للبرامج التعليمية الفرنسية خاصة في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة (2)، وذلك لتسهيل عملية الإدماج وبالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية بعد تجريدها من مقوماتها. وقد نشر أحد طلاب مدرسة المعلمين ببوزريعة مقالا بنشرة تعليم الأهالي عام 1895 بين فيه كيفية تزوير تاريخ الجزائر، عندما أشار إلى أن " العرب والقبائل لم يكونوا عبر التاريخ قومية واضحة ومتميزة، وأن هذا الشعب توحد فقط بالقوة خلال فترات تاريخية معينة والجزائر ليست إلا مفهوما جغرافيا " (3).

وظهرت أثناء الإحتلال الفرنسي للجزائر ومابعده، كتابات إستعمارية عديدة لتدعيم هذه الفكرة الخطيرة ونشر هذه السموم الإستعمارية بغرض تبرير الإحتلال الفرنسي وإعطائه صفة الشرعية وغرس أفكارهدامة في أذهان الناس مفادها أنه لاتوجد " **أمة** " جزائرية. وتمثل هذه الفكرة الإستعمارية حجر الزاوية في البرامج التعليمية الفرنسية، فقد أخذ المستعمر بعد أن شوه ما في الجزائر في أذهان التلاميذ والأطفال، يلقن هؤلاء عادات جديدة وغريبة في التفكير والذوق والسلوك. وكتب أحد دعاة التعليم الإستعماري كلمة صريحة في هذا الشأن فقال ":إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا ، وجعلها أكثر ولاء وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة ، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا بإستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدنا. فالمقصود إذن بإختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما نريد." (4)

فكان الأطفال الجزائريون يتلقون في المدارس الفرنسية أن بلادهم كانت قديما تسمى الغال la Gaule وأن أجدادهم يسمون الغاليون. les Gaulois كما أن مقررات مادة التاريخ في التعليم الفرنسي كانت تهتم بتدريس تاريخ فرنسا في كل العصور، بينما تجاهلت تاريخ الجزائر بجميع عصوره وأزمنته، حتى الساعات المخصصة لدراسة تاريخ الجزائر كانت قليلة جدا، وأكثر من ذلك مشوهة .Histoire Mensongère وأدى الأمر بالفرنسيين كذلك إلى التدخل حتى في المدارس العربية الحرة والكتاتيب القرآنية لمنع أصحابها من تدريس التاريخ العربي الإسلامي. (5)

وإعطاء صورة مشوهة عن حياة هؤلاء الاخيرين، بأنهم كانوا يسكنون بيوتا بدائية وغير صالحة تكسوها الغابات الضخمة وتحيط بها الحيوانات المتوحشة، ثم تتناول تاريخ قرطاج في إفريقيا وتشيد بدورها التجاري فقط، أما عندما تعالج دور روما والإستعمار الروماني، فتكاد تغطي هذه الفترة البرامج التعليمية كلها، بحيث تحتل مكانا واسعا في دراسة مادة التاريخ. وتشيد هذه البرامج ذات الطابع الإستعماري بدور الرومان في إقامة وإصلاح الطرق والمنشآت العمرانية والسدود وتأسيس المدن الجميلة مدعية تقبل سكان المنطقة للمسيحية والحضارة الرومانية، فتجاهلت عن قصد مقاومة هؤلاء للغزو والإستعمار الروماني وطردهم له من الأرض الإفريقية. وتحاول هذه البرامج إضفاء صفة المجد والشهرة على الإستعمار الروماني وأن روما، خلال خمسة قرون، هي التي جلبت للجزائر أول عصرها الذهبي وأول مجدها.

وعندما يتعلق الأمر بالفتوحات الإسلامية تحاول هذه البرامج دون جدوى " إبراز الجوانب السلبية لهذه الفتوحات والمقاومة المستميتة للقبائل أمام جنود الإسلام .(6) وتظهر عدم موضوعية البرامج وتحيزها الصارخ عندما تتجاهل الجوانب الإيجابية للفتح الإسلامي والحكم العثماني في الجزائر معلنة أن كل شيء دخل العدم مدة ثلاثة عشر قرنا) وخلال معالجة البرامج التعليمية للفترة العثمانية في الجزائر، ركزت فقط على إبراز الجوانب السلبية من أمور الفساد

والإستبداد ، مظهرة بالمقابل الدور الحضاري لفرنسا لتخليص الجزائريين من الطغيان التركي ووضع حد للقرصنة الجزائرية، دون ذكر لقوة الجزائر العثمانية في هذه الفترة التي إستطاعت أن تسيطر فيها إلى حد ما على حوض المتوسط وتحمي الإسلام من الهجومات الصليبية المسيحية، وأن تفرض الأتاوات المالية على السفن البحرية الأوروبية. في حين تولي للفترة الفرنسية كل الإهتمام والعناية وتجعل من أولويات برامجها التعريف بالمهمة الحضارية الأوروبية وعبىء الرجل الأبيض Le Fardeau de l'homme blanc ، الذي تغنى به كتابها وساساتها لإستكمال " **مزايا** "العهد الروماني السابق على حد زعمها " ففي سنة 1830 وبعد أن مر عليها عشرون قرنا، نزل الفرنسيون بإفريقيا ، أبناء الحضارة الرومانية ، لإستئناف من جديد المهمة الحضارية التي إستهلها الرومان ." (7) وكان القصد من هذا هو إبراز فوائد الإستعمار ومزاياه وإستئناف العمل الحضاري الذي إنقطع وتوقف نشاطه مدة ثلاثة عشر قرنا، وهذا التاريخ حسب زعم الفرنسيين يعود بمجيء فرنسا إلى الجزائر. وكان هذا العمل الماكر من وحي منظري الإستعمار الذين حاولوا فصل الجزائريين عن تاريخهم ووطنهم حتى تسهل عليهم عملية طمس التاريخ الوطني للجزائريين، وبالتالي تحضيرهم لعملية الفرنسة و التنصير وآخيرا الإدماج، بإعطائهم ماض ووطن جديدين ، غير أن الفرنسيين تجاهلوا أو تناسوا أن محاولة تغيير التاريخ تعد ضربا من الجنون. ونشط منظرو الإستعمار من سياسيين وتربويين في هذا الإتجاه مثلما نشط زملاؤهم المبشرون البيض(ليس لهم من البياض إلا الملابس) في تمسيح وتنصير الشعب الجزائري، فهذا سان كالبر Saint Calbre ، وكان أستاذا بمدرسة قسنطينة الإسلامية، قد طالب بتحقيق هذا الغرض والمتمثل أساسا في إستعلاء مكانة فرنسا بواسطة التاريخ حتى تترك أثارها النفسية على الجزائريين ويحسون مع مرور الزمن بعقدة النقص إزاء الفرنسيين وبالتالي تفشل عزيمتهم ويستسلمون لهذا القدر : " لا يجب التردد ولو لحظة واحدة للتذكير والبرهنة على أن أكبر منطقة في العالم ليست آسيا

أو أمريكا ولكن أوروبا، وأن أكبر قوة ليست الصين أو أمريكا ولكن فرنسا، وأن أول مدينة في العالم، ليست لندن أو بكين ولكن باريس ." (8) ولم يكن التغني بالغاليين كأجداد للجزائريين موضوعا فلكلوريا Folklorique كما يقول ديفاجس (9)، ولكنه يمثل إرادة سياسية هادفة ، هي الفرنسة الكاملة التي يرتمي فيها الجزائريون جسدا وروحا. لأن القصد من هذا التشويه والتزييف للتاريخ الوطني الجزائري بثوابته الراسخة والعميقة عمق هذا الوطن ، هو أن ينشأ الجزائريون الذين يترددون على مدارس الإحتلال على هذه الصورة المزيفة، وهم يعتقدون منذ الصغر بأن أصل أجدادهم ينحدر من جنس وأصل أوروبيين وليس عربي (10)، وبذلك يصبحون أسهل إنقيادا وأسرع إستجابة لقبول السياسة الإستعمارية (11).

ولما كانت مادة الجغرافية تلعب دورا لا يقل أهمية عن دور التاريخ في تكوين الشخصية الوطنية للطفل عند الدراسة، وإذا كان التاريخ يحافظ على شخصية أمة أو شعب من الضياع والنسيان، فالجغرافية هي المكان والإطار الذي يحدد وجود هذا الشعب أو هذه الأمة ونظرا لأهمية الجغرافية وخطورتها ، إعتمدت السلطات الفرنسية في برامجها التعليمية على إهمال جغرافية الجزائر ولم تخصص لها الإساعات قليلة من مجموع برامجها التي إستأثرت بها اللغة الفرنسية بشكل صارخ. وحتى هذه الساعات القليلة كانت تهدف إلى محاولة غرس فكرة خطيرة في آذهان الأطفال الجزائريين مفادها أن الجزائر تعتبر جزءا من فرنسا وأنها تمثل ثلاث مقاطعات فرنسية فيما وراء المتوسط، وأن المتوسط يقطع فرنسا والجزائر مثلما يقطع نهر السين باريس،وأن فرنسا تمتد من مدينة دانكارك في أقصى شمال فرنسا إلى مدينة تمنراست في أقصى جنوب الجزائر، إلى غيرها من الأكاذيب التي تفطن لها الشعب الجزائري.وكان القانون الفرنسي قد إعتبر الجزائر رسميا قطعة من فرنسا الأم (12)، ثم أصبحت كذلك وفق سياسة الإدماج التي طالبت بها السلطات الفرنسية وتحمس لها الجمهوريون خاصة، بتطبيقها على الأرض دون السكان ، الذين إعتبروا دائما

وحتى عام 1962 رعايا فرنسيين وليس مواطنين فرنسيين حسب مفهوم ومنطق الإدماج نفسه (13).

وكان التركيز في هذه المادة على التدريس والتعريف بجغرافية فرنسا الوطن الأم، بذكر أرضها وطبيعتها وثرواتها الباطنية وخيراتها المادية وجبالها وسهولها ووديانها دون أي إشارة بالمقابل لجغرافية الجزائر الواسعة والمتنوعة، محاولة بذلك إبراز القوة المادية التي تلعب هي نفسها دورا تربويا وتهذيبيا (14) إلى جانب قوتها المعنوية أمام أعين وعقول الأطفال الجزائريين لتحبيب فرنسا لديهم من جهة ولتخويفهم وإقناعهم بأنه لا مجال للتمرد والثورة على هذه القوة من جهة ثانية.

ولتجسيد هذه الفكرة لجأت السلطات الفرنسية من جانب آخر إلى إرسال بعض الجزائريين من أبناء الموظفين والعائلات الموالية لها إلى مقاطعات ومدن فرنسا في جولات سياحية ودراسية وتحذيرية أحيانا آخرى ليزدادوا مناعة وإيمانا بعظمة فرنسا وقوتها ، ويعملون بعد أن تغريهم الحضارة الغربية، القيام بالدعاية لفرنسا لدى شعبهم ، " وأن الهدف المنشود هو تكوين رجال، بتأثيرهم على إخوانهم يساعدوننا على تحويل المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا ".(15) والحقيقة أن التعليم الذي تبنته الإدارة الفرنسية في الجزائر هو تعليم سياسي يهدف إلى القضاء على الذاتية والأنا الجزائرية لتثبيت دعائم وأسس الإستعمار الفرنسي في الجزائر ، فهو يمثل بلا شك على حد قول بعض الفرنسيين أنفسهم الدعامة الإيديولوجية للسيطرة الفرنسية.

هوامش

(1) - Bernard.p.: in congrès international de sociologie coloniale. p 391.

(2) - كانت الادارة السابقة وخاصة الامبراطورية تحاول تحقيق التوازن بين مطالب الكولون مطالب الجزائريين بتأسيسها للمدارس العربية الفرنسية،(كان تصفها عربي واخر فرنسي) غير ان الجمهوريين الذين جاؤوا بعد عام 1871 كانوا يحلمون بتحقيق الادماج عن طريق فرض مدرستهم ذات الطابع الفرنسي والنظري.

(3) - Bulletin de l'enseignement des indigenes no 32, p.178.

(4) - د./ طالب الابراهيمي: من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية 1962-1972 ترجمة حنفي بن عيسى sned االجزائر ص 16.

(5) - في عام 1904 اصدرت السلطات الفرنسية قانونا يحظر على الجزائريين فتح اية مدرسة او كتاب قرآني الا بترخيص خاص من الادارة الاستعمارية، وعندما تمنح الرخصة لطالبها يشترط عليه استبعاد تاريخ وجغرافية الجزائر من المناهج الدراسية ، والا يتعرض الى سحب الرخصة منه واغلاق المدرسة او الكتاب.

(6) - Desvages.H.: L'enseignement des Musulmans en Algerie sous le rectorat jean Maire, in Mouvement sociale janvier- mars 1970, p. 125.

(7) - Desvages.H.: Op.cit , p.125.

(8) - Desvages.H.: Op.cit , p.127.

(9) - Ibid p 128.

(10) - من المؤسف جدا ان تلقى هذه النظرة الاستعمارية إستجابة لدى بعض ضعاف العقول، لكن لحسن الحظ لم تعمر طويلا، وزالت امام الوعي الوطني للشعب الجزائري الذي ادرك حقيقة ما يحاك ضده فأعلنها حربا ضروسا ضد الاستعمار وأذنابه.

(11)- د.تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية من (1930-1956) sned الجزائر 1975. ص 115.

(12) - فور الاحتلال، إعتبر قرار 1834 الجزائر إحدى ممتلكات فرنسا الافريقية، ثم جاء قانون 1848 الذي إعتبرها قطعة من المقاطعات الفرنسية وقسمها إلى ثلاثة أقاليم (وهران، الجزائر وقسنطينة).

هوامش

(13) – لم يخف وليام مارسي ، كان مفتشا للتعليم الإبتدائي في عهد مدير التربية " آردايون " السياسة الفرنسية اتجاه الجزائريين ، بل قالها صراحة على ان : " المدرسة في الجزائر تتوجه الى سكان فرنسيين سياسيا ، ولكنهم اجانب واقعيا ، يجب ان تعمل هذه المدرسة على تكوين رعايا وليس اطنين " . انظر آخرون . ش.ر: تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور بيروت 1982، ص .163.

(14) - Colonna.F.: Les instituteurs Algeriens 1883-1939 , o.p.u. Alger 1975, p.60.

(15) -Turin.Y.: Affrontements Culturels dans L'Algerie Coloniale , Ecole Medecine, Religion 1830 -1880, Paris Maspero 1971, p.73.

أطماع فرنسا في الأغواط

بقلم الأستاذ: إبراهيم مياسي معهد التاريخ

جامعة الجزائر

مدخل

لقد ترددت السلطات الفرنسية في بادئ الأمر حول إحتلال الجزائر بكاملها أوالإكتفاء بجزء منها. ولما حسمت السلطات العليا الفرنسية في قرار غزو الجزائر كلية، وانتهت قبل النصف الأول من القرن الماضي من إحتلال الجزء الشمالي من الوطن، بدأت تفكر في غزو الجنوب. وقبل الإقدام على توسعها في الصحراء التي تجهلها، طرحت على نفسها عدة أسئلة منها :

- هل الصحراء الجزائرية قاحلة وخالية من جميع مظاهر الحياة؟
- هل سكانها من حضر وبدو عددهم ضئيل أوكثير؟
- ماهي تجارتهم؟ وماهو نشاطهم الفلاحي والصناعي؟
- ماذا يخيف فرنسا من الصحراء؟ وماذا تنتظر منها؟

وقبل الإجابة على كل هذه الأسئلة سارعت السلطات الفرنسية في إحتلال الأجزاء الأولى من الصحراء قبل أن يظهر فيها زعيم ديني وقومي مثل الأمير عبد القادر يهدد وجودها ويمنع توسعها نحو الجنوب.

فبعد أن أخمدت ثورة الزعاطشة واحتلت بوابة الصحراء بسكرة. شرعت في احتلال بوابة أخرى عبر منطقة الأغواط.

والأغواط من الواحات الجزائرية الجميلة، التي تقع جنوب الجزائر العاصمة، وتبعد عنها بأكثر من أربعمائة كيلومتر، وتنتشر عبر الضفة اليمنى لوادي أمزي الذي يأخذ مجراه من جبال عمور غربا ويتوجه نحو الشرق، وبعد أن

يجتاز منطقة الأغواط يحمل اسما آخر وهو وادي إجدي الذي يعبر منه جزء كبير على واحات الزيبان ثم يصب في شط ملغيغ .

أما موقعها الفلكي فهي تقع على خط عرض '48 °33. شمالا وعلى خط طول حوالي°3 شرقا. كما أنها على إرتفاع يقدر بحوالي ثمانمائة مترا (1).

وتشتهر الأغواط ببساتينها الغناء المنتشرة في الشمال والجنوب، لأن جبال تسقرارين تفصلها إلى مجموعتين متباينتين. ويطوف بالمدينة صور منيع به العسس عبر الأبراج وقد شيدت منازل الأغواط من الطوب المستخرج من الطين الذي يلائم البيئة والأوضاع المناخية للمنطقة، ويقطع المدينة وادي الخير المتفرع عن وادي إمزي والذي يعمل على سقي المدينة فضلا على تخصيب تربة الحدائق التي تنبت فيها خيرات كثيرة من تين ورومان وعنب، وأنواع عديدة من الخضر.يحتوي إقليم الأغواط على القصور التالية :

مدينة الأغواط - العسافية - قصر الحيران - الحويته - تاجموت- عين ماضي-

.أما أعراشها فتتمثل في قبيلة الأرباع الكبرى- المتألفة من الأجزاء الأربعة وهي المعامرة- الحجاج- أولاد صالح- أولاد زيد. وتنتشر هذه القبيلة بين الجلفة في الشمال وبسكرة في الشرق وغرداية في الجنوب وآفلو في الغرب، كذلك عرش أولاد سيدي عطاء الله، وقبيلة الحرازلة المشهورين بالأغواط، فضلا عن قبائل أخرى وفدت إلى المنطقة عبر الحقب الزمانية، إستقرت ورحلت ولكن آثارها وبقاياها مازال هناك إلى اليوم. وسيأتي ذكر بعضهم خلال هذه الدراسة.

نبذة تاريخية عن الأغواط:

للأغواط تاريخ عريق يبدأ مع المعطيات الأولى والضئيلة لإقليم جيتوليا، من العهد الروماني حتى الفتح الإسلامي. فقد سكنت هذه المضارب قبيلة مغراوة المنحدرة من الزناتة والتي رفضت الخضوع للسلطة الرومانية ولم تقبل إعتناق المسيحية رغم العروض العديدة، بينما رحبت بالإسلام منذ الوهلة الأولى لأن

هذا الدين الجديد يتلاءم وطبيعتهم وينسجم مع مزاجهم، فادركوا بفطرتهم أنه شريعة الله في الأرض.

تأسيس الأغواط

لم تحدد الوثائق التاريخية بالضبط متى تأسست الأغواط، حيث كانت عبارة عن ضيعة تسكنها قبائل زناتية، إعتنقت الإسلام بعد الفتح الإسلامي خلال القرن السابع للميلاد، ولكن هذا الدين لم يترك أثره الواضح على المنطقة (2) إلا بعد توافد المجموعات الإسلامية عن طريق وادي إجدي، خاصة بعد هجرة بنى هلال للمنطقة.

ويمكن ترجيح تأسيس الأغواط إلى السنوات الأولى من قدوم بنى هلال سنة 1045م (3) إلى المنطقة. وإنضاف إليهم أولاد سالم الذين هاجروا من قورارة(الجنوب الغربي الجزائري) على إثر الحرب الأهلية فإستقروا بخيامهم على ضفاف وادي إجدي، حيث إلتقوا بفرع الأغواط الكسل* والبدارة. وقد جلبتهم إلى هذه المناطق وفرة المياه والكلأ.

ويلاحظ أيضا أن مجموعة من القبائل قد سكنت منطقة الهضاب العليا الواقعة شرق جبال العمور والأغواط والجلفة ومنها أولاد زكال وأولاد زيد الذين طردوا من الزاب بعد هجوم قبائل بني هلال عليهم، فاستقروا مع من سبقهم وأسسوا قصرا (قرية) أطلق عليه إسم إبن بوتا، ثم لحق بهم مهاجرون آخرون منهم أولاد بوراس القادمين من الزاب فأسسوا قرية بومندالة، وأولاد بوزيان وحميان الغرابة شيدوا قصر نجال وسيدي ميمون، كما أسست بعض قبائل الزاب النازحين قرية بدلاه وقصبة بن فتوح.

ومن خلال هذه القرى والمنازل المبعثرة على إمتداد حوالي ثلاثة كيلومترات إستمد إسم الأغواط وهو جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين بينما إبن خلدون يخالف هذا الرأي فيقول: " أن الأغواط فرع آخر من قبيلة مغراوة " لذلك يطلق على سكان هذه المنطقة ب " بني الأغواط."

وبعد أن إستقر السكان وإستقرت المدينة، أصبحت هذه المنطقة - عبر القرون- ملجأ الفارين من المشاكل السياسية والدينية، فخلال سقوط الدولة الموحدية فر بعض أنصارها إلى الأغواط حوالي 1269م كذلك إثر صدام المرينين مع بني عبد الواد، أمر عبد العزيز، سلطان فاس، وزيره إبن غازي بمطاردة أبي حمو سلطان تلمسان الذي هزم بالدوسن، وحين ملاحقته إحتمى بالأغواط حوالي 1368م، فناصروه، لكنه إنسحب إلى بني مزاب حينما شعر بالخطر.

أما عهد الباي لرباي التي أسسها خير الدين بربروس في بداية القرن السادس عشر الميلادي، فقد إمتدت سلطة الأيالة الجزائرية حتى الأغواط ضمن بايليك التيطري الذي نظمه حسن باشا إبن خير الدين وعين عليه سنة 1548م رجب باي كأول باي على التيطري وعاصمتها المدية (4).

وبعد النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي عرفت المنطقة نوعا من الخلل السكاني، حيث حوالي 1666م غادر عرب يوسف قصر بدلاه بعد خصومات عديدة من جيرانهم ليؤسسوا قرية تاجموت على بعد 32 كلم شمال غرب الأغواط على ضفاف وادي إمزي، ويستقروا بها. وفي نفس الفترة فرغت تقريبا قصبة ابن فتوح من أهلها على إثر الحادث الأليم الذي رواه الجنرال فيليبار (Philebert) في كتابه (5) كما يلي :

سيدي ناصر والي صالح بقصر إبن بوتا، يحظى بإحترام الجميع، وكان له فتاة جميلة، خطبها إبن رئيس قصبة ابن فتوح بعد أن هام بحبها، ولكن والدها رفضه وزوجها من أحد شبان قرية ابن بوتا فاغتاظ وعزم على الإنتقام، ذلك أنه ليلة الزفاف وتحت الظلام الشديد قام بالسطو على منزل العروسين فقتل الزوج وفر بالزوجة فلحقه أنصار الوالي الصالح.وطوقه، لهذا ذبح الفتاة وإنتحر فوق جسدها. وحينما علم سيدي ناصر بالخبر الحزين أخذ حفنة من التراب ووضعها في كفه ونسفها ثم دعا على سكان قصبة ابن فتوح بأن ينسفهم الله كما نسف هذا التراب، وقد استجاب الله لدعوته ومن الغد

أصبحت قصبة ابن فتوح خالية من سكانها الذين توزعوا عبر مناطق كثيرة، منها غدامس التي إتخذت اسمها منهم، لأنهم إلتقوا بعائلات نزحوا من فزان، فسألوهم من أين آتيتم؟ فأجابوا بأنهم جاءوا من قصبة ابن فتوح بغداء أمس، فأطلق على المكان الذي جمعهم غدامس ومن المراحل البارزة في تاريخ الأغواط هي التي سجلها سي الحاج عيسى الذي حل بالمنطقة سنة 1698م (6) وإستقر بقصر ابن بوتا وشرع في تعليم الناس القرآن الكريم ونشر التعاليم الدينية الصحيحة والأخلاق النبيلة، فأستبرك به سكان الأغواط وأعتبروه ولي الله الصالح الذي إستطاع أن يضع حدا للخصومات ويجمع شمل أهالي المنطقة، لهذا فهو حامي المدينة من غارات العدو، وكل أذى.

وفي بداية القرن الثامن عشر الميلادي بدأت معالم مدينة الأغواط تستقر من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على الضفة الغربية لوادي إمزي. فالمدينة الغربية يقطنها أولاد سرغين. أما المدينة الشرقية فيسكنها أولاد حلاف. ولهذا فإن الأعراش التي تتكون منها المدينة، هي كما يلي :

- أولاد سرغين تتألف من :

1 - جماني وبدرارة. المنحدرين من الأغواط الأكسل.
2 - أولاد سخال. الآتين من أولاد زيد في الزاب.
3 - فليجا. أتين من الجنوب التونسي.

- أولاد حلاف تتألف من:

1 - أولاد خريز. أصلهم من فرجيوة.
2 - المغاربة. جاءوا من فيقيق بالمغرب الأقصى.
3 - أولاد عبد الله وأولاد سالم. آتوا من قورارة.
4 - أولاد بوزيان الذين ينتمون إلى فرع الحجاج (7).

ولكل حي مسجده وإدارته المتميزة وسوقه الخاص.

وفي سنة 1727م خضعت الأغواط مرة أخرى إلى باي المدية شعبان زناغي الذي فرض عليهم ضريبة سنوية تقدر بسبعمائة (700) ريال، حتى سنة 1784 حينما قدم مصطفى باي المدية ليخيم برأس العيون شمال الأغواط ليجمع تلك الضرائب الزهيدة المفروضة على الأغواط والتي تماطلت في دفعها، لكنه رجع خائبا بعد أن خاض معارك عديدة على السهل الممتد في الشمال الغربي من المدينة.

وفي السنة الموالية عزم باي وهران محمد الكبير على إخضاع الأغواط والإنتقام منها، على شرط أن تكون من نصيب بايليك الغرب، فعلا بدأ بإخضاع عين ماضي ثم تاجموت وأخيرا الأغواط التي دخلها بعد معاناة طويلة، ونصب القائد أحمد بن لخضر على سرغين والقائد سائح ابن زنون على أولاد حلاف. وبعد أن تحصل على ضريبة الحرب رجع الباي إلى وهران (8).

وبعد فترة قصيرة، تمرد أهل الأغواط ولم يمتثلوا لممثل الباي، مما إضطر الباي محمد الكبير الرجوع إلى الأغواط سنة 1786م على رأس جيش قوي، لكنه لم يستطيع هذه المرة من إخضاع عين ماضي لأن واليها سي أحمد التجاني قد حصنها بسور منيع، فحاصرها الباي لمدة شهرين دون جدوى، فإنتقل إلى الأغواط، بعد أن هيأ له الأمر السائح بن زنون.

وفي سنة 1787م خلف الباي عثمان زميله محمد الكبير، وأراد أن ينتقم من هزيمة عين ماضي، فحاصر القصر وهدد السكان بقطع رزقهم، لذلك خضع أهل القصر وإمتثلوا بدفع الضرائب بعد أن فر الشيخ احمد التجاني إلى بوسمغون ثم إلى فاس حيث توفى بها سنة 1814 (9) ثم عرج على الأغواط لينتقم من الذين ناصروا الشيخ التجاني، خاصة أولاد حلاف الذين هربوا من الأغواط ليؤسسوا مع أولاد رحمان قصر الحيران لكن ما لبث أن حصلت بينهما خصومات عديدة وعنيفة فقد على إثرها أولاد حلاف زعيمهم سائح ابن زنون. وبما أن زعيم حلاف لم ينجب، فعوضه إبن أخيه أحمد بن سالم الذي إستطاع أن يكسب ود الجميع، ويحكم الأغواط بمفرده (10).

وبعد وصول أحمد بن سالم إلى السلطة سنة 1828 عرفت البلاد نوعا من الإستقرار والهدوء سمح بنمو وإزدهار الحركة التجارية المتمثلة في التبادل بين أهل الشمال المحملين بالحبوب والمواد الغذائية وأهل الجنوب بمنتوجاتهم الزراعية خاصة التمور وسلعهم الإفريقية.

- سياسة " فرق تسد " وإذكاء الصراع الداخلي :

لاشك أن السنوات الأولى للإحتلال الفرنسي للجزائر 1830. كانت وبالا على البلاد والعباد، حيث دخل الوطن في فوضى وإضطرابات وتصفية حسابات،وعرفت نواحي عديدة، خاصة الجهات الصحراوية أحداثا خطيرة وقد حرص الأمير عبد القادر منذ الوهلة الأولى على استتباب الأمن، وإخضاع القبائل إلى نفوذه لتدعيم أركان دولته الفتية، كما عمل على إستقطاب القبائل الصحراوية إلى صفوفه قبل وصول النفوذ الفرنسي إليهم.

وفي سنة 1837م وقعت مشاكل عديدة بالأغواط منها إعتراض الحاج العربي * على أحمد بن سالم حول حيازة بعض الملكيات، مما أدى إلى طرد الحاج العربي من الأغواط (11.) وكان لهذه القضية وقع لدى أهل الأغواط، وصادف ذلك زيارة الأمير إلى النواحي الجنوبية لتنظيم دولته، فوفدت عليه وفود الأغواط لأخباره بأحوال البلاد، "وأوقفوه على ما عليه عشائرهم وبطونهم، من الطاعة له وطلبوا منه، أن يولي عليهم من يسوسهم، ويضبط بلادهم، فأجابهم إلى ما طلبوه. وولى عليهم، السيد الحاج العربي، إبن السيد الحاج عيسى الأغواطي، المشهور فيهم(12). " عينه الأمير خليفة له على تلك النواحي الشاسعة وكتب له المرسوم التالي :

"هذا ظهير شريف. يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية، والترهيب من السعي في تفريق الجماعة، والدعاء إلى التمسك بأوامرنا المطاعة. أصدرناه: للمكرم المحترم، السيد الحاج العربي الأغواطي.وذلك أنه، لما تقرر لدينا فضله وعدله، رأينا أنه أحق من نقلده الأمر الأكيد، ونرمي به الغرض البعيد،

ونستفسر به أحوال الرعية، حتى أنه لا يغيب عنا شيء من أحوالها ولا يخفي علينا ما يتشحمها، من طارق أهوالها. وينهى إلينا، جميع ما يحدث فيها، إنهاء يتكفل بجلائلها ودقائقها. وجعلناه نائبا عنا، وخليفة لنا. في قبائل الأغواط: الغرابة والشراقة، ومن إليهم من القبائل الصحراوية، في الجهات الجنوبية فيجمع سائر وجوهها وأعيانها ويخبرهم بأمرنا هذا. ويتلو عليهم ما قلدناه به. ويقرر لديه وجوب طاعته ولزوم إتباعه، والإذعان لأوامره ونواهيه. وقد عين له من العسكر النظامي، ما يتوصل به إلى تقرير الأحكام، وجباية الأموال، وقهر الظالم، والأخذ بيد المظلوم. هذا، ما نعتمد عليه، من إنقياد رعيتنا للأحكام الشرعية، والأوامر المرعية ولذلك، لم نبالغ بالإستكثار من العسكر، لخدمة خليفتنا المذكور. فكونوا - أيها الناس - لأمره، السالك فيه على جادة الحق والعدل، سامعين ولكلمته، مطيعين، وأعلموا أن من نكث فإنما ينكث على نفسه. والله ولي المتقين.

حرر عن إذن مولانا، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين، في سنة أربعة وخمسين ومائتين 1254 هـ وثمان وثلاثين وثمانمائة 1838م.(13)

وهكذا تبين لنا هذه الوثيقة أن الحاج العربي قد أصبح الحاكم الشرعي لهذه المناطق الصحراوية، ولهذا وجب على الرعية طاعته بإعتباره ولي أمرهم خاصة وأن البلاد تمر بفترة حرجة من جراء المحنة التي إبتلى بها الوطن والمتمثلة في الإحتلال الأجنبي الغريب عن الملة والدين.

جمع الخليفة الجديد بقرية سيدي بوزيد * قوم الأحرار وأولاد خليف وأولاد شايب والأغا جلول آغا جبال عمور كذلك وصله ولاء سي محمد الصغير التجاني مرابط عين ماضي (14) .ثم تحرك بعد ذلك إلى الأغواط، حيث خيم على الضفة اليمنى لوادي أمزي ما بين رأس العيون والبساتين. وقد قدم له جمع غفير البيعة خاصة من طرف الأحلاف الذين أيدوه، أما أولاد سرغين فقد رفضوا الإعتراف به. ولذلك فإن موقف أحمد بن سالم أصبح حرجا فضل الإنسحاب عند صهره إبن ناصر بن شهرة قائد الأرباع بعض

الوقت.وحينما شعر بالخطر يداهمه ولم يطمئن على سلامة النفس تحول إلى غرداية ليحتمي ببني يزغن.

وخلال سنة 1838م، عزم الأمير عبد القادر على تنظيم دولته لمواصلة الجهاد.وأدرك جيدا أهمية الصحراء بإعتبارها نقطة إرتكاز للمقاومة، فضلا عن كونها موردا هاما من الذخيرة والرجال لهذا سعى على إدخالها تحت نفوذه، ولكنه وجد معارضة من طرف بعض أعيان الأغواط الغرابة، ومنهم سي محمد الصغير التجاني، والذين رفضوا الخضوع، وإمتنعوا عن آداء الطاعة، وجاهروا بالعصيان ولم يقدموا المساعدة الشرعية للجهاد المقدس.

وقد إغتر الشيخ التجاني بقوته وبمدينته المحصنة، فتحدى أوامر الأمير الذي كان تفصله عنه مسافة طويلة جدا. ولما علم الأمير بالأمر حزن لذلك وعزم على إستئصال هذا العصيان. فبادر إلى قمع المتمردين والتنكيل بهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

تحرك موكب الأمير يوم 18 ربيع الأول 1254هـ الموافق 12 جوان 1838م وتوجه إلى عين ماضي على رأس جيش قوامه ستة آلاف من الخيالة وثلاثة آلاف من المشاة، وثلاثة مدافع ميدان، وستة مدافع هاوون وبعد عشرة أيام من السير الشاق عبر الفيافي والرمال وصل جيش الأمير إلى حصن عين ماضي، وكان وصوله مفاجأة كبرى للشيخ التجاني، فإندهش لضخامة هذه القوة، حيث لم يكن مستعدا للمواجهة لأن معه سوى مائة وستة وستون (166) رجلا من أولاد سرغين تحت قيادة يحي بن سالم. ومائة وسبعون (170) من أولاد صالح (الأرباع) وسبعة عشر (17) من سكان قرية غيشا وعشرون (20) من تاجموت وإثنان وعشرون (22) من حوتية وخمسة عشر آخرين من الآجانب من مختلف الأصول كاليهود والزنوج، وقد قدرت قواته بحوالي سبعمائة وعشر (710) مقاتل (15)

حاول الشيخ التجاني أن يربح بعض الوقت في البداية، ويقاوم بما لديه من قوة ويدافع عن البساتين بمناوشات أثناء الليل، وإستطاع بفضل معرفته

للأماكن، أن يعرقل تقدم قوات الأمير، التي تمكنت رغم ذلك من تطويق المكان، وقطع بعض الأشجار الكثيفة لتهيئة المكان لتنصيب المدافع لدك الحصن، ثم بدأ القذف.وكلما فتحت ثغرة من أجل الهجوم منها.تسد من الداخل وتكرر ذلك مرارا. "وفي اليوم الخامس عشر تحدى عبد القادر خصمه التجاني أن يخرج لمبارزته أمام الجيشين اللذين يشهدا هذا اللقاء، وأقترح عليه بأن مصير عين ماضي يتوقف على نتيجة المبارزة، ولكن التجاني بالرغم من فتوته وشجاعته فضل الحذر ورفض اللقاء، ولم يسع عبد القادر إذن سوى أن يبدأ الحفر. وفي الوقت المناسب وصلت الحفر إلى السور. ولكن التجاني رد بحفر من جانبه. وخلال ذلك وقعت عدة إشتباكات هامة، وبهذه الطريقة إستمر الحصار عدة شهور." (16) ...

تشير الوثائق التاريخية أن هذا الحصار قد تجاوز الستة أشهر، أجهدهم فيها العياء والجوع، وأضناهم القلق والخوف، وإلتزم الأمير بهذا الحصار لأنه أدرك أهمية المسألة وعواقبها بحيث إذا رفع الحصار وأعترف بفشله فإن جميع المناطق الصحراوية ستفلت من قبضته وتتمرد عن سلطته، لتقع فريسة للتوسع الإستعماري، لذلك أعلن أنه يفضل الموت حيث هو على الإستسلام.والجدير بالذكر أنه في هذه الأوقات الحرجة إستغلت السلطات الفرنسية الفرصة لكي تلين من موقف الأمير تجاه معاهدة التافنة، فأهداه الحاكم العام الجديد الجنرال فالي (Valee) ثلاثة مدافع حصار مع ذخيرتها ليدك بهم حصون خصومه ويقضي على إمكانيات الشعب من المقاومة، وبذلك يضرب الإحتلال الفرنسي في الجزائر عصفورين بحجر واحد، وهما تنازل الأمير عن بعض بنود معاهدة التافنة والقضاء على مرابط قوي، يمكن أن يكون لهم خصما عنيدا وثائرا مقداما في المستقبل.

ولا شك أن هذه الهدية قد رجحت كفة الأمير، وأجبرت الشيخ التجاني على الإستسلام. ففي 5 رمضان 1254هـ الموافق ل 22 نوفمبر 1838م (17)،

وقعت معاهدة بين الطرفين تعهد فيها التجاني بالجلاء عن عين ماضي حسب الشروط التالية :

أولها: أن يدفع التجاني مصارفات الحصار.

الثاني: أن يكون مجبورا على إخلاء المدينة، في برهة أربعين يوما.

الثالث: أن يكون له حق أخذ جميع أمواله المنقولة، بلا إستثناء.

الرابع: لأهل المدينة، حق بمرافقة التجاني بأسلحتهم.

الخامس: أن يرفع الأمير الحصار عنهم، ويرجع ثمانية أميال عن المدينة، حتى تخلى.

السادس: أن يكون ابن التجاني، عند الأمير، رهينة إلى إتمام المعاهدة (18).

فقبل التجاني الشروط المذكورة وأمضى عليها وأرسل ابنه معها، فأمنه الأمير وأمهله. وعندما إنتهت المدة المحددة، خرج الشيخ بجنوده وحشوده، ولم يتخلف في الحصن إلا المستضعفون. فأمر الأمير بتدمير المدينة وتسوية حصنها وأبراجها ودورها بالأرض.

لحق التجاني بالأغواط الغرابة، فأعلن الأمير بذلك إلى خلفائه ووكلائه في الجزائر ووهران بما نصه: "الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده، وبعد، فإن الله تعالى، منذ ولانا أمر المسلمين، والنظر في مصالحهم، لم نزل نجتهد، ونسعى في تأليف قلوبهم على الإتحاد والخضوع لشريعة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لقوله عز وجل (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)، وقد توجهنا، هذه المرة، إلى بلاد الأغواط لجمع كلمتهم وإصلاح فسادهم فأظهر عامة أهلها غاية الطاعة والإنقياد. إلا ما كان من التجاني ومن إنتمى إليه، فإنهم تجاهروا بالشقاق، وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فأمرناهم بالرجوع إلى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين، غير مرة. وناشدناهم الله، في صون دمائهم، وأعراضهم. فلم يرجعوا عن غيهم، بل صمموا على قتالنا. واستعدوا لمحاربتنا، فخفنا إن أهملنا أمرهم، من سريان هذا الفساد إلى غيرهم، فيفوت المقصود، الذي هو جمع الأمة على كلمة واحدة وطريقة متحدة، فأخذنا في حصار حصنهم، والتضييق عليهم. ولما إستشرفوا على

الردى، وكادت أن تعمل فيهم المدى، طلبوا منا الأمان - مع أنهم خدعونا مرات عديدة - فمنحناهم الصفح الجميل، صونا لدمائهم وحفظا لأغراضهم لقوله تعالى (فأعفوا وأصفحوا) وأمناهم على أن يخرجوا من الحصن، ويتوجهوا حيث شاءوا، فخرجوا كلهم منه، إلا المستضعفين منهم، وذهب التجاني وحريمه وأولاده، إلى الأغواط الغرابة وبقي إبنه الكبير، رهنا عندنا، فالحمد لله، الذي أيدنا بنصره، على من عصى أمره، وناوه، فإنه لا رب غيره، ولا معبود سواه. " (19)

وفي الأخير دعا أهل الأغواط إلى الطاعة وعدم التحالف مع الفرنسيين.وقال لهم: "أيها المسلمون لا تتخذوا الكفار أولياء لكم، بل إتخذوا أولياءكم من بين المؤمنين الحقيقيين فقط. " (20)

وقد أرسلت قبيلتان من بني الأغواط، المجاورتين للحصن بالزكاة والعشور، ورفضت بقية القبائل دفع ما كان عليها من الزكاة والعشور، ولهذا عليها أن تتحمل مسؤوليتها ومصيرها المحتوم.

لما فرغ الأمير عبد القادر من أمر التجاني عاد إلى مدينة معسكر لأخذ نصيب من الراحة. وبعد أن مكث بها عدة أسابيع، ألف جيشا من خمسة آلاف (5000) فارس ومن الخيالة فقط. أمر الأمير أن يحمل كل فارس معه ما يكفيه من القمح والشعير لا غير، وأن يجتمعوا في سهل أغريس ولم يكن أحد يعلم بمراد الأمير. عند غروب الشمس وإشتداد البرودة ظهر الأمير عبد القادر ممتطيا صهوة حصانه، فتوجه بهم نحو الشمال الغربي، ولما خيم الظلام، أمر بإيقاد أربعة مصابيح أمام الجيش، فجعلت في أسنة الرماح، فكانت ترسل أشعتها إلى الوراء فتضيء كامل الركب، وفجأة تغير إتجاه السير وتحول الركب نحو الجنوب الشرقي، ولم يكن الإتجاه الأول سوى مجرد تمويه. "ولم يزالوا يجدون السير إلى نصف الليل، ثم نزلوا على حافة جدول، فأكلوا وأطعموا خيولهم وبعد مضي ثلاث ساعات عادوا للسير العنيف وإلى نصف النهار.ثم نزلوا، فأطعموا الخيل، وأكلوا. ثم عادوا لما كانوا عليه من السير

السريع وإستمروا على هذا الحال، أربعة أيـام وأربع ليـالي، وفي صبـاح اليـوم الخامس، إنكشفت لهم منازل الأغواط، الذين أصروا على عدم الطاعة" (21) .وتحدوا الأمير بمواقفهم العدائية وإمتنعوا عن أداء الزكاة والعشور، بل بلغ بهم الأمر أن هاجموا قوافله للسطو على محتوياتها، كما كانت لهم إتصالات بالفرنسيين ليوازروهم ضد الأمير، كل ذلك أثار سخط الأمير عليهم بإعتبارهم خونة، وبناء على تعاليم الإسلام فإنهم يستحقون الموت. كانت سهول الأغواط مغطاة بحوالي عشرة آلاف خيمة، وكان الناس ما يزالون نائمين، ولم توقظهم إلا الصيحات العالية، والضربات المتوالية، ولما إنتبهوا رأوا كوكبة من الفرسان تنقض عليهم كالعاصفة. "وكانت صرخات الذعر تردد: "عبد القادر، عبد القادر" وكانت النساء والأطفال يركضون هنا وهناك صارخين. أما الرجال الذين كانوا مندهشين وحائرين، فقد كادوا يفقدون شعورهم من شدة الهول فبعضهم جرى غريزيا إلى سلاحه وآخرون أخفوا إلى خيولهم ولكن العاصفة قد أخذتهم قبل أن يكون لديهم الوقت للتجمع والتنظيم . " (22) وقد نبه الأمير فرسانه بأن لا يتعرضوا للحريم ويصرخ فيهم: " صونوا الحريم. أما الرجال فأذيقهم كأس الوبال " .(23) وإستطاعت قوات الأمير أن تحيط بهم من كل جهة. "وإستاقوهم كقطعان الغنم، ولما أحضروا مشايخهم بين يدي الأمير وقعوا على رجليه، وتذللوا بين يديه، وأعطوه المواثيق والعهود على الطاعة، وحسن السلوك فرحمهم وتقبل طاعتهم ورد عليهم جميع ما أخذ منهم، وفي الحال، دفعوا له أربعة آلاف (4000) جمل، وثلاثين ألف (30000) رأس غنم عما تبقى عندهم من زكاة خمس سنين، وكانوا بعد ذلك من أشد القوم تمسكا بالأمير وأكملهم طاعة له. " (24)

وبعد أن إستتب الأمر للأمير في الصحراء، توجه إلى التل ليواصل الجهاد ضد الكفار الدخلاء، وترك الأمر من بعده إلى خليفته الحاج العربي، لكنه لم يستطع أن يصمد أمام دسائس أعدائه خاصة بعد تحالف الشيخ التجاني وأحمد ابن سالم الذين عمل على تحطيم نفوذه، حتى أرغم على مغادرة الأغواط

والفرار بجلده، مما جعل الأمير يعزله ويعوضه بشخصية هامة من تاقدامت وهو السيد عبد الباقي. تقدم الخليفة الجديد أمام الأغواط بقوة تقدر بسبعمائة (700) رجل، معززين بقطعة مدفعية. ولكنه لم يحض بالترحاب والتأييد من طرف الجميع، ورغم ذلك إستطاع أن يدخل المدينة ويحتلها. وبعد أن بسط نفوذه على المنطقة جاءته أوامر الأمير بان يجمع جميع شخصيات الأغواط ويعدمهم أوعلى الأقل يبعث بهم إلى عاصمة الأمير تاقدامت ليقتص منهم.

ورغم نصائح مساعديه -منهم آغا الجديد لأولاد شايب والخروبي من أولاد خليف- على عدم تنفيذ هذه الأوامر الخطيرة، فإن الخليفة عبد الباقي عزم على تنفيذ هذا الأمر، فإستدعى أحمد بن سالم ويحي بن معمر ثم حوالي عشرة شخصيات أخرى من أعيان الأغواط تحت حجج مختلفة حتى لا يشعروا بما كان يضمر لهم، وكان يكبلهم بالحديد الواحد تلو الآخر حين وصولهم.

ولما علم بني الأغواط بذلك إشتد شططهم، وإنفجروا في مظاهرة عارمة كالبركان الهائج يدمر كل ما يعترض طريقه، لذلك قتل كل الجنود الذين إعترضوهم وفر الباقي ونجا بنفسه. أما الخليفة فقد أسرع إلى إطلاق سراح مساجينه عله يخفف من غضب الجماهير التي هاجمت منزله، ولولا براعة الآغا جديد والآغا الخروبي الذين إستطاعا إنقاذه لهلك هو أيضا. غنم بني الأغواط المدفع وبقية الأسلحة التي تركتها قوات الأمير وراءها وذلك سنة 1839.

ومعلوم أن الأمير عبد القادر في هذه الأثناء كان منشغلا بالحرب مع الفرنسيين لذلك لم يهتم بهذه القضية ولم يعين خليفة آخر على الأغواط، بل أسند الخلافة مرة أخرى إلى الحاج العربي الذي واصل الصراع مع خصومه وخاصة أحمد بن سالم الذي إستطاع في الأخير أن يحرز النصر على الحاج العربي ويقبض عليه في قصر الحيران ثم قام بإعدامه حتى يقضي على نفوذ الأمير في المنطقة نهائيا سنة 1842.

وبذلك أصبح أحمد بن سالم السيد المطلق بالأغواط. ومن أجل المحافظة على نفوذه من جهة وتفادي إنتقام الأمير منه من جهة أخرى بدأ يعمل على

إستمالة السلطة الفرنسية، حتى يضع نفسه تحت حمايتها، وقد إستجابت له مصالح الإستعمار لأنها تبحث عن مساعدة محلية تعمل على تحقيق أهدافها التوسعية.والملاحظة الأساسية التي يجب تسجيلها هنا، بعد عرض هذا التناحر بين الأخوة الأعداء هو أن أرواحا عديدة زهقت وإمكانيات وطنية هائلة هدرت باطلا، خدمت مصلحة الإستعمار الفرنسي في الجزائر فقط.

ولا شك أن هدر هذه الإمكانيات الهائلة، ساعدت على سقوط الأغواط في قبضة الإحتلال الفرنسي، والذي بدأ بالمرحلة الأولى كعادته وهي مرحلة الإستكشاف والتحضير للهجوم. بدأت هذه المرحلة بجولة الجنرال ماري - مونج (Marey Monge) قائد شعبة المدية العسكرية في شهر مارس 1844م مع طابور قوي من ألف وخمسمائة (1500) جندي.

وعند وصول هذه القوة العسكرية الفرنسية إلى قصر زكار أسرع أحمد بن سالم بإرسال أخيه إلى القائد العسكري الفرنسي ليقدم له الولاء ويطلب منه أن يمنحه منصب خليفة على الأغواط ويمثل السلطة الفرنسية ليس في الأغواط بقصورها الخمس(العسافية - قصر الحيران - الحويتة - تاجموت - عين ماضي) فقط، بل على الأرباع والحرازلة وبني مزاب.

أدرك الجنرال أهمية هذه المسألة فأسرع إلى إبلاغ رؤسائه، فبادر بإرسال يحي بن معمر إلى الجزائر العاصمة محملا بتقرير إلى الماريشال بوجو (Bugeaud)، الوالي العام للجزائر، والذي كاتب مباشرة بدوره، الماريشال سولت (Soult) وزير الحرب بباريس، ومما كتبه نذكر ما يلي:" فضلا عن ما تقدم لنا من ثروات فإن المناطق الأهلة في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا، كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه عبد القادر... وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاقا واسعة لإزدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية، ونعمل على حرمان عبد القادر من مصادره في هذه الأماكن." (25)

لذلك وافق الحاكم الفرنسي على كل الإجراءات المتخذة في هذا الشأن

وأعطى الأمر لتحضير بعثة عسكرية إستكشافية إلى الأغواط، أوكلت قيادتها إلى الجنرال ماري- مونج يوم 12 أفريل 1844م.

في الفاتح ماي غادرت البعثة المدية، وفي 14 ماي وصلت إلى بلدة تاقين، أين تمت عملية تنظيمها باللمسات الأخيرة، فتكونت من ألف وسبعمائة جندي، منهم مائة وأربعون من قناصة إفريقيا وأربع مائة فارس من القوم، مدعمين بألف وأربع مائة (1400) جمل والتي إستعملت لأول مرة لأغراض حربية لدى القوات الفرنسية (26)، ذلك أنها تتحمل العطش والجوع لمدة طويلة حتى لقب الجمل ب"**سفينة الصحراء**". غادر الطابور طاقين يوم 17 ماي، ليصل إلى تاجموت يوم 21 أين إستقبله أحمد بن سالم محاطا بأعيان الأغواط وقصورها.

وغاب عن هذا الإستقبال الشيخ التجاني، الذي أرسل ولاءه للجنرال. وأدركت السلطات الفرنسية قيمة الشيخ التجاني بإعتبار أن له شعبية ونفوذ معتبرين لدى الأهالي، لهذا يجب معاملته بشرف حتى يخضع نهائيا للسلطة الفرنسية، ويصبح صديق على أساس أنه عدو لعبد القادر، وعدو العدو صديق. لهذا يجب التعامل معه بحذر، حتى لا ينفر ويغلق أبوابه في وجه القوة الفرنسية.وبإشارة من أحمد بن سالم فإن الطابور الفرنسي لم يذهب إلى عين ماضي. وإنما بعث الجنرال وفدا من بعض الضباط بقيادة العقيد سانت آرنو (27) (Saint-Arnaud) للإطلاع على المكان وأخذ ما فرض من ضرائب وبسط سيطرة فرنسا على المنطقة.

تردد الشيخ التجاني في إستقبال هذا القائد المسيحي، ولكنه في الأخير إقتنع بحجج قائد الوفد، ومكنه من أن ينجح في مهامه. ثم عاد واستقبله الجنرال ماري مع الثناء، كما أن الجنرال أعاد إلى التجاني مادفعه من الضرائب.

في 23 ماي تحرك الطابور ليخيم في الحوتية، ومنها إلى الأغواط ليقيم فيه يومي 26 و27 ماي، وفي 28 ذهب الطابور ليخيم بقصر الحيران، ويوم 29 ببودرين، وكان يصحبهم في هذه الرحلة أحمد بن سالم.

وفي تقريره يشير الجنرال ماري (Marey) إلى الإعتراف بتعيين إبن سالم خليفة على المنطقة، لأنه يمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي في الأغواط بإعتباره شخصية مرموقة، وعدو لعبد القادر.

ومن أجل تقوية وضعيته فقد حدد له مرتب بثمانية عشر ألف (18000) فرنك وألفين وخمسمائة (2500) ف لكل آغا معين معه، بالإضافة إلى تسجيل عشرين فارسا ومائتي جندي من المشاة.

ويضيف التقرير أنه من خلال هذه الإجراءات يمكن إستخراج ثلاثة نتائج هامة هي :

1 - إخضاع كل سكان الجنوب والغرب، وهم مستقلين وثائرين.

2 - جذب التجارة الداخلية إلى الجزائر العاصمة، بدلا من توجه جزءا منها إلى تونس والآخر إلى المغرب.

3 - ترهيب السكان الذين يساندون عبد القادر، ويعتمد عليهم في هذه الأقاليم.

هكذا فإن إبن سالم يعتبر من أهم وأقوى قادة الجنوب، تسانده قوة عسكرية تقدر بألف ومائتين (1200) جندي وخمسمائة (500) فارس، وقطعة مدفعية .(28) ثم يضيف الجنرال في تقريره بأنه يجب تنظيم الأغواط حتى نجني ثلاث فوائد هامة هي :

1 - جعل الأغواط مركز تحرك عسكري وإداري، وسياسي، وتجاري.

2 - قطع كل الإتصالات بين الشرق والغرب، وأي تحرك في هذه المناطق يكون تحت أنظارنا وبمؤازرتنا.

3 - وضع المنطقة الأكثر تمردا في الجزائر مع أولاد سيدي الشيخ بين أيدي خليفة قوي مدعما بشعبة وهران.(29)

لكن الحرب الفرنسية - المغربية ومعركة إيسلي 1844م عطلت هذا المشروع، وإكتفت السلطات الفرنسية بتقديم الرواتب لأحمد بن سالم ومساعديه، حتى يتحكم في قصور الأغواط، كقصر الحيران والعسافية

والحوتية وتاجموت وعين ماضي، كذلك في قبائل الرباع والحرازلة وأولاد عطاء الله والسعيد عتبه.

وخلال سنة 1846م إستطاع الأمير عبد القادر أن يكسب تأييد أولاد نائل له بجنوب المدية عن طريق سي شريف بالأحرش. مما جعل أحمد بن سالم معزولا في منطقة الأغواط، ومنفصلا عن القوات الفرنسية في الشمال ورغم ذلك بقي مخلصا للسلطة الفرنسية.

وفي شهر فيفري 1847م عاود الجنرال ماري جولته إلى الجنوب من أجل إخماد ثورة سي موسى بوحمار * في مهدها جنوب المدية. وهو زعيم الطريقة الدرقاوية المنتشرة بكثرة عند بني الأغواط وأولاد نائل، وكادت القوات الفرنسية أن تقبض عليه ببلدة مسعد ولكنه إستطاع أن يهرب إلى متليلي، حيث إستقبل إستقبالا حارا من طرف مريديه.

إستطاعت السلطات الفرنسية أن تخلق نوعا من التنافس والتناحر بين بعض الزعماء والقادة الوطنيين. وقد لعب كل من الجنرال يوسف * والجنرال ماري مونج الدور البارز في هذا الشأن لتدعيم سياسة ((**فرق تسد**))، وأهم إنشقاق وقع في هذه الفترة حصل بين أحمد بن سالم وصهره إبن ناصر بن شهرة قائد الأرباع ؛وقد أدى كل ذلك إلى إضطرابات خطيرة بالجنوب وأحداث جسيمة بجنوب إقليم المدية وتزامن كل ذلك مع ثورة الزعاطشة. لذلك عزمت السلطات الفرنسية على القضاء عليها بكل الوسائل، للتفرغ بعد ذلك لقضية الأغواط.

ذلك أن خليفة الأغواط أحمد بن سالم قد قدم للسلطات الفرنسية تقريرا مفصلا عن بدايات الثورة في الجنوب بتاريخ أفريل 1851م. لهذا أسرعت الهيئات العسكرية لإعطاء الأوامر لتجريد حملة عسكرية من المدية تحت قيادة الجنرال لادميرول (**Ladmirault**) في شهر ماي 1851م.

وصل الطابور الفرنسي إلى الجلفة يوم 3 جوان، فإستدعى قائد الحملة كل قادة القبائل ومنهم خليفة الأغواط والآغاسي الشريف بالأحرش لتدارس

الموقف. وقد أبدى الجنرال ميله إلى إبن ناصر بن شهرة لتعيينه خليفة بالأغواط مكان أحمد بن سالم حتى يكسب وده غير أن الوالي العام لم ينس موقف أحمد بن سالم من فرنسا خلال الصراع المرير ضد الأمير عبد القادر ما بين سنوات 1846-1847م. حيث كان كل الجنوب الجزائري في غليان مشتعل بالثورة ضد الوجود الفرنسي، وكل السكان ضد التواجد الفرنسي ما عدا أحمد بن سالم الذي بقي مخلصا للفرنسيين (30) لذلك ثبته في منصبه.

ففي كل صيف يذهب الأرباع مثل باقي القبائل إلى التل لشراء الحبوب، وفي شهر جوان 1851م إغتنم الآغا إبن ناصر بن شهرة هذه المناسبة بتشجيع من الجنرال لادميرول للذهاب إلى الجزائر العاصمة، ليقدم شكواه إلى العقيد دوريو **Durrieu** المدير العام للشؤون السياسية بخليفة الأغواط وإدارته، غير أن الخليفة أحمد بن سالم لحق به وأحبط مخططه، تيقن إبن ناصر أنه لاجدوى من الفرنسيين، فإشترى ما يحتاجه من الحبوب ثم قفل راجعا، بعدما توعد فرنسا بالعواقب الوخيمة وحينما خيم مع أهله بالشهبونية قرب بوغار، أرسل له الجنرال لادميرول، الملازم كروس **(Carrus)** مع ثلاثين (30) صبايحي من المدية يوم 03 سبتمبر لأن كروس أدعى أنه صديق لإبن ناصر وخبير في شؤون العرب - بإعتباره يهودي- ويعرف كيف يؤثر عليهم، فلما إتصل به للمفاوضة ولإقناعه بالرجوع عن نواياه المبيتة تجاه فرنسا. لكن إبن ناصر وأخوه أبوبكر قد حضرا لهم كمينا، ليبرهن لهم عن قدرته القتالية، فجردهم من أسلحتهم وخيولهم وملابسهم عدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم ليرجعوا من حيث جاءوا مشيا على الأقدام، ليخبروا رؤساءهم بأن ((إبن ناصر بن شهرة قد رفض طاعة الفرنسيين، التي كلها مذلة وأهانة، ويلتحق بالسلطة الحقيقية التي تمثل الدين والإستقلال)) ويعني بذلك الحكم الوطني ممثل في المجاهد شريف ورقلة محمد بن عبد الله.*

كان الشريف محمد بن عبد الله آنذاك قد رجع من الشرق، واستقر بورقلة لمقاومة زحف الإحتلال الفرنسي، فإتصل به ناصر بن شهرة في الرويسات

(ورقلة) للتنسيق والعمل المشترك لإيقاف المد الفرنسي إلى الجنوب، وكان ذلك خلال شهر نوفمبر. (31)

رجع إبن ناصر إلى الأغواط واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها فإتصل به السكان من كل جهة، خاصة أعيان المدينة للتعاون معه، لأنهم يئسوا من التفاهم والتعايش مع الفرنسيين وعزموا على الثورة للتخلص من نفوذهم.

إستنفر محمد بن عبد الله سلطان ورقلة كل القبائل الجزائرية، مما جعل السلطات الفرنسية تتحذر من خطره وتتخوف من تحركاته ونداءاته على الجهاد المقدس. (32)

وعلى إثر هذه المخاوف أمر الوالي العام للجزائر الجنرال راندون Randon يوم 07 فيفري، الجنرال لادميرول بتشكيل طابورا متنقلا. (33)

فاستدعى هذا الأخير كل من قوم التيطري والتل وشكل منهم قوة تتألف من الف وخمسمائة (1500) فارس، وانضموا إلى قوم أولاد نائل تحت قيادة بن شريف بالأحرش.

وفي 22 فيفري تحرك الطابور المتكون من عدة سرايا وفرق عسكرية واتبع الجنرال لادميرول الطريق الذي سلكه زميله الجنرال مونج سنة 1844 لأنه قد قدم للمصالح الإستعمارية عدة معلومات ضرورية في عملية الإحتلال.

وصلت القوة الفرنسية إلى أسوار الأغواط يوم 04 مارس، وبعد أن تجولت في المنطقة عادت من حيث أتت، لأن الحملة كانت عبارة عن جس نبض قوة المقاومة، لهذا أخبر قائد هذه الحملة الدوائر الإستعمارية باهمية المنطقة، وحث السلطات الفرنسية على الهجوم لإحتلال الأغواط التي تعد العتبة الأساسية في الولوج إلى الصحراء والتوسع فيها.

دالي إبراهيم ديسمبر 1995.

الهوامش

1- E. Mangin, ((Notes sur l'Histoire de Laghouat)), in R.A. n= 37,(1893), p.360.

2- Rene Zannetaci, Contribution à l'étude de l'histoire de l'évolution de population de l'Annexe de L'Aghouat, Manuscrit à l'archive d'outre-mer, Aix, 10 H89, p.8.

3- MANGIN, Op.cit, p.372.

* الأغواط الأكسل: قبائل طردت من طرف بني هلال إلى ناحية البيض، وهم أربعة أعراش هي: أولاد مومن، الرزايقة، أولاد عمران، أولاد عيسى. أما إكسل فهم إسم الجبل بالبيض أنجذب إليه بني الأغواط |

4 - Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique Septentrionale, t. III, paris 1891, p. 138-139.

5 - Le General Philebert, Le General Margeritte, Paris, 1882. p.106. aussi voir MANGIN, Op.cit,p 374-375.

* سي الحاج عيسى، ولد بتلمسان سنة 1668 م وتوفي بالأغواط سنة 1737م وهو من العائلات العريقة بتلمسان، والده عيسى بن إبراهيم وامه السيدة محبوبة بنت سي الحاج بوحفص زعيم أولاد سيدي الشيخ. غادر تلمسان سنة 1694م فمر بمدينة وهران، ثم عرج إلى الأحرار ليمكث عندهم بعض الوقت ليرحل بعد ذلك إلى بن بوتا ويستقر بها نهائيا. بعد أن أخذ الذكر عن الوالي سيدي ناصر، وبذلك إنتشر ذكره في كامل القصور وإكتسب التقدير و الإحترام.

6 - Zannetacil, Op.cit, A.O.M., 10H89, p.11.

7 - Phillebert? Op.cit, p.107. aussi MANGIN, Op.cit, p.382

8 - Mangin, p.392.

9 – سي أحمد بن محمد التجاني، مؤسس الطريقة التجانية، ولد سنة 1737 م بعين ماضي وتوفي سنة 1814م، ويقال أن أصله من أشراف المغرب، كان عالما زاهدا، مشتهرا بالصلاح، وقصده الناس للتبرك: أسس طريقته سنة 1786م. له تاليف سماه ((الكناش)) ذكر فيه الآداب الصوفية، والحقائق الألهية.

وعند إحتلال فرنسا للجزائر، كانت الطريقة التجانية قد إنتشرت عبر مناطق عديدة بجبال عمور وقبائل الأغواط خاصة الأرباع وورقلة وتقرت وسوف وتلمسان وتوات والمملكة المغربية والجريد وتونس وغات وغدامس وطرابلس ومصر وسوريا.

خلف الشيخ أحمد التجاني ولدين هما محمد الكبير. ولد سنة 1796 ومحمد الصغير ولد سنة 1799، تولى سي محمد الكبير رئاسة الزواية بعد وفاة والده ودخل في صراعات حادة مع

هوامش

الحكومة العثمانية بالجزائر، ففي سنة 1822 إستطاع أن يهزم قوات الباي مصطفى بومرزاق باي التيطري الذي حاول محاصرة عين ماضي، وبعد خمس سنوات قتل سي محمد الكبير أثناء مواجهة عنيفة مع الباي حسن باي وهران تحت أسوار مدينة معسكر بسهل غريس فخلفه اخوه سي محمد الصغير، الذي يمتاز بقوة شخصيته مكنته من مواجهة الصعاب.

أنظر كذلك : L'encyclopédie de l'Islam

Louis RINN, Marabouts et Khouan, Alger 1884, p. 416

10 - Mangin, Op.cit, p. 396

*الحاج العربي، ينتمي إلى أولاد سرغين، وهو ينحدر من الوالي الصالح سي الحاج عيسى.

11- E.Mangin, ((Notes sur l'Histoire de LAGHOUAT)), in R.A. n= 38 (1894) p.79.

11- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، دار اليقضة العربية، 1964 ص 291 -12

12- .المصدر السابق، ص 292 -13

13- * .سيدي بوزيد: قصر صغير على سفح جبال عمور، قريب من زنينة

14 - Mangin, Op.cit, p.80.

15 - Arnaud, ((Siège d'Ain Madi, par El Hadj Abdelkader Ben Mohi-ed-dine)) in R.A n= 8 (1864). p.369.

16- شارل هنري تشرشل، *حياة الأمير عبد القادر*، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، تونس، الدار التونسية للنشر، 1974، ص 130-131.

17- Arnaud,Op.cit, p.445.

18 -محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ص 302

19 -المصدر السابق، ص 303.

20 -تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص 133.

21 -محمد بن عبد القادر، تحفة، ص 305.

22 -تشرشل، حياة الأمير، ص 134.

23 -محمد بن عبد القادر، تحفة، ص 305.

24 -نفسه.

25 - Mangin,Op.cit, p. 87.

26 - Ibid, p.88.

27 - Ibid, p.89.

28 - Ibid, p.95.

29 - Loc-cit.

* سي موسى بن حسن المصري، الملقب بإسم (بوحمار) صاحب الحمار. ولد بمصر ونشأ فيها قام برحلة إلى سوريا والقسطنطينية ثم عرج على الجزائر وطرابلس أين إلتقى بسي محمد بن حمزة قائد الطريقة الشاذلية الذي أقنعه بإتباع هذه الطريقة.

ومن الشاذلية إنبثقت الدرقاوية، فأصبحت الأولى خاصة بتونس وليبيا والثانية خاصة بالجزائر. وفي سنة 1829 وصل سي موسى إلى الأغواط وأولاد نائل، حيث أسس زاوية ببلده مسعد. وفي سنة 1845 واجه الأمير عبد القادر ودخل معه في معركة ضروس قرب جبل موزاية، إنهزم على إثرها سي موسى فالتجأ إلى مسعد ثم إلى الأغواط. واجه كذلك الوجود الفرنسي في الصحراء فشارك في ثورة الزعاطشة سنة 1849م، ولعب دورا هاما في تدعيم الشيخ بوزيان زعيم الثورة، وقد إستشهد، داخل الزاوية التي نسفها الجنرال هيربيون بالألغام، مع آخر شهداء الزعاطشة.

* إسمه يوسف جوزاف فنتيني (Yusuf Joseph Ventini) ، يقال أنه لقيط ويحتمل أنه ولد بجزيرة ألب (Elbe) بتوسكانا حوالي 1809م. وقع في قبضة القراصنة الذين باعوه في تونس، حيث اصبح مملوك الباي الذي رعاه أحسن رعاية، لكنه غدر به وفر سنة 1830 إلى الجزائر، عن طريق دسائس السفارة الفرنسية بتونس، ليشارك في الحملة على مدينة الجزائر كمترجم وقد وصل بعد الحملة فإنخرط في الجيش الفرنسي كمترجم. وفي ديسمبر 1830 نظم فيلقا من المملوكين ليترأسهم ثم أصبح ملازم آغا العرب في 17 ماي 1832. وترقى إلى قائد سرية ضباط فرقة الشرف في 14 أوت 1835، عين باي على قسنطينة سنة 1836 لينافس أحمد اي، ومن هنا بدأ يصعد في سلم الرتب العسكري، وخاصة بعد أن أخذ الجنسية الفرنسية في 18 فيفري 1838، فترقى إلى رتبة عقيد في 19 ماي 1843، ورتبة جنرال في 19 جويلية 1845 إلى أن أصبح جنرال فرنسا يوم 24 ديسمبر 1851 وبعد عام قلد وسام الصليب الكبير، ثم تولى جنرال الفرقة العسكرية يوم 18 مارس 1856، توفي بكان 16 مارس 1866.

أنظر. Trumelet, Le géneral Yusuf, Paris 1980

يرجع أصل إبن ناصر بن شهرة بن فرحات إلى قبيلة المعامرة المتحدرة من الأرباع. ولد سنة 1804 بقرية المخترق جنوب مدينة الأغواط بحوالي 8 كلم. وقد اشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم حتى جعلته قبائل الأرباع شيخا ورئيسا لهم، ثم تولى من بعده إبنه إبن شهرة باعتباره هو أيضا شخصية مرموقة، لهذا نشأ ابن ناصر في وسط يتفاخر فيه بالشجاعة والبطولة والفروسية والشهامة فضلا عن حفظه للقرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، كما تعلم مبادئ الفقه على مشايخ الطريقة القادرية التي ينتمي إليها وارتبط خاصة بشيخها أحمد الشاوي بالأغواط. مما جعله خصما للطريقة التجانية وأتباعها.

كل ذلك اهله بأن يكون هو أيضا قائد الأرباع. لهذا كان مطمح مصاهرة من القادة والمشايخ ومنهم أحمد بن سالم خليفة الأغواط آنذاك والذي أراد بمصاهرته تقوية صفه ضد أعدائه. تزوج أول مرة بنت أحمد بن سالم. وأنجبت له بنتا. ولما إصطدم بالنفوذ الفرنسي ورفض الخضوع له توجه إلى أعماق الصحراء للهجرة والجهاد وطلب من زوجته أن تتبعه

فرفضت فطلقها. وتوفيت بنته منها فيما بعد، وأثناء جهاده في الصحراء ضد الإحتلال الفرنسي منذ سنة 1851، توجه إلى مدينة ورقلة ليتحالف مع سلطانها محمد بن عبد الله على الكفاح ضد الوجود الفرنسي وتزوج ثانية من بنته المسماة الياقوت، وقد أنجبت له ولدين هما: محمد، قتل مسموما من طرف الدوائر الإستعمارية بعد رجوعه من بيروت. والثاني هو ابن شهر الذي إشترك مع الليبيين في الجهاد ضد الإحتلال الإيطالي واستشهد في طرابلس 1912. وبعد وفاة الياقوت تزوج ابن ناصر بالمرابطة نوة وهي من كريمات أولاد سيدي الشيخ، فقد أنجبت له فرحات ويحي وثلاث بنات وكان رحمة الله بطلا شجاعا، دام كفاحه على ما يربو من ربع قرن ضد الإحتلال الفرنسي من سنة 1851- 1875. واشترك في كل الثورات التي حصلت في هذه الحقبة، ولم يستطع الإستعمار أن ينال منه، لمعرفته التامة بخفايا الصحراء، فكان ابن ناصر الملاح الحقيق للصحراء. والجدير بالذكر أنه قد وجد المؤازرة والتأييد من الشعب التونسي في الجنوب خاصة الجريد ونفزاوه الذي أذن له بالركوب من مرسى حلق الوادي إلى بيروت. وذلك يوم 2 جوان 1875 مع الكبلوتي، واستقر بجانب الأمير عبد القادر وابنه محي الدين إلى سنة 1883. ثم توفي رحمه الله بالشام. أنظر

Louis Rinn, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algerie, Alger, 1891

كذلك: أرشيف الوطني التونسي: صندوق 212 ملف 237- صندوق 78 ملف 929 خزانة 7 وصندوق 212- اضمامة 139- خزانة 22- صندوق 223- اضمامة 384 - وبهم وثائق عديدة غنية بالمعلومات.

30 - Mangin, OP. cit, P. 105.

- من هو محمد بن عبد الله؟ إنه من أولاد سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة أهل الغسول، التي كانت خيامهم منصوبة شمال تلمسان.

إسمه الحقيقي حسب الوثائق الفرنسية، هو ابراهيم بن أبي فارس تارة وابراهيم بن عبد الله تارة أخرى، ويذكر محمد المرزوقي في كتابه، الصراع مع الحماية: ((أن محمد بن عبد الله تونسي الأصل من بلدة العوينة بمعتمدية دوز في نفزاوة وينتمي إلى المرازيق))، وتذهب بعض الروايات أنه من عائلة أولاد سيدي الشيخ، في عام 1840. كان رجل عادي لا ذكر له. استقر بتلمسان مع أسرته واشتغل طالبا أي معلم القرآن الكريم في زاوية سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ.

بدأ يظهر على سطح الأحداث، عندما كان أداة في يد آغا الغسول المعين من طرف الأمير عبد القادر في وظيفة إدارية صغيرة. وكان الآغا المسمى مولاي الشيخ علي يطمح إلى وظيفة سامية، لأنه كان غير راض بحكم البوحميدي خليفة الأمير على تلمسان ويريد منافسته، فاستمال إليه إبراهيم بن عبد الله، باعتباره شخصية لها نفوذ ديني، يمكن أن تزاحم الأمير، فعلا بعث محمد بن عبد الله، برسالة إلى ملك فرنسا لويس - فليب عرض فيها أنه على استعداد أن يكون خصما للأمير عبد القادر، ومناصرا للفرنسيين (أنظر الرسالة في المجلة الإفريقية، عدد [illegible] ص 432). وفي 15 ديسمبر عام 1841 حصل لقاء ما بين الكولونيل تمبور

(Tempour) حاكم وهران، ومولاي الشيخ علي، ومحمد بن عبد الله، ومصطفى بن اسماعيل زعيم الدوائر والزمالة والعدو اللدود للأمير، واتفقوا على التعاون في محاربة الأمير عبد القادر، ولذلك منحت السلطات الفرنسية لقب ((سلطان)) لمحمد بن عبد الله، ثم عينه الجنرال بوجو سنة 1842 خليفة على تلمسان بعد سقوطها في أيدي الفرنسيين، ويبدو أن هذا التعيين يعد مكافأة له على مساعدة التي قدمها مع أنصاره للفرنسيين أثناء حصار تلمسان. ولكن هؤلاء سرعان ما ارتابوا في إخلاصه ولم يطمئنوا لسلوكه، فتعرض للمضايقة دفعته إلى تغيير موقفه، وحمل لواء الثورة ضدهم فيما بعد، فلقد طلب منه حاكم تلمسان الجنرال بيدو أن يحلف على مصحف لتأكيد إخلاصه لفرنسا، كما طلب منه أيضا أن يترحم على الموتى الفرنسيين الذين قتلوا خلال حصار تلمسان في حفل دفنهم، ولكن السلطان محمد بن عبد الله رفض ذلك وقال: - حسب ما رواه العقيد ترومليي في كتابة الفرنسيون في القفار- : إنني معكم إلى أن يحكم الله بافتراقنا. ثم قرر الإعتكاف في ضريح مسجد سيدي أبي مدين شعيب ظاهريا، بينما كان يحضر مع أنصاره وأتباعه لتفجير ثورة في وجه السلطة الفرنسية، وبقي عدة سنوات بدون أي نشاط يذكر، حتى استيقظ الناس صباحا في إحدى الأيام من عام 1844، فوجدوا على جدران مدينة تلمسان العبارة التالية: محمد بن الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين. لهذا أرغمته السلطات الفرنسية على تغيير المكان وأشارت عليه بأداء فريضة الحج حتى يبتعد عن الجزائر، فغادر تلمسان غاضبا وحاقدا بصحبة عائلته، وقد إعتبر ذلك عبارة على نفي مذهب. فأقام بمكة المكرمة واتصل بعدد من الجزائريين المنفيين والفارين، منهم محمد بن علي السنوسي - صاحب الزاوية السنوسية- كما كانت له إتصالات بالعثمانيين، وتعاون الأطراف الثلاث على مقاومة الإستعمار فرجع إلى أرض الوطن مع الحاكم العثماني الجديد لطرابلس (عزت باشا) وبمباركة السنوسي ودخل إلى صحراء الجزائر حوالي 1850، وصادف ذلك وفاة سلطان ورقلة الحاج أحمد بن بابية تاركا السلطة في يد للازهرة، التي عرضت منصب السلطان على محمد بن عبد الله فقبله، ومن هنا عرف بإسم سلطان ورقلة. أخذت هذه المعلومات من دراسات عديدة منها :

Louis Rinn, Insurrection de 1871 en Algerie, Alger, 1891.

31 - Ibid, pp 276-277

32 - A.O.M., 1H 11, n° 275

33 - Memoires du Marechal RANDON, Tome premier, Paris, 1875, p. 155.

رموز مجهولة من زعماء المقاومة الشعبية

بقلم الاستاذ بوضرساية بوعزة
مدير معهد التاريخ جامعة الجزائر

لقد ارتكزت جل الدراسات التي تناولت موضوع المقاومة الشعبية المنظمة منها وغير المنظمة على شخصيات جزائرية بارزة كان لها الدور الفعال في اثارة القبائل ضد الاحتلال الفرنسي منذ ان وطأت أقدامه أرض الجزائر عام 1830، وكانت أولى ردود الفعل الجزائرية ضد الاستعمار، تتمثل في معركة أسطوالي الشهيرة التي إلتقى فيها الجزائريون بقوات العدو الفرنسي، لكن سوء التنظيم في صفوف الجزائريين وضعف قائدهم ابراهيم آغا. صهر الداي حسين زاد الطين بلة ومكن قوات العدو تحت قيادة الكونت ديبرمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر من الوصول الى العاصمة واحتلالها امام مرأى ومسمع من الداي حسين باشا، هذا الاخير الذي إستسلم للأمر الواقع وامضى مرغما معاهدة الاستسلام المشؤومة في 5 جويلية عام 1830.

هذه الوضعية التي آل اليها الجزائريون والتي تسبب فيها بالدرجة الاولى حكامهم وولاة أمورهم، دفعت بالقبائل العربية ومنذ الوهلة الاولى الى ردود الافعال هاته في القيام بثورات عارمة معبرة من خلالها عن تذمرها الكبير من الهمجية الفرنسية، فكانت اولى المقاومات الشعبية مقاومة سكان متيجة، لينتشر لهيبها في ربوع الجزائر كلها (1)، واذا كان الامير عبد القادر والحاج احمد باي غطيا جزءا كبيرا من المقاومة الشعبية، فهناك شخصيات ثورية كان

لها شأن كبير في استمرارية هذه المقاومة غير أنها بقيت مغمورة عن قصد او عن غير قصد (2).

وفي هذا المنحنى رأينا أنه من الضروري التطرق إلى بعض الجوانب المغمورة لهذه المقاومات الشعبية ونفض الغبار عليها وذلك بتسليط الضوء على بعض الزعماء الوطنيين المجهولين الذين حملوا لواء الجهاد وقادوا معارك ضارية ضد قوات الإحتلال الفرنسي، معتمدين على بعض الوثائق الأجنبية وماكتبته التقارير العسكرية بالدرجة الأولى وذلك في غياب المصادر الجزائرية.

الشيخ عبد الحفيظ:

ولد الشيخ عبد الحفيظ بالخنقة المسماة حاليا خنقة سيدي ناجي بضواحي مدينة بسكرة، تربى وترعرع في بيئة عربية صحراوية، نشأ على حب الدين وحفظ القرآن الكريم، وكان رجل قومه، قوي الشكيمة ذا سمعة طيبة بين القبائل يستشار في كل ضغيرة، ويحل المنازعات الناشبة بين القبائل منها وساطته الناجحة بين قبائل المعامرة وقبائل بني معافة وعلى الأرجح أن علاقته بالحاج أحمد باي كانت وثيقة جدا بناءا على القرابة بينهما (3)، وهذا الأمر ساعد كثيرا الشيخ عبد الحفيظ في جلب القبائل حوله، وتجميعهم في قوة ضاربة وتحت راية الجهاد ضد العدو الفرنسي. وفي هذا الشأن تمكن من ضم بعض قبائل الأوراس إلى منطقة الزيبان كمرحلة أولى ثم كسب ود إخوان الطريقة الرحمانية كمرحلة ثانية، وهذا ما مكن الشيخ عبد الحفيظ من تشكيل قوة كبيرة من المقاومين الذين جعلوا منه الرأس المدبر لكل عملياتهم العسكرية (4)، وقد إختار هؤلاء المجاهدون، الذين أطلقت عليهم فرنسا أنذاك إسم العصاة، منطقة الزاب القبلي قاعدة لمقاومتهم خاصة وأن جبل أحمرخدو المجاورلهذه المنطقة سوف يضمن لهم إلى حد كبير العودة وفي أي الظروف كما أنه مكان آمن بالنسبة لهم من خطر الهجومات الفرنسية.(5)

نظرا لمكانته الإجتماعية إستطاع الشيخ عبد الحفيظ من إحداث تغيرات على عقلية القبائل لكونه مرابطيا لذا لبت نداء الجهاد وإنضمت مع بعض المرابطين في تحالف قاده هذا الأخير ضد القوات الفرنسية كما تمكن من التأثير على أولاد عتيق في التمرد على الشيخ بلفمري الذي كان عميلا مخلصا للإستعمار الفرنسي، (6) وبالتالي فإن جل التحركات التي كان يقوم بها المقاومون كانت تصل بأسرع من البرق إلى الأهالي والذين بدورهم كانوا يتتبعونها ويتباهون بها.

في 17 سبتمبر من عام 1849 م، تمركز الشيخ عبد الحفيظ في منطقة سريانة .(7) وكمرحلة أولى، كان يجمع القوة اللازمة التي تمكنه من الهجوم على القوات الفرنسية وفي أي منطقة تتواجد فيها، وقد استطاع جمع حوالي مائتي فارس إلى جانب العديد من الصاغة.(8)

والظاهر أن هدفه من ذلك التجمع هو إخراج هذه المقاومة من حيزها الضيق إلى نطاق أوسع، فمن واحات سيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي، إلى كل الواحات المجاورة بما في ذلك بسكرة التي كانت في تلك الفترة معسكرا مهما بالنسبة لقوات الإحتلال الفرنسي. وهذا الأمر كان يهدد التواجد الفرنسي، حسب تأكيدات الكولونيل باريل دي برتيزيل بقوله ((وبسكرة نفسها التي إنصاع سكانها بكل سهولة. فخادمنا الأمين بن شنوف أصبح مهددا بالخطر. (9)

لقد إستطاع المرابط الشيخ عبد الحفيظ الذي كان مقدم إخوان الرحمانيين في خنقة سيدي ناجي، أن يتحرك مع أنصاره ضد الحامية الفرنسية المتواجدة في بسكرة، لكن خبر الهجوم وصل السلطات الفرنسية المرابطة في المنطقة لذا إستعدت له بقوة تفوق قوة المقاومين، بناء على التقارير التي وصلتهم عن إستعدادات المجاهدين من طرف العيون التي وضعتها فرنسا لرصد تحركات المقاومة ومنها تحركات بن شنوف قائد الزاب الشرقي. (10)

ومع ذلك فإن الظروف لم تنل من عزيمة الأهالي في دحر الإستعمار رغم قوته الكبيرة ومرد ذلك هو كراهية العرب للفرنسيين المحتلين التي وصلت ذروتها بعد إنتهاك حرماتهم وإغتصاب أراضيهم مما جعلهم يشاركون بكل نفس ونفيس في جل المقاومات، وعلى هذا الأساس كان الغضب الجماهري عنيفا وعفويا، مثلما حدث في منطقة طولقة وفرفار وليشانه وبوشقرون والواحات المجاورة، وهذا ما أوضحه التحالف والتضامن العضوي بين بعض زعماء هذه الإنتفاضات، فالشيخ عبد الحفيظ تحالف مع الشيخ بوزيان أولاد جلال وسيدي خالد إلى جانب تضامن القبائل المجاورة مع بعضها البعض مثل قبيلة السالمية وبراهم وبوعزري، وهي قبائل رحل (11)، إلى جانب هذا التحالف نجد تحالفا آخر يتمثل في قبائل أولاد زيان وبني موسى وبني فراج وبني يحيى وبني زكري والخضر الحلفاوية، ثم تضامنا آخر كذلك يتمثل في تحالف بني وجنة وأولاد داوود وهي أكبر القبائل في الأوراس، إلى جانب أولاد عبدي، وكذلك قبائل بلزمة، يضاف إليها أربعمائة (400) رجلا من أولاد ساسي (12).

ورغم مزاعم الفرنسيين، بأن الثروات التي إندلعت ما هي إلا تمرد قام به قطاع طرق ولصوص، فلماذا كان رد فعلها عنيفا؟

معنى ذلك أن هذه الثورات ليس كما إدعت فرنسا وإلا لما زجت بخيرة ضباطها - في حروب أو تمردات - كان المآل فيها الموت الشنيع لهم، وهذا ما حدث للقائد (سان جرمان) (13) الذي لقي مصرعه على يد الشيخ عبد الحفيظ في معركة حامية الوطيس، فقدت فيها فرنسا العديد من جنودها، فقد حاول الرائد سان جرمان إثبات جدراته في هذه المعركة، حيث خرج إلى المقاومين على راس ثلاثمائة (300) رجل وفيلقين من الفرقة الأجنبية، ومائة وتسعة وعشرون (129) حصانا، والفرقة الثالثة للقناصة والفرقة الثالثة للفرسان الصباحية واكثر من مائتي (200) حصان مع فرنسا من القوم (14).

وقد أعد عدته يحذوه في ذلك غرور العظمة، وأنه الشخصية التي فرضت نفسها على الجنوب كله، غير أن هذا الحلم لم يتحقق أمام قلة من الفرسان والمشاة من المقاومين الجزائريين تحت قيادة الشيخ عبد الحفيظ هذه القوة التي لم تتجاوز المائتي رجل فقط (15).

وفي المعركة لقن المقاومون جنود الإستعمار درسا في الشجاعة والوطنية وإنتهت بقتل قائدهم سان جرمان، وتشتت قوتهم، ونظرا لتخوف الشيخ عبد الحفيظ من وصول المساعدة إلى المنهزمين، فكر في الإنسحاب رافعا راية النصر بعد أن كبد العدو خسائرا في العتاد والأرواح (16).

ومن المؤكد تاريخيا، أن جل الإنتفاضات القريبة العهد بمقاومة الحاج أحمد باي وما هي في الحقيقة إلا إنعكاس لها، بإعتبار المناطق التي كانت مسرحا للإنتفاضات في أغلبها مناطق خاضت المقاومة إلى جانب الحاج باي. وتأثرت به إلى درجة كبيرة، فحذت حذوه في النضال والتضحية على الرغم من أن زعمائها كانوا يدركون أنهم لم يستطيعوا هزم العدو لما له من قوة منظمة، جعلته يقف على منصة التفوق العسكري، في الوقت الذي كان ينقص هذه المقاومات التنسيق العسكري وتظافر الجهود في إطار خطط محكمة، متجاوزة نسقها العفوي الحماسي الذي ما إن وصل إلى مرحلة معينة حتى ينطفئ نوره، كذلك فإن هذه الإنتفاضات لم تأخذ العبرة من الماضي، خاصة وأن هذه القبائل عاصرت مقاومات دوخت حقا الإستعمار منها مقاومة الأمير والحاج أحمد باي، ولوتظافرت جهود هذين الزعيمين لتمكنا من طرد الإستعمار حتميا، لكن الإنفرادية والعزلة قضت على هذه المقاومات في أسرع وقت، هذا إلى جانب خلو هذه الإنتفاضات من الخطط العسكرية الحديثة وعدم الإعتماد على ما يسمى بالخداع الحربي.

وهكذا، ورغم ضراوة الحرب التي أشعلها المقاومون، ورغم تحالف بعضهم قصد القضاء على العدو، تبقى الأسباب التي ذكرناها المؤشر الوحيد الذي حكم عليها بالفشل.

الشيخ سي موسى بن عمر:

لقد ورد ذكره في كتاب كفاح الجزائر من خلال الوثائق للأستذ يحي بوعزيز في صفحة رقم 20 معتمدا حسب إعتقادنا على كتاب تاريخ المدن للمؤرخ الفرنسي فيرو، لكن دون أن يحضى بقسط وافر من الإهتمام والكتابة وقد ذكره صاحب كفاح الجزائر بإسم الشريف سي موسى الأغواطي (17) وسي موسى بن عمر الأغواطي هذا كان مرابطيا وأعلن الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي وقد واجه عساكر الدوق دومال متحدة مع قوات الكولونيل كربوسيا وما كان في وسعه إلا الإلتحاق بالشيخ سي عبد الحفيظ في منطقة مشونش الذي كان مرابط هناك مع قبائل توابة وبني سليمان والسراحنة والشرفة وبني مسكن وغسيرة وأحمد وأولاد زيان الظهارة (18).

وقد إنتقل إلى قطاع سطيف حيث راجت أخبار وصوله هناك وتعاون مع مولاي محمد (19) ألذي كان مرابطا في المنطقة وخاض معارك ضارية ضد فرنسا وأعوانها أمثال بوعكاز بن عشور ومنصور بن عبيد (20).

وكان الشريف سي موسى بن عمر الأغواطي مقيما في البداية في متليلي التي غادرها في إتجاه بوسعادة حيث تواجه الشيخ بن شبيرة الذي أعلن الجهاد ضد القوات الفرنسية (21) لكن الشريف سي موسى لم يمكث طويلا في بوسعادة ومنها إنتقل إلى سطيف ثم إلتحق بمقاومة الشيخ عبد الحفيظ في منطقة الزيبان (22).

وإذا حاولنا عد الحملات التي قامت بها السلطات الإستعمارية الفرنسية آنذاك ضد هذه المقاومات الشعبية المغمورة لما إستطعنا ذلك نظرا لإتساع رقعتها وتعدد زعمائها من جهة ومن أخرى تجنيد فرنسا لخيرة أبنائها من كبار الضباط منهم على سبيل المثال لا الحصر، الجنرال هربيون والكولونيل برال والكولونيل كانووبر ثم الكولونيل دوماس والكولونيل كربوسيا وكذلك الرائد سان جرمان (23).

وإثر مرور الشريف سي موسى بن عمر ببوسعادة لقي الترحاب من طرف أولاد عمر ابن فراج وهو في طريقه إلى الزعاطشة لمساعدة الشيخ بوزيان وكان معه عدد مائة رجل وعشر فرسان.هذا إلى جانب تزعمه المقاومة في سطيف وبني يعلى منذ عام 1845 وقد إلتجأ بعدها إلى ورقلة (24).

الشيخ الصادق بلحاج:

جاء ذكره في التقارير العسكرية الفرنسية ومنها التقرير 68 المؤرخ في 15 ديسمبر 1849، حيث يذكر هذا التقرير ما يلي:"في أحمر خدو والزاب الشرقي هناك رجل لابد من الحذر منه ولابد أن نكون حذرين ومتفطنين، إنه الصادق بلحاج، وهو مرابط من أولاد يوب ومقدم إخوان سيدي عبد الرحمان (25). ولكن على الأرجح أن يكون الشيخ الصادق بلحاج قد إلتحق بسي عبد الحفيظ الذي إلتفت حوله مجموعة من المرابطين الزعماء، وقد عمل هذا الشيخ على مساعدة هذا الأخير في منطقة أحمر خدو وكذلك الزاب الشرقي، إذ قام بتحريض السكان وحثهم على الجهاد وحمل السلام ضد الإحتلال الفرنسي الذي حاولت سلطاته إغراء هذا الأخير بالمال والمنصب مقابل رمي السلام، لكنه رغم الإغراءات الفرنسية، وفضل الشهادة في سبيل الله والوطن. ورفض حتى الذهاب إلى بسكرة كمرحلة أولى في طريق الإستسلام، وفي هذا الشأن يقول أحد الفرنسيين العسكريين ما يلي:" الكل " يكن " لنا الكراهية، ويشعر بالخطر تجاهنا." (26).

لقد لعبت الجبال دورا كبيرا في تأمين المقاومين وهذا ما حصر نظرة العدو المحتل فيما يخص مراكز هذه المقاومات في الجبال على إعتبار أنها المأمن الوحيد للمقاومين، حيث تعقد الإجتماعات وتوضع التخطيطات العسكرية لمواجهة العدو وبذلك كانت تبعث الوسائل إلى القبائل ترسل الوفود إلى الأسواق المحلية لحث السكان ضد المسيحيين وما جاءوا به من كفر وإلحاد وفساد وعبودية (27).

والحقيقة أن هـذا التحرك الذي قام به المقاومون جاء أكله على جميع الأصعدة، فالأسواق كانت بالدرجة الأولى وسيلة ناجحة لنشر الأخبار لأنها كانت مقصد البائع والشاري من كل قرية وقبيلة، وهذا ما زاد في نار المقاومة إشتعالا وبسرعة فائقة بين القبائل المجاورة حتى أن العديد منها وبالأخص التي كانت خاضعة لفرنسا أعلنت تمردها وإنظمت إلى صفوف المقاومة، وقد أكد هذه الحقيقة التاريخية إحد التقارير الفرنسية التي جاء فيها مايلي: "هـؤلاء المتعصبين المتمردين يريدون بشكل أو بآخر تنظيم التمردات بكل السبل وآخرها كان عن طريق السرقة والقتل والنهب، وهذه الحالة تفوق كل الحالات العادية" (28).

ويضيف نفس التقرير مايلي: "لقد وضعنا مشروعا لإرسال حملة عسكرية كان الهدف منها هو ضرب القبائل المتمردة بكل قوة حتى نتمكن من فرض الإستقرار" (29). لكن هذه النعوث التي أطلقتها فرنسا على المقاومين لم تؤثر البتة عليهم بل زادتهم عزيمة وقوة في مواصلة الجهاد رغم عدم التكافوء في العدد والعدة.

الهـــوامـــش

1 - سعد الله تاريخ الجزائر الحديث "بداية الإحتلال."

2 - هناك محاولة قام بها الأستاذ يحي بوعزيز تستهل الإشـارة، والمتمثلة في إلقـاء الضـوء علـى بعض الزعماء المغمورين جاءت تحت عنوان المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائـري. أنظر كتابه كفاح الجزائر من خلال الوثائق الموسسة الوطنيـة للكتـاب الجزائـر 1986، ص 13 إلى ص 44.

3 - Archives d'outre mer, H, 1H6, Document N-98

4 - Ibid

5 - A.O.M 1H 6 Document N151.

6 - Ibid

7 – سريانة هي المنطقة التي توجد على ضفة واد بيراز التي يوجد بدوره خارج بسكرة بحوالي 20 كلم.

8 – كلمة صاغة وجدناها في إحدى التقارير هكذاSagas ، والمقصود بها تجمع.

9 - A.O.M Serle H sous Serle 2H25 Journal des opérations de la colonne expeditionnaire des Zibans, Sept, Oct et Novembre 1949 par le Colonel Barrel De Bretizen chef d'état major.

10 - A.O.M 2H25.

11 - A.O.M Serle H Sous Serle 2H25, Opérations du Colonel Barl De Bretizen

12 - Ibid.

13 – أعتبر سان جرمان أول قائد أعلى في الجنوب، حكم بسـكرة مـدة أربعـة سـنوات. وقـد أثبت مهارة وقدرة فائقتين، حيث تمكن من إستمالة بعض القبائل بذكائـه الخـارق، وقـد راوده حلم كبير تمثل في تكوين حكومة مستقلة في الجنـوب، وأن ينفـرد بحكمهـا لوحـده. وقـد ذاع صيته حتى وصل نواحـي تقـرت، جـاعلا مـن منطقـة التـل الحـد الطبيعـي لدولتـه الصحراويـة الجديدة. أنظر في ذلك:

14 - A.O.M. Serle H Sous Serle 2H25, Opérations du Colonel Barel De Bretizen.

A.O.M. Serle H Sous Serle 2H25, Opérations de la colonne Expeditionnaire des Zibans,Sept,Oct,Novembre 1849 par le Colonnel De Bretizen chef d'état major.

15 - A.O.M. 2H25 journal des operations.....Op.cit

16- A.O.M. 2H25. Ibid

17 – بوعزيز: المرجع السابق ص 20.

18 - A.O.M. THG. Document N 151

19 – يعتبر الشريف مولاي محمد من رفاق البطل بومعزة زعيم المقاومة في منطقة جبال الظهرة والونشريس وحوض الشلف خلال النصف الأول من القرن 19.. للمزيد أكثر عن هذه الشخصية أنظر بوعزيز المرجع السابق ص 20.

20 – نفسه ص 20.

21 – نفسه، ص 23

22- A.O.M. 1H6. Document N= 151

23 - Ibid.

24 – بوعزيز ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 دار البعث 1980، ص ص 59-68.

25 – المقصود بإخوان سيدي عبد الرحمان هي الزاوية الرحمانية التي هيمنت على الشرق الجزائري خلال العقد الأول من القرن 19، حول هذا التقرير أنظر H6, Doc. N= 151

26 - A.O.M. 1H6. Document N=151

27 - A.O.M. 1H6. Document N = 151 .

28 - Ibid.

29 -Ibid.

الإستراتيجية الدفاعية الفرنسية

ومكانة الجزائر فيها

بقلم : عبد المجيد شيخي

بسم الله الرحمان الرحيم

يأتي هذا اللقاء ليرفع الغطاء عن حدث كاد النسيان أن يطويه رغم أهميته والهول الذي أحدثه في وقته والأثار التي خلفها في الأجسام والنفوس والطبيعة، لذلك فإن تناول هذا الحدث في هذا الوقت بالذات يطرح مسألة منهجية بالنسبة للدراسة العلمية، هل نتناول الحدث في حد ذاته أم نتعداه إلى ما يمثله في إطار سياسة عامة للدولة التي أقدمت على إقتراف جريمة نكراء في حق الشعب الجزائري، جريمة لا تقل بشاعة وشناعة عن جريمة الولايات المتحدة الأمريكية في حق الشعب الياباني بتفجير قنبلة هيروشيما سنة 1945 وأرى أن الحدث في حد ذاته واقعة تاريخية تمت وانتهت رغم أن آثارها مازالت واضحة في عين المكان، لذلك قد يكون من المفيد أن نضع هذا الحدث في إطاره الحقيقي وهو إستراتيجية الدفاع الفرنسية، وماهو المكان الذي كان خصص لبلادنا في هذه الإستراتيجية، والحرص كل الحرص هو ربما فتح آفاق جديدة للبحث التاريخي في مواضيع لازالت عذراء تنتظر أن يتطرق لها الباحثون وسيساعد ذلك ولا ولاشك على فهم كثير من جوانب تاريخ الجزائر المعاصر وتسليط الأضواء على نوايا وأهداف لن تظهر أبدا إذا بقي

البحث التاريخي يتناول مواضيع إستهلكت وصارت لاتستهوي النفوس، إلا قليلا، لأننا طالما تمسكنا بالحوادث والأعمال البطولية والمقاومة الباسلة التي خاضها شعبنا لانتزاع إستقلاله فحصرنا نضالنا هذا في رقعة ضيقة تتصل مباشرة بمعاناة شعبنا ولم نوسع دائرة البحث لنقيم مغزى الأحداث والمقاصد المرسومة - فبالنسبة لثورتنا التحريرية، لقد بات من المؤكد أن السلطات الإستعمارية كانت واثقة من أن إستقلال الجزائر أت لا محالة، وقد أيقنت بذلك في أواخر سنة 1956 ومنذ هذا التاريخ كانت تعمل على تحضير البدائل، وإعداد التحولات اللا زمة في إستراتيجيتها العامة حتى لايكون ضياع الجزائر وخيما على مركز الدولة الفرنسية كدولة عظمى، وحتى لايهتز المجتمع الفرنسي من الداخل بوقع الصدمة- وإذا كان لابد من تقديم دليل على ذلك فإننا نرى ثلاثة أدلة قاطعة في هذا الموضوع، قد تكون لنا فرصة أخرى لتوضيح أبعادها كاملة. لذلك نكتفي بذكرها فقط :

1- قرار إلغاء البلديات المختلطة وإستبدالها ببلديات عادية، وذلك حتى تتوحد الأنماط الإدارية بين الجزائر وفرنسا. وقد يرى البعض في هذا دليلا على نية الإندماج وليس الإستقلال، ولكننا نرى في ذلك العكس وهو بقاء النمط الإداري الفرنسي في الجزائر حتى بعد الإستقلال.

2- التعليمات الصادرة من رئيس الحكومة الفرنسية بضرورة تحويل الوثائق الهامة إلى فرنسا لأن إستقلال الجزائر بات وشيكا.

وفي نفس الوقت لابد من إعداد العدة لبقاء الدولة الفرنسية ضمن نادي الدول العظمى وذلك بتطبيق برنامجين أساسيين :

الأول: إقتصادي وهو أن تصبح فرنسا دولة بترولية فكانت المناورات لفصل الصحراء عن الشمال والإستئثار بالثروة البترولية.

الثاني: عسكري وهو تنفيذ البرنامج النووي وكما نرى فإن هذين البرنامجين مركزهما الجزائر.

لذلك فإني سأتناول في قسم أول : معالم الإستراتيجية الفرنسية في الدفاع وفي قسم ثان: المؤثرات الدولية على هذه الإستراتيجية والتعديلات التي أحدثت عليها.

القسم الأول : *معالم الإستراتيجية الفرنسية التقليدية*

لقد شاءت الأقدار أن تلتقي بلادنا مع فرنسا منذ وقت ليس بالقصير، وكانت بينهما قصة وقصص، بل أكثر من ذلك: تاريخ. وليس من المبالغة، القول بأن المشوار الذي قطعه البلدان مع بعضهما البعض على مدى قرون طويلة من العلاقات، كند للند، أو في إطار الإستعمار، إن هذا المشوار إذن، أحدث أوضاعا معينة كانت سببا مباشرا أو غير مباشر في تطورات خطيرة في بعض الأحيان في المنطقة كلها - كما أن ليس من المبالغة القول بأن كلا البلدين كان يحسب حسابا للبلد الأخر، بل أنه ربما شكل جل إهتماماته، لسبب أو لآخر، - ذلك أن منطق القوة ساد منطقة البحر الأبيض المتوسط منذ عصر ماقبل التاريخ، ولم يغب هذا المنطق قط إلى يومنا هذا ولو أن شكله تغير شيئا ما ، كما أن الوسائل المستعملة تغيرت أيضا. وإذا كان التاريخ قد بخل علينا بالوثائق لنعرف تفاصيل الصراعات العنيفة المريرة التي دارت رحاها في حوض البحر الأبيض المتوسط والتي كان لبلادنا الباع الطويل فيها، فإن القليل المتوفر لدينا يمكننا من تقرير حقيقة ثابتة، وهي أن المرحلة التي شهدت دخول الجزائر وفرنسا ميدان العلاقات الدولية في نهاية العصور الوسطى، شهدت أيضا إكتمال الوحدة الوطنية بالنسبة للبلدين، وأن هذا عامل قوة لايستهان به، كما أن مطلع هذه الفترة - القرن السادس عشر-شهد أول تحالف عسكري مبني على المصلحة السياسية ولم يدخل فيه عامل الدين في الحسبان - فقد تحالف الملك فراسوا الأول ملك فرنسا مع الجزائر- رغم الإختلاف الديني- لإكمال الوحدة الوطنية الفرنسية باسترجاع منطقةNice و Savoie من الإيطالين كما أن السلطة المركزية أصبحت معترف بها في

فرنسا للملك وفي الجزائر للبيلرباك، الأمر الذي يجعلنا نجزم رغم أن هذا الموضوع لم يحظ بعد بالدراسة الكافية والإهتمام اللازم من طرف الباحثين الجزائريين، قلت أنه لابد لنا من الجزم بأن أول الدول التي أكملت وحدتها الوطنية في حوض البحر الأبيض المتوسط وخاصة في جانبه الغربي هي فرنسا والجزائر، الأمر الذي يجعل علاقاتهما تسير حسب الظروف وتتأرجح بين السلم والحرب. إلا أن ظروف البلدين الداخلية والخارجية لم تكن متشابهة، إذ كانت نية التوسع لا تبرح خيال الملوك الفرنسيين وذلك لعدة أسباب منها المذهب الديني وكذلك الإحساس بالإختلاف أو الإستقلال الجنسي أو العرقي إن شئتم، يضاف إلى ذلك الأطماع السياسية، ففرنسا كانت تواجه عدوا لدودا ويتمثل في الإنكليز، وتريد التوسع في الإمارات الجرمانية التي لم تبدأ في التوحيد إلا في القرن التاسع عشر، وكذا الأمر بالنسبة لإيطاليا، أما في الجنوب فلفرنسا أطماع على عرش إسبانيا في القرن السابع عشر الأمر الذي سيؤدي إلى حروب دامية تنتهي بمعاهدة وستفاليا سنة 1648 التي كما هو معروف هي حصيلة ثلاث مؤتمرات أوربية سجلت نهائيا ثلاث حقائق:

1 - الهيمنة الفرنسية على السياسة الأوربية.

2 - بداية تقلص القوة العثمانية وبداية عصر " **الرجل المريض.**"

3 - الإشهاد بأن الجزائر أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت.

سقت هذا الحديث لأوضح أسس الإستراتيجية الفرنسية ومنطلقاتها وهي :

1 - أن فرنسا ذات وضع متميز في أوربا ولامنافس لها سوى بريطانيا والمنافسة بحرية فقط مما يترك لها اليد الطولى في القارة الأوربية، وعليها إذن أن تقوى نفوذها في أوربا الوسطى وغلق جميع الأبواب في وجه روسيا التي تريد دائما الوصول إلى المياه الدافئة كما تسميها وهي خاصة البحر الأبيض المتوسط.

2 - تحقيقا لذلك عليها أن تحدث توازنا مع أقوى دولة في ذلك الوقت وهي الجزائر سيدة البحر الأبيض المتوسط، مع عدم إثارة أزمات مع " الباب العالي " أي الخلافة العثمانية.

لكن منطق القوة لا يغادر الأذهان لدى حكام فرنسا في جو كانت الجزائر في أوج قوتها فتهب فرنسا للذود عن أوربا وهي في ذلك تحقق مكسبا أساسيا ومخفقا وهو عدم التعرض للإدانة من طرف الدول الأوربية بسبب الحروب النابليونية بعد الثورة الفرنسية، فتحول بذلك الأنظار إلى الجزائر مؤكدة على أنها العدو الحقيقي، وهكذا يتحول مؤتمر فيينا لسنة 1815/1814 إلى منبر لادانة القرصنة الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط، فيجتمع بعد ذلك مؤتمر أكس لاشابيل AIX LA CHAPELLE سنة 1818 الذي سيشهد تحالف 30 دولة ضد الجزائر، وتقرر هذه الدول القضاء نهائيا على الدولة الجزائرية بطلب مباشر من وزير خارجية فرنسا TALAYRAND وبإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية.

وسيتم إحتلال الجزائر في الظروف التي نعرف وبالتفاصيل التي تذكرها كتب التاريخ فكانت النتيجة في ميزان القوى في العالم كمايلي:

1 - أن فرنسا كدولة متوسطية صارت سيدة البحر البيض المتوسط بدون منازع، إذ أن الإنكليز والروس لم يدخلاه بعد فالإنكليز كانوا يبحثون عن مراكز فقط لرسم طريق إلى الهند فاستولوا على جبل طارق ومالطا وستعطي لهم قبرص من طرف الباب العالي، أما الروس فقد كان لهم الإنكليز وفرنسا والنمسا بالمرصاد فضلا عن حروبهم مع الدولة العثمانية.

2 - إن الإستلاء على الجزائر يفرض على فرنسا أن تعد العدة سياسيا وعسكريا للمحافظة على مستعمراتها الجديدة فبدأت بفرض الحياد على جيراننا شرقا وغربا، تونس والمغرب ومن الجنوب بدأت في وضع شبكة حول الحدود الجنوبية الجزائرية في سياسة إستعمارية تضمن لها الإستيلاء على النيجر ومالي والنيجر وغيرها وهي العملية المعروفة بربط السودان الغربي

بالسودان الشرقي والتي ستنتهي بلقاء فاشودا (Fachoda) بين الفرنسيين والإنكليز الذين كانوا يريدون ربط القاهرة برأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا.ويبدو واضحا أن السياسة الفرنسية كانت تقوم ولازالت إلى يومنا هذا، لم تحد عن خطها أبدا، على وضع مناطق محايدة تحت نفوذها حول الجزائر ليخلو لها الجو فيها تتصرف فيها كما شاءت، خاصة بعدما قرر البرلمان الفرنسي سنة 1848 وبإيعاز من شاعرين فرنسيين عظيمين فكتور هوجو V.HUGO ولا مارتين Lamartine قرر ضم الجزائر إلى فرنسا واعتبارها جزءا لايتجزأ من التراب الفرنسي،فاستولت على تونس وجعلت منها محمية وبعد صراع بين الدول الكبرى ترك لها الأمر بالنسبة للمغرب فجعلت منه أيضا محمية فكانت الأولى سنة 1881 والثانية سنة 1912.

هذه هي المعالم الأولى للإستراتيجية الدفاعية الفرنسية، من جانب السياسة الفرنسية نفسها في مواجهة العالم، لكن أحداث جسيمة ستفرض إعادة النظر في مقدماتها وذلك بتوضيح معالمها وتحديد أهدافها.

الحدث الأول هو الحروب الألمانية الفرنسية التي قامت في 1870 فاحتلت ألمانيا باريس في عهد بيسمارك وفقدت فيها فرنسا جزءا من ترابها (مقاطعتي ألزاس Alsace ولورين Lorraine)، ثم الحرب العالمية الأولى التي كانت فرنسا ستخسرها لولا تدخل الحلفاء وكذلك الحرب العالمية الثانية التي شهدت إحتلال جزء هام من فرنسا وانشاء مقاومة شعبية تحت قيادة الجنرال دي غول، ولولا تدخل الحلفاء لما تمكنت فرنسا من تحرير ترابها.فاستخلصت النتائج التالية :

1 - إن عناصر الإستراتيجية الفرنسية التي سادت إلى مطلع القرن العشرين يجب مراجعتها لأنها لم تعد كافية لأنها كانت تضع القوة ممثلة في :

- الأمبراطورية الفرنسية الواسعة

* كعمق إستراتيجي.
* كقوة بشرية تساهم في بناء القوة الفرنسية من جميع الجوانب.

* كقوة إقتصادية
- القوة الإقتصادية الذاتية والتقدم العلمي والتكنولوجي.
- القوة العسكرية.

أما الإمبراطورية الواسعة فإنها لم تعد عنصر قوة بل سبب قلاقل وذلك بالتحول الجذري الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى ، إذ طلب من أبناء المستعمرات المشاركة في حرب لا تعنيهم من قريب ولا من بعيد، فكانت عنصر يقظة ووعي بالنسبة للشعوب المستعمرة التي بات مؤكدا لديها بأن القوة الفرنسية وهمية، وأنه يمكن القضاء عليها، يضاف إلى ذلك ما فتحته الحرب العالمية الثانية من آمال دونت في ميثاق الأمم المتحدة باقرار حق تقرير المصير.

أما القوة الذاتية والتقدم التكنولوجي فهذان جانبان نسبيان إذ أن فرنسا خرجت من حروبها منهوكة القوى وإقتصادها محطم. ولولا مشروع مارشال لما رفعت رأسها. أما القوة العسكرية فقد أثبتت الحرب أن الجيش الفرنسي متأخر جدا بالنسبة للجيوش الآخرى.

في هذه الظروف وأمام هذه المعطيات تأتي التغييرات الأساسية في الإستراتيجية الفرنسية ، وقد كان حظ الدولة الفرنسية في شخص لمس عن قرب ضعف الدولة في جميع دواليبها، وطالب بالإصلاحات الضرورية ولكنه لم يجد أذانا صاغية إلى أن سنحت الفرصة ، فأقدم على التحويلات الضرورية وكان همه الوحيد عظمة فرنسا بأقل تكلفة ،وهذه العظمة محورها الجزائر ، وقد وضع نفسه في سباق أعتى المستعمرين من بيجو وفكتور هوغو، ولامارتين وجول فيري وليوتي ، وهذا الشخص هو الجنرال ديغول.

القسم الثاني : *الإستراتيجية الفرنسية الحديثة ومكان الجزائر فيها*.

بادى ذي بدء يجب أن نذكر جانبين من شخصية الجنرال ديغول.

- الجانب الأول وهو شخصي ويتمثل في عناده وعلاقته بالماريشال بيتان Petain والخلاف الحاد الذي شب بينهما عندما كان ديغول برتبة رائد يعمل بديوان Petain ، وهو الخلاف الذي لو لم يقع لكانت حياة ديغول غير التي نعرف ، إذ بقي هذا الأخير يكن لـ Petain : عداوة مطلقة.

- الجانب الثاني ويتصل مباشرة بالجيش . فدى غول عاش عن كثب كل الأزمات الحادة التي شهدها والإنكسارات المتتالية ، بدأ بإخبار هزيمة 1870 تحت ضربات الرجل الحديدي ، وشهد بذلك أفول نجم الإمبراطورية الفرنسية ونزول قوتها إلى الحضيض، خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى فإقترح إصلاحا في الجيش ولكنه إصطدم بالجنرال Petain وكل الضباط السامين في ذلك الوقت وكان من رأيه أن تحدث في الجيش قوة ضاربة تكون نواتها المدرعات والآليات الميكانيكية وذلك لضمان السرعة في التحرك وتكثيف وسائل خرق الخطوط الدفاعية للعدو ، فكان هذا بمثابة صراع أجيال لم يكسبه الكولونيل ديغول.

وقد دون آراءه هذه في كتابين هما " حد السيف" le fil de l'epée و " من أجل جيش محترف " pour une armée de métier وقد رفض Petain إصدار الكتابين بإعتبار أنهما من الإنتاج الذي وضعه دى غول أثناء الخدمة وهما بذلك ملك للجيش.

وقد تسربت آراؤه إلى الجيش الألماني فإعتمدها فكانت أن أنتجت المصانع الألمانية المدافع الثقيلة وكذلك الدبابات المشهورة بإسم .Panzer أما من الناحية السياسية فإن الخلاف الذي كان بينه وبين الماريشال Petain جعل منه الثائر المناوىء دائما لقيادة الأركان ، ولم يكف أن يعين نائبا لكاتب دولة في حكومة Petain في بداية الحرب العالمية الثانية ، ولكنه تمكن من هذا المنصب أن يعايش إنزلاق الماريشال وتواطؤه مع الألمان بعد إحتلال الجزء الشمالي من فرنسا بعد 1940 الأمر الذي جعله يلتحق بلندن حيث يعلن

تنظيم المقاومة الوطنية ضد ألمانيا ومن يرى فيهم الخيانة والتابعين لنظام بيتان Petain أي نظام Vichy حيث إستقرت حكومة الدولة الفرنسية.

ومن لندن ترأس دى غول المقاومة ، ومن لندن لمس عن كثب المركز المزري الذي آلت إليه وضعية بلاده في نظر الحلفاء إذ كان الأمر يحسم في أغلب الأحيان دون إستشارة نظام " فرنسا الحرة " الذي يترأسه دى غول ، كما أن جولاته العديدة في المستعمرات الفرنسية جعلته يقف على حقيقة الأمر ويشاهد التغيرات الجذرية التي بدأت تطرأ على عقليات الشعوب المستعمرة ومن كل ذلك يستخلص دى غول النتائج التالية :

1 – ***من الجانب السياسي*** : إن نهاية الحرب ستشهد تحولات عميقة في العالم وأن النظام الإستعماري آل إلى الزوال وبالتالي فإن عناصر القوة التي كانت تعتمد عليها فرنسا ستتقلص ، خاصة وأن دى غول لمس من معاملة الولايات المتحدة الأمريكية له و لنظامه، شيئا من الكراهية بسبب النظام الإستعماري وخاصة الأسلوب الذي تتبعه فرنسا في إدارة الأقاليم الخاضعة لها ، وهو الأسلوب والتحولات التي ستكون مصدر متاعب جمة للنظام الفرنسي بعد الحرب ، خاصة وان المنظمة الدولية التي تم التشاور بين الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا على إنشائها بعد الحرب ذهبت إلى أبعد ما ذهبت إليه عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، فيما يخص بالنظام الإستعماري، إذ تم الإلحاح على ضرورة إنهاء الإستعمار والإعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها.

2 – ***من الجانب الإقتصادي*** : إن فرنسا ستخرج من الحرب محطمة ولن يكون للمستعمرات القدرة الكافية على تحمل النهضة الإقتصادية والصناعية والفرنسية ، مما سيجعل الدولة الفرنسية مضطرة لطلب المساعدة الأجنبية وخاصة من الولايات المتحدة الحليف التقليدي للأنكليز ، كما أن الإعتماد على التعويضات الألمانية أمر مستبعد لتحطم الإقتصاد الألماني تحطما كاملا.

3 - *من الجانب العسكري* : إن إعادة بناء الجيش أمر ضروري ولعلها فرصة سانحة لتطبيق نظريات دى غول في تطوير تنظيم القوات المسلحة ولكن الظروف هنا أيضا تغيرت، لأن المسألة ليست فقط إعادة بناء بل إنشاء جيش جديد يعتمد على تكنولوجيا جديدة لا تملكها فرنسا ولا يمكن الحصول عليها إلا من الولايات المتحدة الأمريكية.

كل هذا يقوي نفوذ الولايات المتحدة في أوروبا وهذا ما لا يريده دى غول الذي يلاحظ أن خريطة العالم تغيرت تغيرا جذريا إذ أن القوة لم تعد في النظام الإستعماري وسعة الإمبراطوريات الإستعمارية بل عناصر القوة هي :

- الإقتصاد.
- الجيش بأسلحته الجديدة.
- التكنولوجيا المتطورة.

ويلتفت دى غول يمينا وشمالا فيجد أن فرنسا لا تملك شيئا من ذلك فيرى الخطر من جانبين :

- من جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت لها قدم في أوروبا الغربية وهذا يؤثر على حرية التحرك الفرنسية.
- من جانب الإتحاد السوفياتي الذي أصبحت له هو الأخر قدم في أوروبا الشرقية ، وهذا يؤثر على السياسة العالمية عموما ، وإن صراع المعسكر الرأسمالي والمعسكر الإشتراكي سيغير من موازين القوى حتى في المستعمرات. كل ذلك سيضطر فرنسا لقبول " الوصاية " بين قوسين الأمريكية ومحاولة الإنتفاع بأقصى ما يمكن من كل ما يمكن الحصول عليه من إمكانيات مادية وعلمية.

ويضع دى غول اللبنات الأولى لهذا " التعاون " ويحدد شروطه ووسائله ثم ينسحب من السلطة ويختلي في **Colomby les Deux Eglises** ، ومن هناك يحرك خيوط السياسة الفرنسية كرقيب لا تنام عينه عما يجري فيتدخل في الوقت المناسب.

هنا تدخل الجزائر في لعبة الكبار وتقحم لتحقيق ما تريده فرنسا لنفسها من دور أساسي من أوروبا

- للحد من النفوذ الأمريكي في أوروبا.
- لتحضير الشروط الأساسية لتكون القوة الوحيدة في أوروبا والبحر الأبيض المتوسط ، وبذلك تعود " حليمة إلى عادتها القديمة " أي الوضع الذي كانت عليه في القرن التاسع عشر عند سقوط الجزائر. وقبل بزوغ نجم بسمارك- إذ لو استثنينا الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي كقوتين أساسيتين في أوربا، فإنه من الواضح أن البلد المؤهل ليكون قوة ذات شأن هو فرنسا بإعتبار أن بريطانيا والولايات المتحدة تشكلان قوة واحدة وقد تبين على مر الأيام أن بريطانيا لاتريد دورا أوربيا وبالفعل كان هذا هو التحليل الذي قام به دي غول واعتمدته السياسة الفرنسية بعده لكن تحت مراقبته المباشرة بعد 1946 ففرنسا هي الدولة الأوربية الوحيدة التي دخلت نادي الحلفاء وبهذه الصفة لها أن تجني الثمار. أما باقي الدول الأوربية فإما مهزومة مثل ألمانيا أو ضعيفة تأتي في الدرجة الثانية.

من هنا يأتي الدور الأوربي الذي حلم به الجنرال دي غول وعمل على تحقيقه في ميدانين :

- الميدان السياسي والإقتصادي وذلك بالدعوة الملحة إلى بناء مجموعة إقتصادية أوربية وقد بدأ العمل لهذا المشروع في بداية الخمسينات، وهدفه تشكيل قوة إقتصادية وسياسية تعمل على إحداث توازن لكي لاتقع أوربا تحت الوصاية الإقتصادية والسياسية للولايات المتحدة وحليفتها الطبيعية بريطانيا.
- الميدان العسكري وذلك بالعمل في إطار الحلف الأطلسي على إعادة تشكيل القوة الفرنسية حسب المتطلبات الحديثة وبالتعاون إلى أقصى حد مع الولايات المتحدة، ولكن الهدف هو أن تعود الولايات المتحدة إلى قواعدها فتصبح فرنسا القوة الوحيدة في أوربا الغربية وتوكل إليها مهمة الدفاع عن

أوربا فتحل محل الولايات المتحدة لأنها ستكون المالك الوحيد للسلاح النووي.

أما الجزائر في كل هذا فإنها من الناحية القانونية جزء لايتجزأ من التراب الفرنسي، وعليه فإن المعاهدات الدفاعية الفرنسية تشمل الجزائر التي تشكل إحدى القواعد الرئيسية في النظام الدفاعي الفرنسي. فبالنسبة للبحرية يلعب المرسى الكبير دورا لايقل أهمية عن قاعدة TOULON بل ربما أكبر في بعض الجوانب.

أما من الناحية الإقتصادية فإن الجزائر بما تتوفر عليه من موارد تحتل مكانة مرموقة إذ تشكل أحد العناصر الهامة في الأسواق التجارية الفرنسية، ويكفي رسم تنظيم السوق التجارية الإستعمارية لتظهر المكانة المرموقة التي تحتلها الجزائر في هذه السوق. ومن جانب أخر فإن الجزائر تحملت خلال الحرب العالمية الأولى والثانية أعباء تموين الشعب الفرنسي بالمواد الغذائية لتمكين فرنسا من تطوير صناعتها وكذلك تحمل المجهود الحربي، ولو كان ذلك على حساب قوت أهل البلد الذين يزدادون فقرا بينما يزداد الشعب الفرنسي ثراء.

أما من الناحية الجيواستراتيجية فإن الجزائر تحتل مركزا وسطا، فهي همزة الوصل بين " الوطن الأم " بين قوسين وإفريقيا الفرنسية بجزئيها إفريقيا الغربية الفرنسية AOF وإفريقيا الإستوائية الفرنسية AEF ، لذلك فإن وجود أهم عناصر القوة الفرنسية في الجزائر يشكل عامل إستقرار في هذه المستعمرات باستعمال سياسة الترغيب والترهيب إنطلاقا من الجزائر

Politique de la Carotte et du Baton

هذه هي العوامل التي حدت بالجنرال دي غول إلى جعل الجزائر محورا أساسيا في الإستراتيجية الدفاعية الفرنسية، وهذا أمر يحقق لامحالة :

- إستعادة فرنسا لمركزها كدولة عظمى رغم إهتزاز مركزها بسبب الحروب الإستعمارية وخاصة حرب الهند الصينية وبسبب عدم قدرتها تقديم أي شيئ كحليف في السياسة الدفاعية الغربية في مواجهة الخطر الشيوعي.

- ضمان أحسن الظروف لخلافة الولايات المتحدة في دورها الدفاعي عن أوربا الغربية وتأهيلها لإمتلاك مظلة نووية تحل محل المظلة الأمريكية إذا ما توحدت أوربا وطلبت نهاية " الحماية الأمريكية " بين قوسين

هذه العناصر هي التي جعلت الجنرال ديغول يزور مرارا وتكرارا الجزائر والصحراء بالذات في الوقت الذي كان قد إعتزل السلطة بين 1946 و1958، وما رجوعه إلى السلطة في 1958 سوى مسرحية لإنقاذ ليس فرنسا كما يقولون بل لإنقاذ الجزائر من أيدي أبنائها ومنعها من الخروج من حجر الوطن الأم، لأننا إذا نظرنا إلى مسألة رجوع دي غول إلى السلطة من هذه الزاوية فإنه سيتبين لنا:

1 - أن تردي السياسة الفرنسية داخليا وخارجيا تحت الضربات الموجعة التي تلقاها الإستعمار من الثورة الجزائرية، جعل كل أحلام العظمة الفرنسية في مخيلة دي غول توشك أن تتبخر لذلك هب إلى إنقاذ حلمه.

2 - أن الجزائر يجب أن تبقى مركز إشعاع للنظام الفرنسي، علما وثقافة، لذلك لابد من إعادة تنظيم البيت الفرنسي من الداخل والجزائر جزء من هذا الداخل.

3 - أن ريح الحرية التي بدأت تهب على شعوب العالم الثالث يجب أن تستثني الجزائر، بل يجب توجيه هذه الريح لتكون بردا وسلاما على فرنسا بالمحافظة على منطقة نفوذ فرنسية أوسع ما تكون لكن حول الجزائر ولاتشمل الجزائر، فكان عليه إعادة تنظيم الإمبراطورية الفرنسية وتغيير التسمية بالمجموعة الفرنسية وإحداث نوع من الإتحاد الفدرالي يدار سياسيا من فرنسا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا من الجزائر.

إن الحديث عن خيوط الإستراتيجية الفرنسية من جانبها الدفاعي متعدد الجوانب، وهو موضوع واسع وشاسع قدمنا بعض الأجزاء منه وحتى هذه الأجزاء فإنها لم تأخذ حظها من التحليل، وإنما هي إشارات لتعميق البحث، وقد حاولت أن أبين أن تفجير القنبلة الذرية الفرنسية ذات صباح من شهر

فيفري 1960 مع أهميته فإنه كان ومازال جزءا من عملية بشعة قصد منها خنق صوت الشعوب، وإخماد نار ثورة عارمة تعدت حدود بلادنا. لكن عين الله رعت هذا البلد الأمين وسواعد أبناءه ودماء شهدائه كانت الدرع الحامي والواقي والوسيلة لفرض إرادة الشعب هذا الشعب الذي يقول لسان حاله:

" وقال الله: "كن يا شعب حربا على من ظل لا يرعى جنابا

" وقال الشعب: "كن يا رب عونا على من بات لا يخشى عقابا
فكان وكان، من شعب ورب، قرار أحدث العجب العجابا
جهاد دوخ الدنيا، وألقى (هنالك) في سياستها إنقلابا
وحرب، للكرامة في بلاد مضت تفتك عزتها غلابا
وأوفدت الرصاص، ينوب عنها يناقش غاصب الحق الحسابا
وفي صحرائنا جنات عدن بها تنساب ثروتنا إنسيابا
وفي صحرائنا، الكبرى، كنوز نطارد عن مواقعها الغرابا
وفي صحرائنا، تبر وتمر كلا الذهبين: راق بها وطابا
وفي صحرائنا، شعر، وسحر كلا الملكين: حط بها الركابا
وفي صحرائنا، أدب وعلم زكا بهما المثقف، واستطابا

هذه صحراءنا التي دنسها دي غول فطهرها الشعب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته 13/02/1996

الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة النضج

(1954 — 1942)

القسم الثاني

بقلم: الدكتور محمد العربي الزبيري

حركة ماي الثورية

هناك كتابات كثيرة عالجت هذا الموضوع لكنها لم تقتله بحثا، وحتى الآن، فإن الأراء لم تتفق حول المسائل الأساسية التي تتحكم في كل دراسة علمية والتي بدون الفصل فيها لا يمكن التوصل إلى حقيقة ما وقع في ذينك الأسبوعين الأول والثاني من شهر ماي سنة 1945.

فالمؤرخون الفرنسيون والمتأثرون بهم من الجزائريين يتجنبون الحديث عن الثورة ويركزون على مصطلح الأحداث أو المظاهرات؛ بعد ذلك يتعمدون الضبابية حتى يظل المصدر مجهولا وتبقى الأهداف المسطورة من طرفه غير واضحة وقابلة للتفسيرات المغرضة والتأويل المختلفة. وزيادة في التعتيم، يؤكد أولئك المؤرخون أن " حوادث ماي " كانت عفوية ولا يوجد وراءها أي تنظيم. وإذا كانت السلطات الإستعمارية قد إتهمت أحباب البيان والحرية معتمدة على كون العديد من القتلى والمعتقلين الجزائريين كانوا يحملون بطاقات العضوية في تلك الحركة (52) ، فإن الحزب الشيوعي الجزائري، فيما

يخصه، قد وجه أصابع الإتهام إلى من أسماهم بالوطنيين المزيفين الذين يعملون في ركاب " الفاشية الهتلرية " و " الفاشية الإيطالية " وإلى الأوروبيين الإقطاعيين و المسؤولين الإداريين تحت سلطة حكومة فيشي(53).

ونحن عندما نعود إلى تلك الفترة الزمنية نستنطقها، وإلى النصوص المعاصرة نحللها و نفحص المعلومات الواردة فيها، وحينما نتوقف عند الشهادات التي أدلى بها المسؤولون السياسيون الذين كانوا يصنعون الحدث التاريخي في ذلك الوقت، وعندما نعيد قراءة الجرائد والمجلات التي عالجت الموضوع في وقته، فإننا لا نستطيع سوى الإعتراف بأن ما وقع في شهر ماي سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف إنما هو حركة ثورية أعدت لها قيادة حزب الشعب الجزائري التي كانت قد أخذت كل الإحتياطات لتكون النتيجة الحتمية هي إقامة الجمهورية الجزائرية وما يتبعها من مؤسسات وطنية.

إن ما وقع في شهر ماي سنة 1945 يجب البحث على أسبابه القريبة في شهر مارس من نفس السنة. ففي اليوم الثالث من ذلك الشهر، أرسل السيد فرحات عباس و هو طريح الفراش لائحة إلى مؤتمر أحباب البيان والحرية، غير أنها لم تلق قبولا ورفض المؤتمرون المصادقة عليها، رغم ما كان لعباس من مكانة، لأنها تدعو إلى إدراج الجزائر في نظام إتحادي مع فرنسا. وفي نفس الفترة صرح الشيخ البشير الإبراهيمي، في تلمسان، أن الرئيس روزفالت وعد بإستقلال الجزائر عن طريق ندوة سان فرانسيسكو (San Francisco) المزمع عقدها في نهاية أفريل سنة 1945 (54).

وإذا كنا في غير حاجة إلى التذكير" بمنظمة الشباب " و" **الجيش الثامن** " وما كان يجري فيهما من إعدادات واستعدادات، فإننا لا نستطيع إغفال بعض الأحداث المعبرة التي وقعت في شهر أفريل وهي تحمل في طياتها دليلا قاطعا على أن الجانبين الجزائري والإستعماري كانا يعملان: الأول من أجل خرق الموانع التي تحول بينه وبين سيادته المغتصبة، والثاني من أجل تأبيد حالة

السيطرة والإضطهاد والتبعية حتى ولو كان ثمن ذلك هو إبادة الشعب الجزائري بأكمله؛ ومن جملة تلك الأحداث المعبرة نذكر ما يلي :

1 - إن المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية قد أصدر لائحة بتاريخ 1945/04/02 دعا من خلالها إلى التمسك بالمطالب الواردة في بيان الشعب الجزائري وإلى العمل بجميع الوسائل في سبيل تحرير المعتقلين السياسيين وحمل الحكومة الفرنسية على الإستجابة لطموحات الجزائريين في تحقيق الأهداف المسطورة في الوثائق المرفوعة إليها عن طريق الوالي العام السيد بايروتون.

2 - دائما في شهر أفريل، قامت الجماهير الشعبية في قصر الشلالة بمنع السلطات الفرنسية من إعتقال أربعة مناضلين مسؤولين في صفوف حزب الشعب الجزائري المحظور وتصدت لعامل عمالة الجزائرومرافقيه بالرجم والشتم، هاتفة باستقلال الجزائر وحياة زعيمها الحاج مصالي مما إستدعى تدخل القوات العسكرية.

3 - في يوم 1945/04/24 قام ستة مندوبين عامين أوروبيين (55) بتوجيه بيان إلى عامل عمالة قسنطينة دعوه فيه إلى إتخاذ إجراءات صارمة تمنع ما قد يقع من أحداث نتيجة ما لا حظوه لدى الأهالي من سلوكات حاقدة على فرنسا والفرنسيين. ومما جاء في ذلك البيان:" إن ذهنية الأهالي قد تغيرت، وصار الموظفون والتجار المسلمون متجبرين، ويعلنون لمن يريد السماع أنهم عازمون على البقاء، وحدهم، في أرض أجدادهم وأنهم سوف يسترجعون إستقلالهم الكامل... أما العمال، فإنهم أصبحوا يرفضون الإشتغال في الحظائر الخاصة وفي ملكيات الفرنسيين " (56).

4 - في يوم 1945/04/26 قال عامل عمالة قسنطينة للدكتور سعدان: " إن إضطرابات سوف تقع، وعلى إثرها يحل حزب عتيد " (57) .وفي نفس اليوم نقل عن رئيس بلدية abbo (سيدي دارود حاليا) " إن أحداثا لآتية ومعها ستضطر الحكومة للتراجع على أمرية السابع مارس " (58).

5 – في نفس شهر أفريل إستقبل الحاج مصالي كلا من الدكتور محمد الأمين دباغين وحسين عسلة فاطلعاه على مشروع إشعال فتيل الثورة مباشرة بعد أن تضع الحرب أوزارها. ووافق زعيم حزب الشعب الجزائري على المشروع كما وافق على أن يهرب إلى ناحية سطيف حيث يعلن عن تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة التي يكون مقرها بمزرعة المناضل الأستاذ معيزة (59) . لكن الإدارة الإستعمارية كانت أسرع فبادرت إلى نقل الحاج مصالي إلى المنيعة يوم 1945/04/23 قبل أن تنفيه في نهاية الشهر، إلى برازافيل.

6 – في ذات شهر أفريل كتب الجنرال Henry Martin (هنري مارتان):" بات من المؤكد، نقلاعن مصادر مختلفة في سطيف، أن حزب الشعب الجزائري يعمل على تنظيم الثورة الشاملة " (60) .

7 – إن الأمين العام للولاية العامة السيد Gazagne قد وجه إلى باريس تقريرا مفصلا يحمل تاريخ أفريل 1945 جاء فيه على الخصوص:" يجب علينا إتخاذ الإجراءات الملائمة لإيقاف الحركة، ولكي تعلم الجماهير أننا غير مستعدين لغض الطرف ولقد علمنا من جهات مختلفة أن عملية ما، يجري تنظيمها بمناسبة إنتهاء الحرب، وسوف تكون عامة. أما مناطقها الحساسة فكثيرة ومنها: سطيف، تبسة، بسكرة، الأوراس، الجزائر، تلمسان، وهران ومعسكر " (61).

8 – إن الحركة الوطنية الجزائرية التي وجدت طريقها إلى التوحد حول عدد من المحاور الرئيسية في إطار" أحباب البيان والحرية "، لم تتوقف عن إرسال الوفود، الواحد بعد الآخر، إلى ممثلي الحلفاء قصد إطلاعهم على حقيقة الواقع الإستعماري في البلاد وتحسيسهم لمساعدة الشعب الجزائري على ممارسة حقه في تقرير مصيره.

وإذا كان السيد فرحات عباس، في لقاءاته المتعددة مع السيد روبرت مرفي (Robert Murphy) قد حصل على وعد صريح من هذا الأخير مفاده أن أمريكا، ستعمل، في الوقت المناسب، على جعل فرنسا تنهي حالة الإستعمار

في الجزائر، فإن ممثلي حزب الشعب الجزائري الذين قاموا بنفس المهمة قد قوبلوا ببرودة من طرف نفس المسؤول الأمريكي الذي قال لهم:" إن المعلومات المستقاة من مصادرمختلفة تدل على أن حركتكم لاتمثل أغلبية الشعب الجزائري، وإن هذا الأخير لن يتبعكم ولن يعطيكم ثقته في حالة إستشارته " (62)

فأمام هذه اللغة المزدوجة، أصبح على قادة الحركة الوطنية أن يقوموا بنشاط علني يثبتون، من خلاله، سوء تقدير الحلفاء، ويبرهنون به على أنهم الناطق الشرعي بإسم جماهير الشعب الجزائري الذي صار هدفه الأسمىهو إسترجاع السيادة الوطنية وإقامة الجمهورية الجزائرية بجميع مؤسساتها.

9 - إن أخبارا متواترة قد بدأت تصل إلى أسماع قادة الحركة الوطنية مفادها أن اللجنة الفرنسية للتحرير قد تمكنت من إقناع الحلفاء بأن الجزائر جزء لايتجزأ من فرنسا، وبأن دعاة الإنفصال لايمثلون إلا أنفسهم، وهم منبوذون من الشعب الحقيقي ونتيجة ذلك الإقناع صرح السيد مرفي أن " السلطات الأمريكية لن تتدخل في الشؤون التي هي من إختصاص الإدارة الوطنية أو التي لها علاقة بالسيادة الفرنسية " (63) .

10 - إن حزب الشعب الجزائري المحظور قد تمكن بالموازاة مع نشاط إطاراته ومناضليه داخل صفوف أحباب البيان والحرية، من تحقيق نتائج باهرة في مجالات التنظيم والتكوين والتسليح، وأصبح واضحا للعيان أن تلك النتائج تؤهله لجر الحركة الوطنية إلى ثورة شعبية مسلحة من أجل إسترجاع الإستقلال الوطني كاملا وبالشروط الواردة في برنامج نجم شمال إفريقيا المشار إليه سابقا. ولقد أدركت قيادة أحباب البيان والحرية من غير عناصر حزب الشعب الجزائري ذلك الواقع وأرتاعت لما يمكن أن تكون عواقبه، خاصة وإنها لاتؤمن بالكفاح المسلح كوسيلة لحمل فرنسا على الإستجابة لطموحات الشعب الجزائري.لأجل ذلك فإن السيد فرحات عباس قد جعل المكتب المركزي للحركة يتوج إجتماعه المنعقد يوم بنداء إلى المواطنين جاء فيه

" أن أحباب البيان والحرية لن تتحمل أية مسؤولية فيما قد تقوم به بعض العناصر المشبوهة من أحداث وبالتالي فهي تدعو كافة المناضلين إلى تسليمها كل مشاغب تشتم فيه رائحة العمل في غير الإطار المعلوم " (64) .

إن التمعن في كل هذه النقاط، والتوقف مليا عند سائر جزئياتها يدعوان الدارس بالضرورة إلى إعادة النظر في كيفية تعامل المؤرخين الفرنسيين وتلامذتهم من الجزائريين مع ما وقع في شهر ماي 1945. هل كان بالفعل مظاهارات إستفزازية وعفوية؟ أم هي أحداث دامية تسبب فيها المتطرفون الجزائريون والفرنسيون على حد سواء؟ أم هي تمردات عشوائية سببها الجوع والحرمان فقط؟ أم هي إنتفاضة شعبية فشلت بسبب عدم وجود القائد والمخطط؟ وهل يمكن التحدث عن فاتح ماي بمعزل عن ثامنه؟ وهل إن ماجرى قد اقتصر على يومي الفاتح والثامن ماي سنة 1945؟ وهل يمكن القول: إن ماي 1945 هو أساس ثورة 1954؟

كل هذه الأسئلة طرحناها بإلحاح على عدد كبير من مسؤولي الحركة الوطنية من كان بيدهم الحل والربط في ذلك الوقت (65) ، ثم عدنا بها إلى مختلف النصوص المعاصرة بقطع النظر عن الجهات الصادرة عنها، وإنتهينا، بعد بحث وتمحيص إلى أن ما جرى في شهر ماي 1945 كان حركة ثورية جاءت تتويجا لعمل نضالي تواصل بدون إنقطاع طيلة المدة التي دامتها الحرب الإمبريالية الثانية. وإذا كان يوما الفاتح والثامن ماي يرمزان إلى محطتين رئيسيتين في مسار تلك الحركة، فإن الشهر كله قد تميز بالنشاط الثوري الذي فتحت له الجماهير الشعبية أحضانها المتينة والذي تطور بسرعة فائقة عبر مختلف أنحاء شمال شرقي البلاد وكان من الممكن أن يمتد إلى سائر أرجاء الوطن لولا إحجام القيادة وترددها أمام عمليات القمع الأعمى التي قامت بها سلطات الإستعمار على مسمع ومرأى ممثلي الحلفاء المنتصرين الذين كان سكوتهم دليلا قاطعا على تبنيهم للجريمة الفرنسية وإرتياحهم لوقوعها.

محطة الفاتح ماي 1945

إن اللجنة المديرة لحزب الشعب المحلول هي التي قررت بالإجماع تنظيم مظاهرات شعبية بمناسبة الإحتفالات بعيد الطبقة الشغيلة، ولقد إتخذت قرارها ذلك عشية الفاتح ماي نفسه ووجهت تعليماتها في تلك الليلة إلى كافة الهيآت الحزبية وهي تهدف من وراء ذلك، إلى التدليل على نفاذها المحكم في أوساط الجماهير الشعبية، وعلى أنها محل ثقة الشعب الجزائري الذي تتحدث بإسمه وتعمل من أجل تحريره وتمكينه من ممارسة حقه في تقرير مصيره بنفسه.

ويذكر المسؤولون السياسيون (66) الذين باشروا الأعمال التحضيرية وأشرفوا على سير الأحداث فيما بعد، أن المدن الجزائرية الكبرى ومدينة العاصمة على وجه الخصوص قد عاشت ليلة بيضاء وتحولت إلى ورشات كبيرة للإنجاز، وما كاد الصباح يلوح حتى وجدت الإعلام الوطنية بالمآت، وكتبت اللافتات باللغتين العربية والفرنسية، وتم تعيين فرق التأطير والإسعاف والإسناد والتحريض، وضبطت مراكز إنطلاق المتظاهرين، وحددت نقاط إلتقاء الروافد الشعبية والمحطات النهائية. كل ذلك في سرية تامة تدل، بما لايدع أي مجال للشك، على قدرة فائقة في التخطيط والتسيير، وعلى سيطرة القيادة على قواعدها وتفاعلها مع إطاراتها ومناضليها.

تكن قيادة حزب الشعب الجزائري تريد، فقط، المشاركة في إحتفالات أول ماي، بل إنها كانت ترمي إلى توظيف تلك المناسبة من جهة لتختبر مدى قدرتها على تعبئة الجماهير وتجنيدها، ولتعلم إلى أي حد تستطيع هذه الأخيرة أن تسير وراءها بكل الثقة التي لابد منها لنجاح المشاريع الحيوية؛ ومن جهة أخرى، فإن اللجنة المديرة كانت تسعى إلى إجتياح الشارع بقوتها الحقيقية حتى يتغير رأي الحلفاء ويتأكدوا من التفاف أغلبية الشعب الجزائري حول الحركة المصالية في نضالها من أجل إسترجاع السيادة الوطنية وإقامة الجمهورية الجزائرية المستقلة عن فرنسا.

على هذا الأساس، سهرت قيادة الحزب السرية على أن تكون المظاهرات التي تنظمها مغايرة تماما، شكلا ومضمونا، للمظاهرات التي تعودت النقابات تنظيمها بتلك المناسبة.أما من حيث الشكل فإنها قررت أن تجعل منها نموذجا للعمل المتقن وللجدية والإنضباط اللذين ينمان عن وعي المشاركين بخطورة الموقف وقدرتهم الفائقة على تطبيق التعليمات؛ وأما فيما يخص المضمون، فإنها، رغم إحترامها للمطالب العادية التي ينادي بها العمال في مثل تلك التجمعات، قد قررت أن يرفع المتظاهرون شعارات وطنية فيها مطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم زعيم الشعب الجزائري السيد الحاج مصالي، وبحق الجزائر في تقرير مصيرها بنفسها وفي إسترجاع سيادتها وإقامة المؤسسات الوطنية المستقلة. ولإعطاء كل تلك الشعارات وزنا أثقل وقيمة أعظم كان لابد من رفع الإعلام الوطنية التي صدرت تعليمات صارمة برعايتها وحماية رافعيها والإستماتة في الدفاع عنها كي لاتقع في أسر الشرطة الإستعمارية.

وتمهيدا للمظاهرات، وفي نفس ليلة الفاتح ماي، تم توزيع آلاف المنشورات عبر مختلف أنحاء الوطن لتكون مرشدا سياسيا بما تضمنته من تذكير بالمطالب التي يجب التركيز عليها أثناء المسيرات الشعبية وبالشعارات التي ينبغي رفعها حتى يضفى على المظاهرات، في جميع المدن والقرى الجزائرية، طابع الشمولية والوحدة، وليدرك الملاحظ، الأجنبي خاصة، أن المطلب إيديولوجي ولاعلاقة له بالخبز ولا بالوضعين الإقتصادي والإجتماعي المترديين.

لقد كانت تلك المنشورات مصاغة بأسلوب تلغرافي حتى يسهل توظيفها والإستفاذة من محتواها إلى أقصى الحدود. وإذا كان كل ما جاء فيها من شعارات ومطالب لايتجاوز ما هو معمم بالفعل في أوساط الجماهير الشعبية الواعية، فإن ثمة جديدا لابد من التوقف عنده لما له من دلالة سياسية، ويتمثل ذلك في كون تلك المنشورات لم تكتب فقط باللغتين العربية والفرنسية

ولكن جزءا منها جاء مكتوبا باللغة الإنكليزية وهي دعوة صريحة للحلفاء كي يعيدوا النظر في مواقفهم الأخيرة التي حادت عن الوعود المشار إليها أعلاه.

إن كل من كتبوا حول هذا الموضوع يتفقون على أن تعليمات اللجنة المديرة لحزب الشعب الجزائري قد اتبعت ونفذت بدقة شديدة، وخرج المتظاهرون في هدوء ونظام مثاليين سواء كان ذلك في سائر مدن الشرق الجزائري أو في مدن تلمسان والجزائر العاصمة ووهران. وفي كل مدينة كانت المواكب تضم أعدادا من المواطنين تفوق بكثير الأعداد التي تمكنت النقابات المختلفة من جمعها للاحتفال بعيد الطبقة الشغيلة. وتنفيذا لما جاء في المنشورات رفع المتظاهرون لافتات كتبت عليها سائر الشعارات المحددة من طرف قيادة الحزب، وكانت الأعلام الوطنية تتقدم الأمواج البشرية التي كانت تهتف بحياة الجزائر وتنادي باسترجاع سيادتها وإقامة مؤسساتها المستقلة وإطلاق سراح معتقليها السياسيين وفي مقدمتهم الزعيم الحاج مصالي.

وعلى الرغم من أن القمع الاستعماري كان وحشيا ضد المشاركين في جميع المسيرات التي وقعت في كافة انحاء البلاد، وعلى الرغم من أن الشرطة أطلقت النار على المتظاهرين في كثير من المدن الجزائرية وخاصة منها وهران حيث استشهد مواطنان وجرح أكثر من عشرين شخصا، (67) فإن مظاهرات العاصمة هي التي، أكثر من غيرها، قد استوقفت الكتاب والمؤرخين.

انطلقت مظاهرات العاصمة من محطات ثلاث هي: بلكور، القصبة وباب الوادي (68)، على أن تكون ساحة البريد المركزي هي نقطة التجمع العام الذي كان من المقرر أن يتناول فيه الكلمة عدد من أعضاء اللجنة المديرة لحزب الشعب الجزائري المحظور (69).

وبالفعل اجتمعت جماهير غفيرة في باب الوادي ثم تكاثرت أعدادها بإنضمام المتجمعين في ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا) إليها، وسلك الموكب نهج باب عزون ليمر أمام مبنى المسرح الوطني قبل أن يدخل إلى نهج

علي بومنجل حيث يلتقي في نهايته مع الموكب الذي انطلق من جامع سيدي عبدالرحمان ومر جزء منه بنهجي عمار القامة وذبيح الشريف حاليا. أما الجزء الثاني فإنه سلك نهج ذبيح الشريف صعودا وتبع نهج موقادور (MOGADOR) ليصل إلى ساحة الأمير عبدالقادر حاليا ومنها التحق بالبريد المركزي. أما الموكبان الملتحمان في نهاية نهج علي بو منجل (دمون ديرفيل سابقا) فإنهما دخلا في مظاهرة صاخبة إلى شارع العربي بن مهدي(إيزلي سابقا) وراحا يتقدمان بنظام وانتظام في اتجاه البريد المركزي. غير ان سكان الشارع كانوا كلهم أروبيين فاستنجدوا بالشرطة التي وصل رجالها بسرعة كبيرة وبدأ الرصاص يطلق على المتظاهرين من شرفات المنازل ومن قبل عناصر الشرطة. وفي مستوى الكازينو. سقط الشهيدان غزالي الحفاف وعبد القادر زيار (70).

لقد كان أول ماي سنة 1945 إمتحانا عسيرا بالنسبة لجميع القرى والمدن الجزائرية التي أقدم فيها حزب الشعب المحظور على تنظيم مسيراته الإستظهارية، وفي نهاية اليوم، عندما اجتمعت القيادات الحزبية محليا ووطنيا، كانت النتيجة إجابية إذ ثبت أن الجماهير الشعبية في الجزائر حينما يطلب منها الإقدام على التضحيات القصوى فإنها لاتتأخر وهي على استعداد لإتباع الحركة الوطنية في طريق النضال بجميع الوسائل من أجل استرجاع السيادة الوطنية المغتصبة.

وبالنسبة للأروبيين، فإن أول ماي 1945 كان يوما مرعبا، ليس لما وقع فيه من مظاهرات شعبية وقمع وحشي، ولكن لأنه كان تعبيرا قويا على المستوى العالي من النضج السياسي الذي وصلت إليه أغلبية جماهير الشعب الجزائري، لأجل ذلك فإنهم بجميع مشاربهم السياسية وانتماءاتهم الفكرية والإيديولوجية، راحوا يطالبون السلطات الحاكمة باتخاذ جميع الإجراءات لإقامة سد منيع بين الحركة الوطنية في الجزائر وأهدافها الخاصة باسترجاع الاستقلال الوطني، ولكي لا يتكرر مثل ذلك اليوم في حياة البلاد التي يريدونها، فقط، حقلا واسعا وهادئا للإستغلال بسائر أنواعه.

وأما بالنسبة للإدارة الاستعمارية ذاتها، فإن أول ماي 1945 كان دليلا قاطعا على أن أعدادا كبيرة ممن كانوا يسمون بالمعتدلين والموالين لفرنسا قد قطعوا الحبال التي كانت تشدهم إلى" الميتروبول " والتحقوا رغم كل شيء بصفوف الوطنيين العاملين على استرجاع السيادة الوطنية بجميع الوسائل ومهما كان الثمن. معنى ذلك، أن الحلول الاستعمارية الجاهزة مثل الاندماج والالحاق والمساواة كلها أصبحت معرضة للإختفاء والزوال. لأجل ذلك، فإن المشرفين على تلك الإدارة قد أرهفوا السمع لأصوات الكولون والشيوعيين المطالبة بإحكام التصدي للحركة الوطنية الجزائرية باعتبارها وكرا لمناهضي الديمقراطية وكابحا قويا يمنع قطار الحرية والسلام من التقدم.

من هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس، ألقي القبض على مجموعة كبيرة من الإطارات القيادية في حزب الشعب الجزائري المحظور، (71) بينما لجأت مجموعة أخرى منهم إلى الحياة السرية في المدن والقرى الجزائرية أو إلى الجبال تحتمي بقممها ووديانها وشعابها.

واغتنم الحزب الشيوعي الجزائري هذه الفرصة فوزع منشورا (72)، يتهم فيه الحركة المصالية بأنها " لوثت انتصارات الطبقة الشغيلة بدماء الأبرياء " في حين كان يجب أن تتحد جهود المحرومين من أجل تحقيق إنتصارات جديدة. وفي اليوم الموالي جاء جواب حزب الشعب الجزائري بواسطة منشور يحمل تاريخ 1945/05/04 وهو موجه إلى جميع الفرنسيين وخاصة منهم إلى العمال المنخرطين في صفوف الكنفدرالية العامة للشغيلين وإلى الحزبين الإشتراكي والشيوعي الفرنسيين وكذلك إلى منظمة فرنسا المكافحة. ومما جاء في ذلك المنشور: "أن الهتلريين الحقيقيين إنما هم أولائك الذين سلحوا الشرطة لتقتل إخوان وآباء وأقارب الأجناد الذين ساهموا لتحرير فرنسا وحاربوا في ألمانيا جحافل الفاشية والنازية " (73).

واجتمع المكتب المركزي لحركة أحباب البيان والحرية برئاسة السيد فرحات عباس في نفس اليوم الذي وزع فيه منشور حزب الشعب الجزائري،

وصادق بالإجماع على لائحة موجه إلى جميع الفرنسيين (74) فيها تنديد بالقمع الذي تعرض له المشاركون في مظاهرات فاتح ماي 1945، واحتجاج على حملات الإعتقال الموجهة ضد الوطنيين الجزائريين ومطالبة بإطلاق سراح الحاج مصالي وسائر المعتقلين السياسيين. وفي اليوم الموالي للإجتماع، أصدر المكتب المركزي بيانا ندد فيه بالإتهامات القائلة أن منظمي مظاهرات أول ماي في مختلف مدن الجزائر وقراها كانوا هتلريين يهدفون إلى إفساد الاحتفالات بعيد الشغل العالمي (75).

محطة ثامن ماي

وفي نهاية الأسبوع الأول من شهر ماي سنة 1945 استسلمت ألمانيا أمام ضغط الحلفاء والاتحاد السوفياتي وتقرر أن يكون اليوم الثامن من الشهر المذكور موعدا للإحتفال بالنصر المبين، وإذا كانت قيادة حزب الشعب الجزائري قد قررت المشاركة الفعلية في تلك الاحتفالات من أجل تأكيد رغبة الجماهير الشعبية الجزائرية في انفصالها عن فرنسا وإقامة جمهوريتها ومؤسساتها الجماهيرية المستقلة (76)، فإن حركة أحباب البيان والحرية قد أبدت استعدادها للاحتفال "بعيد النصر" لكن السيد فرحات عباس جعل ذلك موقوفا على ضرورة الاسترخاص القانوني.

ولكي تبقى حركة أحباب البيان والحرية في الإطار القانوني الذي حددته لنفسها في قانونها الأساسي، فإنها أرفقت استرخاصها بمشروع منشور صاغته ليكون مرشدا للمتظاهرين. يحمل المشروع المذكور تاريخ 1945/05/04 (77) ويتضمن تعبيرا عن رغبة اللجنة المركزية لأحباب البيان والحرية واستعدادها للمساهمة في الاحتفالات التي سوف تخلد "الانتصار الذي شارك فيه الشعب الجزائري مشاركة واسعة في تحقيقه". ولطمأنة الإدارة الاستعمارية، جاء في المنشور " أن على فروع أحباب البيان والحرية الاتصال بالسلطات الرسمية والأحزاب والتنظيمات الديمقراطية من أجل المساهمة في المظاهرات ". أما

الشعار الذي قررت الحركة رفعه، فإنه ينقسم إلى شقين هما: الهتاف بانتصار الديمقراطيات على الفاشية والهتليرية والإستعمار والإمبريالية من جهة والمطالبة بالعفو الشامل على جميع المحبوسين والمعتقلين السياسيين المسلمين من جهة ثانية.

إن الإدارة الاستعمارية التي اتصلت بمشروع المنشور لم تعره أي اهتمام ولم تصدر أي قرار في شأنه. وعندما ذهب السيد فرحات عباس والدكتور سعدان يوم 1945/05/08 إلى مقر الولاية العامة لتقديم تهاني الحركة إلى السيد "Yves chataigneau" بمناسبة عيد النصر، فإنهما أوقفا وسلما إلى السلطات العسكرية التي قادت الأول إلى السجن ووجهت الثاني إلى مستشفى "مايو" للعلاج (78).

والحركة قد أقدمت، في الشرق الجزائري خاصة، على تنظيم مسيرات مستقلة عن المظاهرات الرسمية، وتمكنت في بعض المدن والقرى من إنجاز ذلك في إطار قانوني بعد أن حصلت على ترخيص من السلطات المعنية (79) لكن ذلك لم يحل دون القمع البوليسي وإراقة دماء الأبرياء.

أما فيما يخص قرار المشاركة الذي اتخذته قيادة حزب الشعب الجزائري، فإن السيدين أحمد بوده وعبدون يزعمان، من خلال الشهادات التي أعطياها لعدد من الكتاب والجامعيين (80)، أنه نقل بدون تعليق إلى القواعد الحزبية ثم تركت المبادرة إلى المناضلين ينفذونه كيفما شاؤوا وطبقا لإمكانياتهم وحسبما تمليه الظروف المحلية؛ ويضيف المسؤولان أن الأمر بالتظاهر قد صدر، فقط، عن قيادة حركة أحباب البيان والحرية.

إن هذا الا قرار غير صحيح، لأن السيد شوقي مصطفى، الذي كان من القياديين الوطنيين الأساسيين، يذكر أنه تولى بنفسه صياغة التعليمات التي أرسلت إلى القواعد من أجل تجسيد قرار القيادة على أرض الواقع .(81) وأن القارئ ليجد تأكيدا لذلك في شهادة السيد السعيد عمراني التي قدمها إلى الرئيس ابن يوسف بن خدة والتي جاء فيها أن التعليمات المذكورة تضمنت

أمر المناضلين برفع الأعلام الوطنية وكذلك أعلام الحلفاء بما في ذلك العلم الفرنسي (82)، ومهما يكن من أمر، فإن كل المسؤولين والمناضلين يؤكدون ان حزب الشعب الجزائري قد أعد منشورا في الموضوع ووزعه يوم 1945/5/6 في الجزائر العاصمة وفي أهم مدن البلاد وقراها.

ولقد تضمن المنشور المذكور دعوة جميع المناضلين إلى رفع الأعلام الوطنية وكذلك عددا من اللافتات التي تعبر عن المطالبة بتحرير الشعب الجزائري واطلاق سراح الحاج مصالي وسائر المعتقلين السياسيين، وعن التنديد بالاستعمار والامبريالية بجميع أشكالها. وفي الواقع، فإن جميع المسيرات الشعبية بما في ذلك تلك التي أشرفت على تنظيمها فروع حركة أحباب البيان والحرية، قد وظفت نفس الشعارات لأن مناضلي حزب الشعب الجزائري كانوا، في كل الحالات، هم المحرك الرئيسي للمظاهرات.

على هذا الأساس، ومن هذا المنطلق، نستطيع الجزم بأن قيادة حزب الشعب الجزائري السرية هي مصدر الأمر بتنظيم المسيرات الشعبية والمشاركة فيها بمناسبة الاحتفالات بعيد الانتصار على النازية؛ وإذا كانت القيادات المحلية لحركة أحباب البيان والحرية، في جل الأماكن، هي التي اشرفت مباشرة على العملية، فلأنها كانت، في معظمها، مكونة من إطارات قيادية من الحزب المذكور وهي، في تحركها، انما كانت تطبق التعليمات الصادرة عن قيادتها الأساسية، لأن القيادة العليا لحركة أحباب البيان والحرية لم تتلق موافقة السلطات الاستعمارية ولم تكن مستعدة لخرق القانون.

ولقد كان حزب الشعب الجزائري يهدف، من خلال تنظيم المسيرات الشعبية، إلى لفت انتباه الحلفاء عامة وحكومة الجنرال ديغول بصفة خاصة، إلى الواقع الجديد الذي آل إليه الشعب الجزائري وهو واقع الاستعداد المطلق لتحمل مسؤولياته كاملة في تسيير شؤونه بنفسه.

ومن الجدير بالذكر، ان ذلك الواقع الجديد لم يتشكل دفعة واحدة بل هو حصيلة كل الأحداث والتطورات التي وقعت خاصة أثناء الحرب

الإمبريالية الثانية والتي تعرضنا إليها بإيجاز كبير في الصفحات السابقة، ويمكننا، بعد تدقيق والتمحيص، أن نقول عنها إنها ممهدات الثورة من أجل استرجاع السيادة الوطنية.

المؤامرة الإستعمارية

ولقد كانت السلطات الاستعمارية التي عايشت عن كثب تلك الأحداث والتطورات، تعرف أنها أمام حركة سياسية نوعية استطاعت ان تنفذبسرعة وبحكمة إلى جميع الأوساط الشعبية، وتمكنت من نشر الوعي اللازم لجر الجماهير الواسعة إلى العمل الثوري بجميع أنواعه ومن إقناعها بالإقدام على التضحية القصوى في سبيل استرجاع الاستقلال الوطني الكامل. لأجل ذلك، فإنها لم تبق مكتوفة الأيدي. وبقدر ما كانت تعمل على خرق الصفوف الوطنية و مضايقة الإطارات القيادية وملاحقتهم، فإنها كانت تستعد الإستعداد اللازم لإقتلاع جذور الحركة الاستقلالية في أول فرصة تتاح لها. ويتمثل استعداد تلك السلطات الاستعمارية في العمل على جبهتين أساسيتين هما :

1 - الجبهة السياسية التي خصصتها لزرع بذور الشقاق في صفوف حركة أحباب البيان والحرية قصد فصل من كانوا يسمون بالمعتدلين والمنتخبين عن مناضلي الحركة المصالية. وقد استعملت الإدارة الفرنسية في هذه الجبهة، جميع ما لديها من وسائل الترغيب والترهيب (83) كما أنها لم تتردد في اللجوء إلى توظيف الجهوية والعشائرية والإنتماءات الفكرية والثقافية.

2 - الجبهة المادية التي خصصتها لإعداد وسائل القمع الضرورية لإنجاز مهمة الإستئصال ولتوفير الإمكانيات العسكرية والأمنية اللازمة لخنق بوادر الثورة في الوقت المناسب. ومن جملة الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية بهذا الصدد نذكر على سبيل المثال:

أ – حصر المناطق التي تجمع التقارير المخابراتية على أنها أوكار للحركة المصالية العاملة على تحقيق الإنفصال عن فرنسا بواسطة استرجاع السيادة الوطنية المغتصبة سنة 1830. وحسب تلك التقارير، فإن المناطق الأكثر خطورة هي: الجزائر العاصمة، الشمال القسنطيني، القبائل الكبرى والقبائل الصغرى، وهران، تلمسان والأوراس.

ب – تدريب قوات الجيش الفرنسي المرابطة بالمناطق المذكورة على التصدي لحرب العصابات. ويذكر بايا (84) (Paillat) إن تلك القوات كان تعدادها يزيد عن ستين ألف جندي وضابط، وأن أول تدريب ميداني شارك فيه القادة العسكريون والمدنيون إنما وقع في شهر جانفي سنة 1945.

ج – اقدام عامل عمالة قسنطينة السيد لاستراد كربونال (Lestrade Carbonnel) على تكوين فصائل الميليشيا بنواحي برج بوعريريج، وذلك ابتداء من شهر ديسمبر سنة 1944. وعلى إثر فترة التدريب تم تعيين القادة ووزعت الأسلحة واعطيت التعليمات التي كانت تتلخص في العمل من أجل هدف واحد هو إبادة اطارات ومناضلي حزب الشعب الجزائري (85).

إن بعض المحللين السياسيين، اليوم، يلقون باللائمة على قيادة حزب الشعب الجزائري متهمين إياها بالتهور وعدم الوعي بالأخطار التي عرضت لها عشرات آلاف الجزائريات والجزائريين. إن هذا الموقف، مهما كانت دوافعه، غير سليم خاصة عندما نعرف أن القيادة المذكورة كانت، فعلا، مصممة على اشعال فتيل الثورة كاجراء أخير من أجل ارغام فرنسا على التسليم بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه؛ لكن الثامن ماي لم يكن هو اندلاع الثورة بل إنه، على غرار الفاتح من نفس الشهر، كان، فقط استظهارا لما تتوفر عليه الحركة الوطنية الجزائرية من قدرة على تعبئة الجماهير الشعبية وتجنيدها ، ومنبهة للحكومة الفرنسية وللحلفاء على درجة النضج التي بلغها الجزائريون الذين أصبحوا تواقين للحرية والإنعتاق.

ومما لاشك فيه أن الإدارة الإستعمارية كانت تدرك كل ذلك، كما أنها كانت تعلم أن قيادة حزب الشعب الجزائري التي أمرت بتنظيم المسيرات الشعبية تخليدا لإنتصار الديمقراطية في العالم ، قد أصدرت في ذات الوقت تعليماتها الصارمة لجميع المناضلين كي لا يحملوا معهم أي نوع من أنواع السلاح حتى يظل التظاهر سلميا وللغرض المشار إليه أعلاه فقط. لكن الأهداف الإستعمارية كانت مسطرة من قبل وكانت المسيرة هي المصيدة على حد تعبير السيد فرحات عباس (86).

لقد كان الثامن ماي سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف يوم ثلاثاء، وبحكم تواجد معظم الميليشيات في المحور الرابط بين برج بوعريريج ومدينة سطيف، فإن هذه الأخيرة قد أختيرت من طرف الإدارة الإستعمارية لتكون منطلق المجزرة الرهيبة التي لاشك في أنها كانت من تخطيط وتنفيذ السلطتين المدنية والعسكرية في الجزائر، وبمباركة حكومة باريس التي كانت برئاسة الجنرال ديغول في ذلك الوقت (87).

إن كل المصادر التاريخية بما في ذلك تقرير الجنرال تيبار (88) (Tubert)، يثبت أن نائب عامل العمالة في سطيف قد أبدى موافقته الشفاهية للوفد الذي ذهب إليه يلتمس الإذن لتنظيم مسيرة شعبية تتوج بوضع أكليل من الزهور على قبر الجندي المجهول.

وفي مدينة قالمة، أيضا، حصل فرع حركة أحباب البيان والحرية على ترخيص من نائب عامل العمالة. وللتذكير، نشير إلى أن عامل العمالة هو لاستراد كريونال، المشرف العام على فرق الميليشيا. وبالموازاة مع الترخيص فإن نائبي عامل العمالة قد أمرا محافظي الشرطة وضباطها بخلق الفرص لإطلاق النار قصد تفجير الأوضاع وتمكين الكولون والأجناد من إرتكاب الجريمة.

ولم يكن عامل عمالة قسنطينة هو المهندس الوحيد لعمليات القمع الإجرامية رغم أنه كان، بواسطة نائبيه في سطيف وقالمة معلنا على بداياتها ومسؤولا على تأجج نيرانها، ولكن مصادر التاريخ فيما بعد، قد أثبتت أن

كربونال كان ينشط تحت الإشراف المباشر لسكريتير عام الولاية العامة السيد روني قازان (Rene Gazagne) الذي كان واحدا من دعاة اللجوء إلى العنف لإستئصال الحركة الوطنية في الجزائر (89) والذي كان ، إلى جانب غلاة الكولون ، قد قام بإتصالات واسعة النطاق في فرنسا من أجل ضمان مساندة مجموعة من أصحاب الحل والربط في حكومة باريس.

ولقد كان الكولون وأعوانهم يعتقدون أن التقتيل الأعمى سيمكنهم من القضاء نهائيا على قواعد حزب الشعب الجزائري، ومن زرع الرعب في نفوس كل الجزائريين، قصد صدهم عن مجرد التفكير في محاولة العمل على ضرب المصالح الإستعمارية في الجزائر. ومن الغريب أنهم إستطاعوا، بكل سهولة، أن يرسخوا ذلك الإعتقاد في اذهان عدد كبير من أصحاب القرارومن القريبين منهم في أوساط الحكم الفرنسي على إختلاف أنواعه.

فمن هذا الباب كان التخطيط للجريمة محكما، تبناه الجنرال ديغول في أعلى قمة الهرم، وأشرف على تنفيذه من بعيد وزير الحرب الفرنسي أنذاك، السيد تييون (Tillon) الذي كان من الأعضاء البارزين في قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي .(90)

ومما يدل دلالة قاطعة على أن القمع كان مبيتا وأن الإدارة الإستعمارية كانت في أتم الإستعداد له أن التدخل العسكري جاء سريعا للغاية حتى في القرى والمداشر النائية . وعلى سبيل المثال ، فإن المسيرة التي إنطلقت في الأوريسية بالقرب من مدينة سطيف على الساعة الثانية والنصف من زوال اليوم الثامن من شهر ماي قد إصطدمت بفرق من الجيش الفرنسي على الساعة الرابعة أي فقط بعد ساعة ونصف من إنطلاقها وهو أمر مستحيل في الظروف العادية. وفي اليوم التاسع من شهر ماي وفي مدينة لافاييت (بوقاعة حاليا) وصل الأجناد إلى مكان المسيرة في ظرف ساعة فقط .(91)

على هذا الأساس، وتنفيذا للتعليمات الصادرة عن عامل عمالة قسنطينة ومساعديه في كل من سطيف وقالمة، أقدم ضباط الشرطة في هاتين المدينتين

الأخيرتين على إستفزاز المتظاهرين من أجل إيجاد الظروف التي تسمح بإطلاق النار؛ وفي المدينتين كانت تلك الظروف هي محاولة إنتزاع العلم الجزائري من أيدي المناضلين الذين رفضوا الإمتثال لأوامر ممثلي السلطة الإستعمارية الذين لم يترددوا في اللجوء إلى أسلحتهم .(92) وبسقوط الضحايا الأوائل أخذت المسيرات الشعبية السلمية طابعا أخر جعلها تتحول بالتدريج إلى حركة ثورية ظلت متواصلة طيلة ماتبقى من شهر ماي سنة 1945.

وفيما يخص الإستفزازات البوليسية هناك شهود عيان (93) يذكرون أن المسيرة في مدينة سطيف إنطلقت هادئة من ناحية المسجد الجديد، وظلت كذلك حتى قطعت حوالي ألف متر ووصلت إلى مقهى فرنسا على الشارع الرئيسي حيث كان يجلس المفتش لافون **Laffont** مرتديا الزي المدني. إن هذا الأخير قد غادر مكانه بسرعة وراح يخرق صفوف المتظاهرين محاولا إفتكاك اللافتات المنادية بحياة الحلفاء وسقوط الإمبريالية من حامليها. وأمام رفض المناضلين ومقاومتهم الشديدة أطلق الرصاص عليهم فكان ذلك إيذانا ببدء المجزرة على أيدي أفراد الشرطة الذين كانوا يؤطرون المسيرة.

وإن وزير الداخلية الفرنسي نفسه قد أكد أن جميع التقارير التي وصلته لم تتضمن " أي دليل على أن القادة الوطنيين كانوا يريدون إشعال فتيل الثورة الشاملة يوم 1945/05/08. بل إنها (أي التقارير) شكلت لديه قناعة مطلقة بأنهم فقط كانوا يهدفون إلى إستظهار قوتهم وإخراج مناضليهم قصد عدهم ودعم إنضباطهم ونشر قوتهم أمام السلطات الفرنسية وحكومات الحلفاء " (94).

رد الفعل الوطني والثورة الشاملة :

إن ما أورده السيد أدريان تيكسي هو الحقيقة، وهو الدليل على أن التقارير الواردة إليه كانت صحيحة: لكن الذي ينعدم في شهادة السيد وزير الداخلية هو أن إستفزازات الشرطة التي كانت بأمر من مسؤولي الإدارة الإستعمارية هي التي كانت السبب المباشر في إشعال فتيل الثورة الشاملة.

وبالفعل، فإن سقوط الضحايا الأوائل قد أحدث في أوساط المتظاهرين ضجة وإرتباكا كبيرين قادا، في غمرة المفاجأة، إلى مجموعة من ردود الفعل منها على سبيل المثال:

1 - إرتفاع الأصوات المنادية ببدء الجهاد في سبيل الله، والداعية إلى العودة إلى المنازل وإخراج ما فيها من أسلحة ثم الرجوع إلى الشارع للإقتصاص من الأوروبيين بصفة عامة.

2 - مغادرة المتظاهرين المدن وأطرافها واللجوء إلى القرى والمداشر، وفي الطريق كانوا يخبرون الناس بأن الجهاد قد اعلن وأن المعارك الطاحنة تدور رحاها في شوارع المدن التي هم منها قادمون.

3 - جتماع القيادات المحلية لحزب الشعب الجزائري. وبعد دراسة الأوضاع رفعت التقارير في حينها إلى اللجنة المديرة المؤقتة في العاصمة التي عقدت جلسة عاجلة في تلك الليلة لم ترفعها إلا بعد أن حصل الإجماع على الإجراءات اللازم إتخاذها لحماية الجماهير الشعبية في الشرق الجزائري خاصة من عمليات التقتيل الجماعي التي إنتشرت بسرعة فائقة تحت إشراف قائد القوات المسلحة الجنرال ديفال (Le General Duval) وبمشاركة الكولون المسلحين والشرطة ورجال الدرك والأجناد من مختلف الأسلحة.

4 - سجلت اللجنة المديرة المؤقتة لحزب الشعب الجزائري نبأ إعتقال السيدين عباس وسعدان ثم ناقشت جميع المعطيات المتوفرة لديها وقررت أن تكون بداية الثورة الشاملة عند منتصف الليل بين يومي 23و24 ماي 1945، ووزعت المهام على الطريقة التالية:

- يتولى الإشراف على العاصمة وضواحيها السيد محمد بلوزداد.
- توكل مسؤولية الغرب الجزائري للسيدين محمد محفوظي وعبد الله فيلالي.
- تسند مسؤولية الشرق الجزائري للسيدين مسعود بوقادوم والشاذلي مكي.
- يتولى مسؤولية الجنوب الجزائري السيد أمحمد بن مهل.

- تسند مسؤولية منطقة القبائل للسيد علي حاليت ، ومنطقة شرشال للسيد جيلالي رقيمي بينما يتولى السيد أحمد بوده مسؤولية منطقة الأربعاء وتابلاط.

وبدون أدنى تردد أو إنتظار شرع في تطبيق القرار الذي وجد كل الترحاب في أوساط القواعد المناضلة، لكن السلطات الإستعمارية لم تتوقف عند الجرائم المرتكبة في ذلك اليوم الرهيب، بل أن القوات الفرنسية المسلحة قد إستمرت، خلال الأيام الموالية وبكيفية تصاعدية في ممارسة القمع الأعمى تجاه المداشر والقرى وفي سائر مدن الشرق الجزائري ، ولم تترك سلاحا واحدا بعيدا عن العملية ونظيفا من دماء الجزائريات والجزائريين الأبرياء.

إن المؤرخين الفرنسيين، وتباعا الغربيين بصفة عامة يتجاهلون الحقيقة عندما يتحدثون عن رد فعل السلطات الإستعمارية، ولو كانوا موضوعيين لكتبوا عن أفعالها الوحشية واللاإنسانية التي أدت إلى رد فعل جماهير الشعب الجزائري بقيادة طلائعه الوطنية.

فالجزائريون لم يلجأوا إلى العنف إلا بعد أن بدأت الشرطة الفرنسية تطلق الرصاص على المتظاهرين بدون تمييز. عندها فقط إرتفعت أصواتهم مدوية تدعوا إلى الإقتصاص وإلى الإنضواء تحت لواء الجهاد في سبيل الله ومن أجل تحرير البلاد والعباد.

وأمام عمليات التقتيل المنظمة والمستهدفة إبادة أكبر عدد ممكن من الجزائريين، وتصديا لتحركات فيالق الجيش الفرنسي المدعمة بوحدات إفريقية (95)، وللقصف المكثف الذي كانت تقوم به أسراب الطائرات وقطع البحرية العسكرية، إضطر الجزائريون إلى الهجوم على المراكز الإدارية الرسمية وعلى ثكنات العدو وحصونه حيثما وجدت مستعملين في ذلك كل ما توفر لديهم من أسلحة بدءا من السلاح الأبيض وإنتهاءا بالأسلحة الأوتوماتيكية مرورا ببنادق الصيد والمتفجرات التقليدية.

في هذا الإطار، وعلى سبيل المثال فقط، تجدر الإشارة إلى تقرير قائد الدرك الوطني في قرية بني عزيز (شوفراي سابقا) الذي جاء فيه: " يوم

45/5/9 على الساعة الثانية صباحا أطلق الرصاص في القرية وتعرضت المنازل إلى الرشق بالحجارة. وعند الساعة السابعة قام أكثر من ألف رجل بتطويق الثكنة وأمطروها بوابل من نيران الأسلحة الفردية والأوتوماتيكية. ثم أتلفوا قنوات المياه وخط الكهرباء. وقد كان عملهم يتميز بإنظباط عسكري بحت. وفي الساعة العاشرة وعشرين دقيقة تدخلت مجموعتان من الطائرات المطاردة ، لكن المهاجمين بادروا إلى إطلاق نيران مكثفة على جميع فتحات الثكنة. وفي نفس الوقت قام حوالي مائة منهم بالدخول إلى الطابق الأرضي مضطرين المدافعين على اللجوء إلى الطابق الأول. وأشعلت النار في الأسطبل وفي المخازن... وفي يوم 1945/05/10 تدخلت وحدات عسكرية متنقلة لتشتيت المحاصرين الذين كانوا يستعدون لتفجير الثكنة بواسطة ما إقتنوه من متفجرات" (96).

عمليات الإبادة وتشغيل الأفران :

فقد كانت عمليات القمع رهيبة. ونحن نعتقد، رغم كل مانشر، أن نتائجها لم تضبط حتى الآن، ولا يمكن أن تحصر بصفة دقيقة ونهائية، لكن الذي لا يعتريه أدنى شك هو أنها تأتي في مقدمة جرائم الحرب المرتكبة ضد الإنسانية، قبل كل الجرائم التي تحظى اليوم بعناية المؤرخين ورعاية الدول العظمى والمنظمات الدولية وخاصة منها منظمة الأمم المتحدة.

فالأفران المحرقة شغلت في نواحي مدينة قالمة: ومازال الشعب يذكر، بألم وحسرة، كيف كانت تبتلع بنهم مآت الجثث الطاهرة البريئة. غير أن العالم، اليوم، لايتحدث إلا عن الأفران التي قد يكون الألمان استعملوها لحرق اليهود أثناء الحرب الإمبريالية الثانية. كما أن وسائل الإعلام الدولية ترفض أن تتوقف عند الأفران الأولى التي أقامها الجيش الإستعماري في منطقة الضهرة ليحرق قبيلة أولاد رياح مع معظم مع معظم حيوانتهم الأليفة.

إن الوحشية الإستعمارية لم تتغير كثيرا خلال قرن كامل من السيطرة والإضطهاد والإستغلال، ولم تتغير كذلك سلوكات الضباط الفرنسيين وتصرفاتهم إزاء الجزائريين. ويكفي للتدليل على مانقول إن نسوق فيما يلي اعترافات الجنرال كافينياك (Cavaignac) حول ما فعله لإبادة قبيلة بني صبيح سنة 1844. قال الجنرال: " لقد تولى الأجناد جمع كميات هائلة من أنواع الحطب ثم كدسوها عند مدخل المغارة االتي حملنا قبيلة أولاد صبيح على اللجوء إليها بكل ما تملك من متاع وحيوانات. وفي المساء أضرمت النيران وأخذت الإحتياطات كي لايتمكن أي كان من الخروج حيا " (97) .

وبالنسبة لبقايا بني صبيح الذين نجوا من فرن كافينياك بسبب وجودهم خارج أراضي القبيلة، فإن العقيد كانروبار (Canrobert) لم يدخر أي جهد للبحث عنهم، ولما تسنى له جمعهم بعد حوالي عام من حرق أهاليهم، فإنه قادهم مقيدين إلى مغارة ثانية ثم أمر ببناء جميع مخارجها ليجعل منها على حد تعبيره " مقبرة واسعة لإيواء جثث أولائك المتزمتين. ولم ينزل أحد إلى تلك المغارة، ولا يعرف أحد غيري أنها تضم تحت ركامها خمسمائة من الأشرار الذين لن يقوموا، بعد ذلك، بذبح الفرنسيين ". وفي تعليقه على هذه الجريمة قال السيد برار " : (Berard) لقد ظلت تلك المقبرة مغلقة وبداخلها جثث رجال ونساء وأطفال وقطعان تتآكل أو يأكلها التراب " (98).

ما الرائد مونطانياك (Montagnac) الذي كان يقود الجيش الإستعماري، بنواحي سكيكدة سنة 1843، فإنه لم يكن من هواة الأفران المحرقة أو المقابر الجماعية، لكنه كان عندما يجتاحه القلق يلجأ إلى " قطع رؤوس العرب" لإعتقاده بأن العرب بدءا من خمس عشر سنة يجب أن يقتلوا. أما النساء والأطفال فيشحنون إلى جزر المركيز أو غيرها، وبتعبير آخر، يجب أن نبيد كل من يرفض الزحف كالكلاب عند أرجلنا . " (99)

إن أحفاد بيليسي وكافينياك وكانروبار ومونطانياك وبيجو قد إستنطقوا التاريخ وتعلموا من دروسه كيف يتعاملون مع الإنسان العربي في الجزائر؛

فالجنرال ديفال القائد الأعلى للقوات المسلحة في الجزائر والجنرال فايس (Weiss) قائد القوات الجوية والبحرية في ذلك الأسبوع الثاني من شهر ماي 1945 قد أصدرا تعليماتهم لتشغيل الأفران المحرقة في نواحي قالمة ولكي تقنبل الدواوير والمداشر حتى في رؤوس الجبال وتطلق أيادي الكولون والأجناد تعبث كيفما شاءت بحياة الجزائريين ومصائرهم.

ففي هذا السياق كتب الضابط بارجوري (Bergeret) في مذكراته " لقد كانت قنبلتنا للمداشر المحيطة بخراطة لا تتوقف آناء الليل وأثناء النهار، ولدفن جثث المسلمين، فإن الأجناد كانوا يأتون بالأسرى الذين، بعد الإنتهاء من مهمتهم، توجه إليهم المدافع الرشاشة " (100) .

أما " بريد الجزائر (le courier algerien) "، فإنه أورد على أعمدته ما يلي:

" منذ سنة 1842 والمارشال سانتارنو، وحتى في أحلك أيام تاريخها، فإن الجزائر لم تعرف أبدا قمعا أكثر وحشية ضد شعب أعزل" فعلى الطرقات وعبر الدروب وفي الحقول والوديان والكهوف، لاترى سوى جثث مبتورة تنهمها الكلاب الجائعة : جثث نتنة تحوم عليها الكواسر.. وفي أماكن متعددة أطلال لقرى مدكوكة " (101)

لقد إختلف المؤرخون وشهود العيان حول تقدير الخسائر البشرية. فالقنصل لأمريكي بالجزائر يرى أن عدد القتلى يتراوح ما بين أربعين وخمسين ألف، بينما يحدد الجزائريون قتلاهم بخمسة وأربعين ألف وهو الرقم الذي تبنته الجامعة العربية في ذلك الوقت. أما السلطات العسكرية الفرنسية فتجعل عدد القتلى يتراوح ما بين ستة وثمانية آلاف يضاف إليهم نفس العدد من الأسرى (102).إذا كانت سائر الكتابات قد سجلت أرقاما متباينة من القتلى والجرحى والأسرى، وتحدثت طويلا عن المحاكمات التي أسفرت عن كثير من الإعدامات والأشغال المؤبدة والنفي خارج الوطن والحرمان من الحقوق المدنية، فإن السكوت كان عاما ومطلقا بالنسبة للخسائر المادية وللأضرار المعنوية. ولقد كان من المفروض أن يتعرض المؤرخون وغيرهم ممن عالجوا

حركة ماي الثورية إلى كل تلك المداشر والقرى التي نسفت عن آخرها و إلى كل تلك الحيوانات الأليفة والدواجن التي لم يكن يخلو منها بيت ريفي، وإلى كل تلك الغابات التي تلقت آلاف الأطنان من القنابل التي تساقطت عليها من الجو ومن البحر، كما أنهم لم يتعرضوا لآلاف المصابين نفسيا وعقليا نتيجة عملية القمع والتعذيب وبسبب المطاردات والملاحقات.

إن الإدارة الأمريكية، في ذلك الحين، قد نشرت على أعمدة الصحافة أن الطيران الفرنسي نفذ في ظرف أسبوعين 4500 غارة جوية لتدمير 44 مشتى حسب الإحصاء الإستعماري نفسه فإذا كانت كل مشتى تأوي فقط 500 ساكن، فإن عدد القتلى بواسطة القصف الجوي لن يكون أقل من 22.500. أما من البحر، ست عشرة سفينة قد قامت، لمدة أسبوعين كذلك، بقصف الأرياف المجاورة لموانئ بجاية وجيجل والقل وسكيكدة وعنابة، وليس من السهل تقدير الخسائر البشرية والمادية التي ترتبت عن ذلك القصف.

إن الدارس المحقق يرفض التسليم بعدد القتلى المتداول اليوم والذي تستبعده المصادر الرسمية الفرنسية التي تجد دعما لها في منشورات الحزبين الشيوعي والإشتراكي الفرنسين بالإضافة إلى كتابات الشيوعيين الجزائريين. إن إستنطاق مختلف التقارير المعاصرة والكتابات المنشورة على أعمدة الصحافة أو المرسلة في طي الكتمان إلى قيادات الجيش الفرنسي أو إلى سائر الجهات الحكومية الفرنسية، وكذلك التمعن في شهادات المعاصرين وفي القصائد الشعرية والأغاني والأهازيج التي خلدت ما وقع في ذلك الشهر المبارك، كل ذلك يقود إلى تصديق ما جاء في تصريح الدكتور إبن جلول أمام نواب المجلس الوطني التأسيسي الفرنسي بتاريخ 1946/02/28 من أن عدد القتلى المسلمين بلغ في ذلك الشهر ثمانين ألفا (104).

ولقد كان السيد فرحات عباس في مقدمة المحللين لما وقع في شهر ماي 1945، ساعده على الإرتقاء إلى تلك المكانة ما كان يتمتع به من أفق واسع واطلاع كبير على المعطيات الحقيقية بالإضافة إلى تلك العزلة الطويلة التي

فرضت عليه إبتداء من ثامن ماي 1945 إلى سادس عشر مارس 1946. يقول الأمين العام السابق لحركة أحباب البيان والحرية في نداء وجهه إلى الشبيبة الجزائرية والفرنسية : " لقد كانت مغامرة سطيف وقالمة الفظيعة موجهة ضدنا وضد أحباب البيان والحرية، ضد طموحات شعبنا الشرعية.. ضد الديمقراطية الفتية في الجزائر. شرع في تنفيذها بينما كان الوئام يسود العلاقات القائمة بين حركتنا وسائر التنظيمات الديمقراطية. وكان الغرض هو عزلنا وإثارة أوربي الجزائر والشعب الفرنسي ذاته ضد إصلاحتنا وكان المقصود (أيضا) هو القضاء علينا وتنظيم الإنتخابات بدوننا وتحضير الرجوع إلى الوراء.. إلى عهد الإستعمار المطلق.. إنها جريمة شنعاء إرتكبتها الإدارة، وبشر بها كثير من المعرضين، خاصة منهم لاسترداد كربونال (Lestrade Carbonnel) عامل العمالة الذباح الوصولي الذي صرح يوم 1945/04/20 قائلا : " إن عمليات كبيرة ستحدث ضد حزب سياسي يقع حله فيما بعد ". فللقضاء علينا، ذهبوا إلى حد ارتكاب الجريمة. وضد شعب أعزل، سلحوا وجمعوا في شكل مليشيات عصابات من الأوغال والرجعيين. إن لاسترداد كربونال - درناند الجزائر - (105) وكذلك عملية أشياري (Achiary) وغيرهما ممن زرعوا في أريافنا رعبا هتليريا بشعا عليهم، اليوم، أن يدفعوا مقابل الجرائم التي ارتكبوها.. إن ملف الثامن ماي لم يغلق بعد."

تراجع القيادة الثورية وموقف التشكيلات السياسية _

إن رأي عباس، في هذا الموضوع، هو عين الصواب. وليس ملف الثامن ماي، وحده، هو الذي لم يغلق ولكن الملف الإجمالي لكامل الحركة الثورية كله لم يزل مفتوحا، إلى غاية هذا اليوم، وهو ينتظر اهتمام المؤرخين الوطنيين ورعاية المؤسسات الرسمية في بلادنا لأن جهد الأفراد وحده غير كاف

للفصل في كثير من القضايا بكيفية تضمن الوفاء لأرواح شهداء وضحايا القمع الإستعماري في الجزائر. وعندما نقول : إن جهد الأفراد وحده لا يكفي، فإننا لانصدر حكما إنطلاقا من فراغ، ولكننا نعتمد في منطوق حكمنا على أحداث وقعت بالفعل وهي كثيرة وإن كنا نكتفي، هنا، بالإشارة إلى إثنين منها فقط على سبيل المثال:

1 - في شهر ماي 1985 ألقيت محاضرة أمام طلبة المدرسة العليا للتجارة بدعوة من مديرها العام صديقي الدكتور سيد علي بوكرامي. ونظرا للمكان والزمان وجدتني مساقا للتركيز على مسألتي الديون الجزائرية المترتبة على حكومة فرنسا قبل الإحتلال، والتعويض عن جرائم الحرب التي ارتكبتها الإدارة والجيش الإستعماريين في بلادنا خلال الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى سنة 1962، وبعد تحليل الوثائق الرسمية الموجودة بدور المحفوظات، والتوقف طويلا عند شهادات المعاصرين لعمليات الإبادة التي تعرضت لها جماهير الشعب الجزائري، خلصت إلى توجيه نداء إلى السلطات الجزائرية المعنية كي تنشر أمام محكمة العدل الدولية دعوى من أجل القضاء على حكومة فرنسا بأن تدفع للشعب الجزائري جميع مستحقاته التي قدرتها في ذلك الوقت بمبلغ 132 ألف مليار فرنك فرنسي. ونشرت أسبوعية الجزائر الأحداث، يومها، ملخصا عن المحاضرة ترتب عليه احتجاج من السفارة الفرنسية سبب لي مجموعة من المشاكل ليس هذا مكان سردها.

2 - ومن غريب الأمور أن السلطات الفرنسية ما زالت، إلى يومنا هذا، تلاحق مجرمي الحرب من الألمان ومن الفرنسيين، وعندما تعثر عليهم في أي مكان من الدنيا، فإنها تلجأ إلى جميع الوسائل والحيل من أجل إستقدامهم ومحاكمتهم في جو إعلامي وطني وعالمي رغم مرور أكثر من خمسين سنة على الأفعال المرتكبة ورغم تقدم المتهمين في السن ولجوئهم إلى الإغتراب والتستر بأسماء مستعارة أمثال كلوز باربي وبول توفي وغيرهما.

وعلى غرار السلطات الفرنسية، فإن الكيان الصهيوني لم يتوقف، منذ أن وضعت الحرب الإمبريالية الثانية أوزارها، عن مطاردة المشتبه في أنهم شاركوا من قريب أو من بعيد في تعذيب اليهود واضطهادهم، كما أنه يغتنم جميع الفرص لإشعار السلطات الألمانية بالذنب وجعلها لا تتوقف عن تقديم المبالغ الباهضة والمساعدات المختلفة تعويضا عن الأضرار التي قد يكون الجيش الألماني قد ألحقها بأبسط يهودي في أقصى مكان من أنحاء العالم.

وعندما يتعلق الأمر بالجرائم المرتكبة ضد الإنسانية في الجزائر، فإن المسؤول الأول عن وقوعها لايتردد في الحديث عنها بكل استخفاف ولا يوجد من الجزائريين من يتجرأ حتى على توجيه التهمة إليه. لقد كان الجنرال ديغول يتابع عن كثب عمليات التقتيل الجماعي التي تعرضت لها الجماهير الشعبية في الشرق الجزائري، وعلى الرغم من ذلك، فإنه كتب إلى الوالي العام بتاريخ 1945/05/12 يأمره بإتخاذ "جميع الإجراءات الضرورية لقمع كل الأعمال المناهضة لفرنسا والتي تقوم بها أقلية من المشاغبين " (107).وعندما نشرت مذكراته سنة سبعين وتسعمائة وألف جاء فيها بالحرف الواحد : " وفي النواحي القسنطينية وبالتزامن مع إضطرابات شهر ماي السورية، ظهرت بداية ثورة قضى عليها في المهد الوالي العام شاتينيو " (108).

وعلى أي حال، فإن شدة القمع وإتساع عمليات الإبادة بكيفية يصعب على العقل تصويرها قد أجبرا قيادة حزب الشعب الجزائري (109) على البقاء في إجتماع متواصل تدرس التقارير المرفوعة إليها من سائر أنحاء الشرق الجزائري الذي كان يعيش حالة الحرب الطاحنة،ومن باقي جهات الوطن التي نقلت إليها الأوامر الخاصة بإشعال فتيل الثورة ليلة الرابع والعشرين من شهر ماي كما أشرنا إلى ذلك سابقا. وفي يوم 1945/05/18 خلصت القيادة المذكورة إلى أن الإستعدادات اللازمة للكفاح المسلح غير كافية، وأن شروط الإنتصار على العدو غير متوفرة، وبالتالي فإن الإستمرار في تعميم الثورة سوف لن يزيد إلا في مضاعفة التقتيل والقمع بجميع أنواعه، ومن ثمة إتخذ

القرار بالإجماع على تسيير رسل تحمل لكافة القيادات المحلية في مختلف أنحاء الوطن أوامر الكف عن القتال حيث تدور المعارك وعدم البدء فيه ولم تنشب المعارك بعد ذلك .

ومن المتفق عليه، اليوم، أن الأوامر المضادة قد وصلت في وقتها إلى جميع القيادات المحلية لكن بعض المسؤولين (110) رفضوا تطبيقها ليس عصيانا أو تقصيرا ولكن لأن التحضيرات في مناطقهم أوشكت على الإنتهاء، ولأن حماس المناضلين والمواطنين لم يعد ممكنا معه التراجع والعودة إلى الوراء. هكذا، شهد صباح الرابع والعشرين ماي 1945 عمليات فدائية استهدفت أعمدة الهاتف والكهرباء وبعض مراكز الشرطة والدرك والسكة الحديدية في عدد من جهات الوطن، غير أن ذلك ظل مقتصرا على مناطق محدودة ولم يدم سوى أيام معدودة (111) تفرقت بعدها جحافل المناضلين وتمكن بعضهم من اللجوء إلى الجبال في نواحي الأوراس والقبائل والونشريس، في حين وقع في الأسر بعضهم الآخر وعدد من الإطارات القيادية.

أما الإدارة الإستعمارية، فإنها لم تتوقف عند هذا الحد، ولم يؤثر في مسؤوليها على اختلاف مشاربهم، ما بلغه القمع من وحشية؛ بل أن قادة الميليشيا وضباط الأمن والجيش كانوا يتنافسون حول من يتألق أكثر من غيره في ممارسة أنواع التعذيب والإهانات والإعتداء على الحرمات وفي التمثيل بقتلى المسلمين.وأصبحت " مودة " أن يجمع المسؤولون الأوربيون آلاف الجزائريات والجزائريين في الساحات العمومية ثم يأمرونهم بالسجود للعلم الفرنسي بعد أن يكونوا أرغموهم على ترديد عبارات بذيئة مثل: " نحن كلاب.. وفرحات عباس كلب" (112).

إن السلطات الإستعمارية لم تراع حتى أكثر الجزائريين موالاة لها، ولم ينج من القمع الشديد حتى أكبر عملائها أمثال ذلك الباشاغا الذي صرح لمراسل بريد الجزائر قائلا: " إنني، ماحييت، لن أنس تلك الإغتصابات

والحرائق وتلك المدافع والمدافع الرشاشة والجيوش المدججة بالسلاح والإعتقالات والإعدامات الجماعية " (113) .

ومما لاشك فيه أن القمع الأعمى هو الذي جعل الطلقاء من مسيري حركة أحباب البيان والحرية يقدمون، رغم حل الحركة رسميا يوم 1945/05/14، على توقيع لائحة بتاريخ 1945/05/18 يدينون فيها، بإسم المكتب المركزي، " كل الذين حاولوا، من داخل الحركة أو من خارجها، تشويه النوايا الحسنة وعمل جعل لتحقيق أغراض سلمية وجمهورية. " (114) لقد كانوا يعتقدون أن مثل ذلك الموقف يكفي لإقناع الإدارة الإستعمارية بعدم مسؤوليتهم عما يجري؛ ولو فكروا قليلا ورجعوا أسبوعا واحدا إلى الوراء لفضلوا الصمت بعد أن يكونوا قد تأكدوا من أن المسؤول الأول عن الجريمة إنما هم أنفسهم الذين وجهت إليهم اللائحة وهم ذات الأشخاص الذين كانوا قد استدعتهم بواسطة عامل عمالة الجزائر، يوم 1945/05/09 وحملوهم مسؤولية ماقد يحدث في العاصمة.

وكما أن النداء الذي وجهه المكتب المركزي إلى الجزائريين قصد " إدانة العناصر الذين يزرعون الرعب ويرتكبون الأعمال الإجرامية ويلبسون الجزائر ثوب الحداد" (115) ، لم يؤخذ في الإعتبار من أي طرف كان، فإن اللائحة قد ظلت حبرا على ورق ولم يستفد منها سوى العقيد شون (116) (Schoen) في تقريره إلى وزارة الداخلية.

ويرى الوالي العام، السيد شاتينيو، أن عدم الإكتراث بالمواقف الجديدة الصادرة عن القياديين القدامى لأحباب البيان والحرية كان خطأ فادحا لأنه، إذ أرضى كبار الكولون، فإنه ضيع فرصة ثمينة على الإدارة الإستعمارية التي كان يمكن، بواسطتهم أن تطبق مجموعة من الإصلاحات تبعد شبح الإنفصال إلى الأبد. لقد كان المخطط الإصلاحي، بالنسبة للوالي العام، كفيلا بأن " يجعل السكان الأهالي يدخلون بصدق إلى المجموعة الفرنسية. أما حرمانهم

من ذلـك، فإنه سيدفعهم إلى الأنـزواء على النفس في إنتظار فرصة سانحة لمحاولة التخلص من سادتهم الفرنسيين." (117)

ولم يكن موقف الجنرال ديفال، قائد عمليات القمع والإبادة، مختلفا عن موقف السيد شاتينيو، بل كان فقط، أكثر دقة عندما ذكر في تقريره: " إن فرنسا إذا لم تفعل شيئا (لفائدة السكان الأهالي)، قبل عشر سنوات، فإن ما وقع سيتكرر بأكثر فظاعة وبكيفية لن تكون قابلة للمعالجة." (118)

وسوف يظل موقف الحزب الشيوعي الفرنسي أكثر مواقف التشكيلات السياسية وضوحا لسببين رئيسيين هما :

ا- إشتراكه الفعلي في إرتكاب الجريمة بواسطة إطاراته السامية الذين كانوا يشغلون مجموعة من مناصب الحل والربط في الحكومة الفرنسية المؤقتة. وفي مقدمة تلك الإطارات لابد من التركيز على السيد تيون المشار إليه أعلاه .

ب- إيديولوجيته التي ترفض الإعتراف بوجود الشعب الجزائري ككيان مستقل أو قابل للإستقلال عن الشعب الفرنسي؛ بل أن السيد موريس توريز، أمينه العام، الذي قضى كل سنوات الحرب في موسكو قد عاد إلى باريس في نهاية عام 1944 وهو أكثر تمسكا برأيه القائل إن الأمة الجزائرية في طور التكون وإن عدد عناصرها المكونة عشرون كما سبق الحديث عن ذلك في مستهل هذه الدراسة.

فمنذ اللحظات الأولى، بادر الحزب الشيوعي الفرنسي إلى المطالبة " بتسليط أشد العقوبات على منظمي التمرد وأعوانهم ممن قادوا المسيرات " (119) كما أنه لم يتردد في إتهام قادة الحركة الوطنية بالعمالة للنازية ولغلاة الكولون لأنهم " خدعوا جماهير المسلمين بسعيهم إلى أحداث القطيعة بين السكان الجزائريين وشعب فرنسا." (120)

وركب الحزب الشيوعي الجزائري موجة رائدة الحزب الشيوعي الفرنسي فراح يكيل الإتهامات لإطارات حزب الشعب الجزائري محملا إياهم مسؤولية إراقة

الدماء ومدعيا أنهم يعملون في ركاب النازية ويطبقون تعليمات هتلر " التي لاتخدم سوى مصالح الإقطاعيين الذين ينادون بالإنفصال عن فرنسا." (121)

وإذا كان السيد عمار أوزقان، الذي كان أمينا وطنيا للحزب في ذلك الوقت، قد كتب في Liberté يصف قادة حزب الشعب الجزائري بالمجرمين، عملاء الفاشية والمغامرين الذين أسقطوا قناع المسلمين والوطنيين المزيفي (122)، " فإن السيد كاباليرو (Caballero) وهو أمين وطني آخر، لم يجد مانعا من إتهام المطالبين بإسترجاع الإستقلال الوطني بالعمالة للأمبريالية عن وعي أو بكيفية غير واعية." (123)

من هذا المنطلق، فإن قيادة الحزب الشيوعي الجزائري تنكر على حركة ماي 1945 طابعها الثوري وتحصرها، فقط، في إطار التظاهر من أجل الخبز؛ ولأجل ذلك فهي ترى أن الجرائم المرتكبة من طرف أمثال آشياري نائب عامل العمالة بقالمة إنما هي دفاع عن النفس وحماية لأمن السكان، وتقر أن الميليشيا ومصالح الشرطة والأجناد على إختلاف وحداتهم لم يتجاوزوا حدود ما كان مطلوبا منهم. وحتى بعد مرور الزمن، فإن الشيوعيين قد ظلوا متمسكين بموقفهم الخاطئ والقائل: " إن حزبنا كذب وجود ثورة عربية: لا وجود لثورة عربية، ولكنها مؤامرة فاشية، ولقد أشار الحزب يومها، إلى ما يجب فعله ليعم الأمن في الجزائر: تزويد السكان المسلمين بالغذاء وتشديد العقاب على القتالين الهتليريين الذين ساهموا في أحداث الثامن ماي، وإعتقال المسؤولين الحقيقيين الذين كانوا، بالأمس يزودون " رومل " وطرد الموظفين السامين من مناصبهم." (124)

وعلى الرغم من هذه المواقف المتفرقة، فإن الحزب الشيوعي الجزائري قد تأثر إلى حد بعيد بكل ما جرى في إطار حركة ماي الثورية، وتأكد من خلاله التضحيات التي أقدمت عليها جماهير الشعب الجزائري، أن تحليلاته خاطئة بالنسبة لواقع الجزائر ومستقبلها؛ ولذلك، بادرت قيادته إلى إتخاذ عدد من

التدابير الرامية إلى تقليص الهوة الفاصلة بين إيديولوجيتها والإيديولوجية الوطنية..

وتعود بدايات هذا التوجه الجديد إلى مستهل شهر جوليت 1945، عندما أصبحت أدبيات الحزب تقتصر على إدانة القادة الوطنيين وتطالب بضرورة العفو على " الجحافل المغرر بها من الجزائريين"؛ ثم تطورت تلك الأدبيات مع حلول شهر أوت الذي شاهد، في يومه الثاني عشر، صدور بيان عن اللجنة المركزية تضمن على وجه الخصوص المطالبة بإطلاق سراح ضحايا القمع الأعمى وإعادة النظر في الأحكام الصادرة عن المحاكم الإستثنائية وبإلغاء المندوبيات المالية وإستبدالها بمجلس جزائري.(125)

لكن الإشارة إلى ذلك التطور الذي يمكن إعتباره إيجابيا بالمقارنة مع المواقف الشيوعية السابقة لاتعني، أبدا، أن قيادة الحزب الشيوعي الجزائري قد إبتعدت، كلية، عن المحاور الأساسية التي تبنى عليها توجهات الحزب الرئيسية؛ بل أن بيان شهر أوت المذكور نفسه قد إستلهم جل عناصره من فكرة " الأمة الجزائرية التي في طور التكوين " وتوقف، طويلا، عند ضروره إتحاد الأوربين والمسلمين واليهود " لمواصلة السير الحثيث في الطريق المؤدي إلى تشكيل مجموعة وطنية جزائرية تكون قادرة على أن تعيش حياتها الخاصة . " (126) لا يهم أن تكون تلك " المجموعة الوطنية " مكونة من الكولون المتوسطين والصغار (العنصر الأوربي) والفلاحين والخماسين (العنصر الإسلامي) والموظفين والتجار (العنصر اليهودي) ما دام الهدف ليس هو إسترجاع السيادة المغتصبة وإقامة الجمهورية الجزائرية المستقلة، وإنما هو " دعم التحالف المثمر مع الشعب الفرنسي في كفاحه من أجل إقامة جمهورية حقيقية. " (127)

هوامش

(52) - بغول، ص : 152

(53) - ليبرتي (Liberte) في عددها الصادر بتاريخ 1945/06/07 تؤكد على أن ما وقع في ماي 1945 إنما هو " مؤامرة فاشية حبكها الخونة من كل جنس ودين أي : حزب الشعب الجزائري، حزب الشعب الفرنسي، الموظفون السامون في حكومة فيشي الذين ظلوا في مناصبهم بمساعدة الإقطاعيين."

(54) - إنعقدت ندوة سان فرانسيسكو إبتداء من يوم 24 أفريل،فوضعت ميثاق الأمم المتحدة لكنها لم تنظر في القضية الجزائرية.

(55) – هؤلاء المندوبون هم Vallet :من وادي العثمانية، La vie من قالمة، Fournier من حراطة، Mayer من أولاد رحمون، Deyron من سوق أهراس و Cusin من عزابة.

(56) - SARRASIN (P.E.), La crise Algérienne, Paris 1949, p: 203

(57) - عباس، (فرحات)، حرب الجزائر وثورتها – ليل الإستعمار نقله إلى العربية: أبوبكر رحال، ص، 185.

(58) - نفس المصدر.

(59) - في نهاية المقابلة أخبر الحاج مصالي أن المناضل : بناي واعلي هو المكلف بتهريبه فأعطى موافقته وشرع في الإستعداد لذلك، لكن السلطات الإستعمارية داهمته وأفشلت العملية.

(60) - Paillat (claude), vingt ans qui déchirèrent la france, t1, Le Guepier, Paris 1967, p.54.

(61) - انظر تقرير السيد كازان أمين عام الولاية العامة المؤرخ بيوم 17 /1945/05 والمرتب في محفوظات آكس بروفانس تحت رقم 9465، وكذلك السيد **Paillat** المصدر السابق.

(62) - محاضرة السيد الشاذلي مكي في النفق الجامعي بالعاصمة يوم 1969/05/08. ولقد أكد المحاضر أنه كان شخصيا ضمن الوفد الذي كان يضم إلى جانبه كلا من حسين عسلة ،الحاج شرشالي.

(63) - Paillat (Claude), L'échiquier d'Alger, Avantage à vichy, t1, p. 337

(64) – يبدو من خلال الوثائق المعتمد عليها من طرف الكاتب أن مـرفي في الحقيقة، لـم يقـم سوى بتأكيد الشرطين اللذين وضعهما الجنرال جيرو مقابل تعاون فرنسا مع الأمريكان.

(65)- انظر لائحة المكتب المركزي في **Egalité** الصادرة بتاريخ 1945/04/10 .

(66)- حديث اجريته في بيت الشيخ الحسين بن الميلي يوم1981/05/01مع كل مـن السـادة: محمد الأمين دباغين وأحمد بوده ومسعود بوقدوم وكلهم مسؤولون قيـاديون في حـزب الشعب الجزائري.

(67) - حسب اللقاء الذي أجريناه مع المناضل سويلح هواري الذي كان من القـادة البـارزين في ذلك الوقت، والذي أكد لنا أن مظاهرة وهران لم تكن أقل قيمة من مظاهرة العاصمة .

(68)- بعض الكتاب أوالمؤرخين الذين عالجوا الموضوع لا يذكرون محطة بلكور ، لكـن ذلـك خطأ، لأن معظم المؤطرين وفي مقدمتهم محمد بن وزداد كانوا من هناك، وقد عمل هذا الأخـير على أن ينطلق من بلكور موكبان حتى تنشغل الشرطة الإستعمارية بالأول الـذي قصـد سـاحة أول ماي الحالية ويتمكن الثاني من التوجه بسهولة إلى ساحة البريد المركزي.

(69)- نورد هذه المعلومات من الحديث الذي أجريناه مع السيد أحمد بوده بتاريخ 1985/12/ 08.

(70) – يذكر السيد أحمد بوده أن الشهداء في ذلك المكان كانوا أربعة مضيفـا: أحمـد بوعـلام الله وعبد القادر قاضي.و من بين القياديين الذين ألقي عليهم القبـض تجـدر الإشـارة إلى: أحمـد مزغنه وحسين عسلة ومحمد هني وعبد الرحمان صغير.

(71)- كان المنشور مؤرخا بيوم 1945/05/03 ومما جاء فيه "إن الإستفزاز صادر عـن حـزب الشعب الجزائري الذي يأتمر بأوامر هتلر مـن برلين. نفس هتلـر الـذي يذبـح ويعـذب الجنـود الأشاوس العاملين في صفوف الجيش الفرنسي وذلـك دون تمييز بين المسلمين والأوربيين.أن

حزب الشعب الجزائري، إذ ينشر في العمالات الثلاث شعارات استغلال الجزائر والجيش الجزائري وإذ أقدم على تنظيم هذه الإضطرابات إنما ذلك على أنه الحزب الذي يطبق التعليمات التي يبثها الهتلريون بواسطة الإذاعة النازية.

(72) - انظر نص المنشور في مركز دراسات الحرب العالمية الثانية بباريس، ملف تيبار.

(73)-(74) Bulletin mensuel d'information," Prefecture d'Alger, mai 1945

(75) - لقد كانت قيادة حزب الشعب الجزائري تدرك أن السلطات الإستعمارية لن تسمح لها بالمشاركة في الإحتفالات نظرا لكون الحزب ينشط في السرية فقط ولأن مواقفه متشددة ومطالب مرفوضة مسبقا. أما المؤسسات المقصودة فهي: البرلمان الوطني، والجيش الشعبي على وجه الخصوص.

(77)- لقد قال الوالي العام إلى السيد فرحات عباس فيما بعد:"إنني سلمتكما إلى الجيش لحمايتكما من إنتقام الكولون". انظر :

(78) Benyoucef, Benkhedda, Les origines du 1er novembre 1954, Edition Dahleb Alger 1989,

نذكر على سبيل المثال: سطيف سكيكدة وبسكرة

(79) - انظر خاصة: عياد ثابت في :

"Le 08 mai 1945: Jaquerie ou revendication agraire". in *RASJPE*, no:4 ,1972 pp 1007-1016.

وكذلك محفوظ قداش في:

Le 08 mai 1945, Paris Ed du centenaire 1975.

(80) - ابن يوسف بن حده، نفس المصدر، ص: 100.

(81) - نفس المصدر.

(82) - في إطار إجراءات الترهيب، أقدمت السلطات الإستعمارية على إعتقال أعداد كبيرة من المناضلين بتهمة المساس بأمن الدولة من خلال توزيع البيانات والمنشورات بدون ترخيص. وفي نفس الإطار، أيضا، ألقي القبض على مجموعة من صف الضباط الجزائريين بتهمة المشاركة في الأعداد للتمرد.

(83) - بايا (كلود)، نفس المصدر، ص:52

(84) - جاء في جريدة الحرية (**Liberté**) الصادرة بتاريخ 1946/02/21 أن الحركة الجمهورية الشعبية الفرنسية قد احتجت على عمليات الإبادة التي تعرض لها الجزائريون في شهر ماي 1945، وذكرت في لوائحها أن "كاربونال بدأ يعد فرق الميليشيا ستة أشهر قبل الثامن ماي 1945".

(85) - عباس (فرحات)، *ليل الإستعمار الطويل*، ص:154.

(86) - نفس المصدر

(87) -" Rapport Tubert " in revue algerienne des Sciences juridiques economiques 9 no 4 decembre 1974, p 288-289 .

(88) - بغول (يوسف) ، " بيان الشعب الجزائري " نفس المصدر ، المجلد 11، ديسمبر 1974، ص 262 وما بعدها.

(89) - مع العلم أن موريس توريز (Maurice THorez) الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي كان نائبا لرئيس الحكومة في ذلك الوقت.

(90) - إبتدأت المسيرة على الساعة الخامسة بعد الظهر ، أما فرق الجيش فإنها وصلت إلى عين المكان على الساعة السادسة . ففي ظرف ساعة فقط أعطيت الأوامر وإستشيرت القيادات وتم الإستعداد ووقع الخروج من الثكنة.

(91) - عباس (فرحات) نفس المصدر ، ص 154 ، كذلك Tixier Adrien في كتابه

Un Programme, des reformes pour l'algerie , paris 1947, p. 6

(92) -Yousfi (m'hamed) , l'algerie en marche , t1, Alger 1985, p 59.

وكذلك شهادة السيد إبراهيم حشاني التي إستقيناها منه يوم 1979/04/25 عندما كنا نعد دكتوراه الدولة حول " جبهة التحرير الوطني الجزائرية : المسار والفكر.

(93) - تيكسي، نفس المصدر.

(94) - تعني بذلك خاصة الطابور المغربي والوحدات المكونة في أغلبها من السينغاليين. وفي هذا الإطار لا بد من التذكير بما أورده السيد أحمد بوده من أن الطابور المغربي المكون من 200 جندي والمعسكر بنواحي مدينة الأربعاء كان قد وعد بالإنضمام كاملا إلى القوات الوطنية عندما تنفجر الثورة " .(لقاءا جريناه مع السيد بوده في بيت الشيخ الحسين بن لميلي يوم 1985/12/08.

(95)- أنظر ملف قازان: التقرير رقم 4/12 الصادر بتاريخ 1945/05/11 عن قائد مجموعة الدرك الوطني ببني عزيز.

(96)- Bernard (jh.p.l) , Les deux villes de tenes et de boumaza, alger 1864 ,p .166

(98) - مستعمرة فرنسية تقع شرقي أوستراليا. إستولت عليها فرنسا في القرن 18.

(99) - بيرار، نفس المصدر.

(100) - يايا ، ص: 35

(101) - البريد الجزائري (le courrier algerien) الصادر بتاريخ 1945/05/26

(102) - أنظر تقرير الجنرال تيبار ،ص22:

(103) - ذي ستارز أند ستريبز (the stars and stripes) العدد الصادر بتاريخ 1945/05/31.

(104) - اورد الزميل علي تابليت،خطأ، في مجلة الذاكرة ، عددها الثاني الصادر بتاريخ ماي 1995، ص: 68 أن المجاهد الأسبوعية هي التي قدرت الضحايا بعدد ثمانين ألف، و ذلك في عددها الصادر بتاريخ 08 ماي 1985.

(105) - دارناند جوزيف (Dernand Joseph) سياسي فرنسي من مواليد 1897 وضع نفسه تحت تصرف القوات الألمانية،إبان إحتلال فرنسا، فأسس المليشيات المناهضة للمقاومة سنة 1943 و حينما تم تحرير فرنسا نفذ فيه حكم الإعدام في يوم النصر.

(106) - مقتطف من المنشور الذي وزعه السيد فرحات عباس بمناسبة فاتح ماي 1946 .أنظر النص الكامل في كولو، ص: 219 .و ذلك في بريد الجزائري الصادر بتاريخ أول ماي 1946، و في صارزان: اللأزمة الجزائرية ص: 208 و ما بعدها.

(107) - كلود يايا ،المأزق (le guepier) ج 1، ص: 56.

(108) - مذكرات الأمل، ج 1 ، ص: 58.

(109) - كانت القيادة مكونة من: الدكتور محمد الامين دباغين ،محمد طالب ،أحمد فرغنة ، محمود عبدون و الحاج شرشالي

(110) - مثل زروالي محمد في منطقة القبائل و احمد بن مهل في ناحية الجنوب.

(111) - ظلت المعارك تدور رحاها إلى غاية منتصف شهر جوان سنة 1945.

(112) - بريد الجزائري، العدد الصادر بتاريخ 1946/04/02.

(113) - بريد الجزائري، العدد الصادر بتاريخ 1946/05/26.

(114) - إن عامل عمالة الجزائر قد إستدعى، في الواقع، كلا من السادة : الشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ العربي التبسي، عبد العزيز كسوس، أحمد بومنجل، قدور ساطور، عبد القادر ميموني و محمد خير الدين، لكن النص الذي لم يكن طويلا، إنما كان من صياغة أحمد بومنجل و عبد العزيز كسوس.

(115) - أنظر نص النداء في النشرية الإخبارية الشهرية الصادرة بتاريخ ماي 1945 عن عمالة الجزائر.

(116) - كان شون هو المسؤول عن التجسس على الجزائريين و المكلف بخرق صفوف الحركة الوطنية.

(117) - أنظر تقرير الوالي العام في يايا، ص: 78.

(118) - نفس المصدر.

(119) - لومانيتي، عددها الصادر بتاريخ 1945/05/12.

(120) - L'HUMANITE ، عددها الصادر بتاريخ 19945/05/16

(121) - أنظر ليبرتي و ألجي ريبيليكان في عدديهما الصادرين بتاريخ 1945/05/12

(122) - ليبرتي، عددها الصادر بتاريخ 1945/05/17.

(123) - جاء ذلك في خطاب ألقاه بمناسبة إنعقاد المؤتمر في شهر جوان 1945؛ وقد قال بالحرف الواحد : " إن الذين يطالبون بإستقلال الجزائر إنما هم، بوعي أو بغير وعي، عملاء إمبريالية أخرى و نحن لا نريد إستبدال حصاننا الأعور بحصان أعمى."

(124) - PCA, histoire de huit années de combat ,1937-1946, Alger 1946, p 128

(125) - أنظر كولو و هنري(Collot et Henry) ، ص: 210

(126) - (127) -نفس المصدر.

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1931 — 1952).

إعداد : أحمد مريوش.جامعة الجزائر.

لعله من الخطأ أننا ما نزال حتى اليوم نجزم على أن العمل الثوري كان هو الطابع المميز للحركة الوطنية الجزائرية، وأن فكرة المطالبة بالإستقلال دعا إليها طرف دون الأطراف الأخرى من التيارات السياسية.

ولعلنا بذلك قد أهملنا حلقة هامة من التكوين الإيديولوجي للحركة الوطنية وقتئذ، ويكمن ذلك في الجانب الثقافي والروحي وكلاهما ساهم بالقسط الوفير في إذكاء الحس الوطني لشريحة هامة وعريضة من الجزائريين عن طريق وسيلة التلقين وتطعيم الأجيال وبناء الأمة وإحياء ذاتها وإسترجاع هويتها وعناصر مقوماتها الحضارية، وكل ذلك يصب بالضرورة في المطالبة بالإستقلال وبالتالي المحافظة عليه بالنواجد.

ولتوضيح هذه الحلقة شبه مفقودة في ثقافة بعض قرائنا وطلبتها، إرتأيت أن أعالج هذه النقطة بعنوان: دور الجمعية في الحركة الوطنية منذ تأسيسها إلى سفر الشيخ البشير الإبراهيمي إلى بلاد الشرق، وعلينا تصحيح بعض المفاهيم

من تاريخنا الوطني، وأما عن عناصر الموضوع فقد إقتصرت فيها على النقاط التالية :

أ - الجمعية وأهدافها.

ب- ميادين العمل عند الجمعية.

ج- مواقفها من بعض قضايا عصرها.

د- ردود الفعل الفرنسية تجاه الجمعية.

أ- الجمعية وأهدافها:

تعتبر بداية القرن الحالي فاتحة لعهد جديد في تاريخ الجزائر المعاصر، وذلك لبروز العديد من المعطيات الجديدة التي كانت شبه غائبة قبل تنصيب الحاكم العام جونار على الولاية العامة منذ 1900 (1)، ولذلك أمكن القول أن طبخة التجديد وبداية اليقظة الفكرية وحتى السياسية لدى بعض الجزائريين تعود إلى هذه الفترة.

كما كانت للإستعدادات والتحضيرات الفرنسية للإحتفال بالذكرى المئوية لإغتصابها للجزائر وما روجت له من الإمكانيات المادية والمعنوية، أثره الكبير في تعميق الجرح لدى الجزائريين وخاصة المثقفين منهم، خصوصا وأن الشعارات التي نصبت للذكرى كانت تحديا سافرا لكل غيور على وطنه .

ومن الشعارات التي رفعت تشييع جنازة الإسلام وإنتصار الصليب على الهلال وغيرها من الشعارات الجارحة، وكل ذلك أذكى روح الإحساس بضرورة التحدي ، ومن هؤلاء شريحة العلماء الذين أخذوا يفكرون بكل جدية في كيفية إستعادة الشخصية الجزائرية.

والظاهر أن رجال الإصلاح كانوا أكثر من غيرهم تفهما لعمق المعاناة التي أصبحت عليها الجزائر، ولذلك فقد أسسوا جمعية شاملة بدلا من تشكيل حزب سياسي ، بإعتبار أن الحيز الذي تتحرك فيه الجمعية يكون أوسع وأشمل من نطاق الحزب الضيق، ولذلك فقد جاء في قانون الجمعية الأساسي في الفصل

الأول مايلي : تأسست في عاصمة الجزائر جمعية إرشادية تهذيبية (2) ومن ثم فإن الجمعية ليست حزبا كباقي الأحزاب ولا يخول لها الخوض في قضايا ما ذكر في الفصل الثالث من قانونها الذي يقول: لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من السياسة حسب الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية (3).

وأما عن الأهداف التي جاءت من أجلها الجمعية، فيبدو أنها ما تزال مجهولة لدى العديد من الجزائريين اليوم، وبالخصوص الشباب منهم وحتى في الوسط الطلابي والجامعي، وأن هؤلاء لقن لهم عن الجمعية أنها إهتمت بجمع العشور، والتعريف بنواقض الوضوء، وتوفير البخور لتعطير المساجد، وأن نهاية الجمعية بدأ بتدخلها في شؤون السياسية منذ مشاركتها في المؤتمر الإسلامي 1936 (4).

والحقيقة أن الواقع التاريخي للجمعية يفند كل تلك التصورات المشبوهة تجاه نشاطات الجمعية ورجالها، إذ أن ميلاد الجمعية كان ضرورة حتمية ، وهو كرد فعل ضد الإجراءات الفرنسية وإستفزازاتها الحقيرة ضد مقومات الشعب الجزائري، ونفي قيمه والتظاهر بنشوة إنتصار المسيحية على الإسلام ، وبكل بساطة فإن أهداف الجمعية كانت تسعى لإنتشال المجتمع الجزائري من حالة البؤس والضلال والبدع التي ألصقت به، ثم توجيه ذلك المجتمع وفق مشروع جديد خال من الموبقات وكل ما يحرمه صريح الشرع الإسلامي وينكره العقل وتحجره القوانين الساري بها العمل وقتئذ، لأن أسلوب المرحلية هو القاعدة التي إرتكزت عليها الجمعية في بداية عملها، حتى تحافظ على بقاءها ولا تصطدم في مرحلة مبكرة مع الإدارة الإستعمارية.

ب- ميادين العمل عند الجمعية:

إن الدارس لميادين العمل عند الجمعية يجدها متنوعة لتنوع الغايات والأهداف التي سطرتها لنفسها، وكل ذلك يدرج من روح التجديد وبناء الفرد الجزائري وتشييد صرح الأمة، وإنتشالها من سياسة المسخ والتغريب

والإدماج وتلك هي مظاهر السياسة الفرنسية التي فرضت على الجزائريين بغية إذابة الذاتية، وبالتالي توفير الشروط الكافية لتحقيق مشروع الإستيطان. ولإحباط المشاريع الإستعمارية في الجزائر، فقد رسمت الجمعية لنفسها برنامجا دقيقا حتى تشمل كل جوانب المعضلة، وبالتالي التحكم التدريجي في عودة إحياء الذات وإنماء الفكر وتنويره ، وقد إتخذت في ذلك قنوات عمل متنوعة يمكن إيجازها في النقاط التالية :

1 - الإعتماد على جانب التربية والتعليم وتشييد المدارس الحرة (5)، وفتح أبوابها في مناطق عديدة وحتى الجبلية النائية منها، إضافة إلى التكفل بالبعثات الطلابية وإرسالها إلى الخارج للتكوين وإتمام الدراسة وتكوين إطارات المستقبل (6).

2 - تأسيس الحركة الصحفية النشيطة كجريدة السنة والصراط والشريعة والبصائر (7)، وتوجيهها لخدمة الإصلاح وتثقيف المواطنين، وتبليغ الرأي الخارجي عن حالة الجزائر المأسوية، وكل ذلك كان بمثابة التحدي ضد أكاذيب وتعتيم الصحافة الفرنسية حول قضايا الجزائر.

3 - التحكم الجيد في توظيف المساجد، وجعلها أشبه ما تكون بالمؤسسة الشاملة خدمة للتربية وأداء فرائض الإسلام ونشر العلم (8)، وتبصير الجزائريين بقضايا دينهم ودنياهم ، وترقية الأفكار بين الطبقات الإجتماعية المختلفة(9).

4 - قيام رحالات العلماء بالعديد من الجولات عبر مناطق مختلفة من الوطن، والوقوف عند قضايا وإهتمامات المواطن اليومية، والسماع لإنشغالاته وأماله بغرض زرع الثقة في النفوس بإعتبارها مصدر القوة في العمل الدعوي عند الجمعية.

5 - تأسيس الجمعيات الخيرية وتقديم الخدمات الإجتماعية للمعوزين والمحتاجين من الجزائريين ولعل من أمثلة ذلك الجمعية الخيرية الاسلامية بالجزائر العاصمة التي أوكلت إليها خدمات متنوعة.(10)

6 - تأسيس النوادي الثقافية، والتكفل بالحركة الشبانية مثل الحركة الطلابية (11)، والحركة الكشفية الإسلامية (12) ، وشباب المؤتمر الإسلامي (13) ، وشباب الموحدين (14) ، وغيرهم من التشكيلات الشبانية العديدة.

ج- مواقفها من بعض قضايا عصرها:

إن الشيء الذي ميز مواقف الجمعية تجاه قضايا عصرها هو تمسكها بطابع المرونة أحيانا والشدة أحيانا أخرى، وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة المشكلة والظروف المحيطة بها، وبرغم ذلك كله فقد كانت الجمعية واضحة في العديد من مواقفها لأن الضرورة تقتضي ذلك، وإلا سقطت من أعين العديد من أنصارها. وسوف نورد هنا بعض القضايا التي عالجتها الجمعية والتي كشفت بدورها عن جوانب من الإستيراتيجية التي سطرتها لنفسها سواء منها القريبة أو البعيدة المدى خدمة للقضية الوطنية.

1 - الإتجاه الطرقي:

مما لا شك فيه أن الأمة التي تضرب في فكرها وتصورها وهويتها، يصبح محكوما عليها بالفناء والزوال. والإستعمار الفرنسي لم يستغن عن خططه من هذا الطرح القاتل للذاتية الجزائرية وذلك بعد إفساد عقلها ومنابع التصور عندها، ومن ذلك فقد شجع الإستعمار الطرق الضالة لإفساد عقيدة الجزائريين وتكسير البنية الدينية، وغرس ذهنيات الدروشة وتشجيع الإعتقاد دون الإنتقاد، حتى أصبح لكل شيخ مريده المفضل وزاويته المزارة، وقد إلتفت طائفة من المرتزقة حول الأضرحة يدعونها ويروجون الأباطيل حول أصحابها، وتفشى داء النزعة الطرقية القبورية (15)، وأصبح مذهب العديد من ذوي العقول الساذجة.

وأمام هذه الظاهرة الغريبة التي عملت على تنويم الفكر الجزائري، ظهرت ردود فعل رجال الحركة الإصلاحية ضد هذا التوجه " الوثني " ،

وكشفت عن خطورته نحو الأمة الجزائرية وأنه أشد خطرا حتى من الإستعمار نفسه، وكان الشيخ العقبي أكثر من غيره من رجال الاصلاح تشددا تجاه جماعة الطرقية، ولذلك فقد أشهر سلاحه ضدهم بمقالاته النارية وأشعاره المستفيضة وقد أفرد له ركنا خاصا في الشهاب بعنوان: يقولون وأقول يرد فيه على إدعاءات الطرقيين وأهل الباطل (16) ، ويكشف أباطيلهم بالحجج الدامغة.

والحق أن الشيخ العقبي يعتبر بلا منازع أول من جاهر بالعداء ضد الطرقية، وأقرض أشعارا عديدة يرد فيها على دعاة الإنحراف الديني بعدما أصبحت الأمة الجزائرية الواحدة ممزقة بين تيارين تيار الجمود والعودة إلى عهد الوثنية، وتيار التقدمية التي جعلت من المادة والعصرنة مقاييس في حياتها الخاصة وأنسلخت عن أصالتها، وقد عبر الشيخ العقبي عن ذلك الوضع المتردي بقوله :

الطرق في هذا الزمان مجادة * ولكنها يبغي بها أهلها الرزقا.
تجارة قوم عاجزين سبيلهم * سبيل ضلال جانبوا العلم والصدقا.
وشيخهم الأتقى لولي بزعمه * إذا ما رآى مالا أمال له عنقا.

ويضيق الشاعر المصلح ذرعا من جراء الفساد العقائدي الذي إنتشر في طول البلاد وعرضها ، وتجسد في سلوكات غريبة على المجتمع الجزائري المسلم، ولذلك نراه يرد على أولئك الطفيليين الدجالين بإسم الدين بقوله:

متى ألقهم أبصر شياطين فتنة * وياليت أني لا أراهم ولا ألقى.
قد إنتشروا بالغي في كل بلدة * فلم يتركوا غربا ولم يتركوا شرقا.
وقد أولعوا بالنسق سرا وجهرة * فحيث تراهم تبصر الخبث والفسقا.
دعاة ضلال من أجاب نداءهم * أضلوه عن دين النبي فما أشقى (17).

أما الشيخ مبارك الميلي الداعية الإصلاحي، فقد نشر هو بدوره سلسلة من مقالات في جريدة البصائر بعنوان: رسالة الشرك ومظاهره، كشف من خلالها عن خطر البدعة والشرك بالأشياء الجامدة وأثرها على إفساد العقيدة الإسلامية، وإعتبر الميلي أن البناء العقيدي شرط ضروري لنهضة الجزائر، ولذلك فقد طبع مقالاته في شكل كتاب سنة 1937 (18).

أما الشيخ البشير الإبراهيمي فقد حارب هو بدوره الطرقية، وشن على أهل البدعة الحرب الواسعة وأطلق على عوائدهم -الزردة- أعراس الشيطان، وقد عبر عن ذلك بقوله: " إن الزردة التي تقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشيطان وولائمه وحفلاته ومواسمه ، وكل ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كله رجس من عمل الشيطان ، وكل داع إليها أو معين عليها أو مكثر لسوادها فهو من أعوان الشيطان، ألم تر إلى ما يرتكب فيها من فواحش ومحرمات؟ وما يهتك فيها من أعراض وحرمات؟ كل ذلك مما يأمر به الشيطان " (19).

والحق أن الشيخ الإبراهيمي ربط سلوك الشيطان بسلوك الإستعمار، وأنهما أجمعا على إلحاق الضرر وإتلاف كل ماهو جزائري برغم مجهودات رجال الإصلاح لتفادي ذلك الهدم وخاصة المعنوي منه، وقد أشار إلى ذلك الإبراهيمي بقوله: " إن لعدة هذه المنكرات لسببا جديدا غير العقيدة فقد ضعفت وغير المنفعة المادية لدعاة الشيطان فقد نزرت، وإنما هو تنشيط الحكومة لها وتحريضها على إحيائها ، لأن في بقائها قوة للإستعمار ومقاومة للحركة الإصلاحية وإلهاء لرجال الإصلاح في البناء والإصلاح" (20) .

2 - الهوية الوطنية:

تعد الجمعية بدون منازع أولى الجمعيات في تاريخ الجزائر المعاصر التي طالبت بإسترجاع الهوية الجزائرية وإستعادة مقومات الشخصية الوطنية الضائعة، وبالتالي جعلتها في أولى مطالبها كي تنمي الوازع المعنوي وتقوي

الإحساس الذاتي، ولذلك فلاغرابة أن نجد اللغة العربية والدين الإسلامي يحتلان المكانة اللائقة في برنامج الجمعية، فاللغة العربية هي لغة القرآن وهي وسيلة التخاطب والتقارب، وهي ركيزة المكونات الإسلامية للشخصية الوطنية وقد عبر الإبراهيمي عن تلك المكانة التاريخية للعربية في الجزائر بقوله: " اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة ، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواخي مع الحاضر طويلة الافنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين " (21) .

وهكذا فاللغة العربية التي أقصاها الإستعمار من ميدان التعليم والتدريب والتدوين في الإدارة و حتى من لغة التخاطب والمعاملات، فإن زمن الجمعية كان بداية نهاية التهميش للعربية، وأصبحت رسمية عندها، بل طالبت الإدارة الفرنسية بأن ترفع عنها الإجراءات التعسفية وتجعلها لغة رسمية، وبذلك فقد أحيت الجمعية اللغة العربية التي كادت أن تموت.

أما الإستعمار الفرنسي فقد تفطن لخطورة عمل الجمعية وإهتماماتها اللغوية، ولجأ كعادته إلى إصدار القوانين التعسفية لخنق العربية وتهميشها، لأن التفاعل الفكري المبني على وحدة اللغة سيؤول حتما إلى إفرازات وطنية جديدة تصب كلها في توجه واحد، بإعتبار أن مصدر الإلهام الفكري كان أحاديا. ومن ثم فقد أصدرت الإدارة الإستعمارية قرار 8 مارس 1938 والقاضي بضرب اللغة العربية وخنق صوت المعلمين ، وكان قرارا جائرا في حق الجزائريين.

وقد رد الشيخ إبن باديس ردا عنيفا عن القرار الفرنسي، سواء في خطبه بالمساجد أو في كتاباته الصحفية، وإعتبر ذلك محنة للسان العربي، وكتب يقول:" يالله والإسلام والعربية في الجزائر، كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن.لما رأوا تصميم الأمة على تعلم قراءتها ودينها ولغة دينها، وإستبسال كثير من المعلمين في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين والقرآن

وإستمرارهم على التعليم رغم التهديد والوعيد ورغم الزجر والتغريم لما رأوا هذا كله سعوا سعيهم وبذلوا جهدهم حتى إستصدروا هذا القانون، قانون العقاب الرهيب " (22) ...

وهكذا فقد ربط إبن باديس عنصر اللغة بالدين الإسلامي، وإعتبر أن قرار 8 مارس هو ضرب العقيدة الاسلامية نفسها، لأن عامل اللغة العربية يعتبر من الدعائم الاساسية في فهم الاسلام والحفاظ عليه و التفقه في الدين دون صعوبة او عناء ، و لذلك كانت العربية من الأهداف المسطرة في الخطاب الدعوي الوحدوي للجمعية، وأنها لم تجعل من عنصر اللغة البعد العرقي، بل جعلت من العربية حافز الحصانة والتحدي ضد سياسة التغريب والتدجين الفرنسية، ومن ثم تتمكن من خدمة جانب التواصل والترابط الحضاري العربي الإسلامي، وقد أشار إلى توضيح ذلك التوجه إبن باديس نفسه بقوله: " ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي" (23) .

وأمام كل الإجراءات الفرنسية الرافضة للهوية الجزائرية، وبرغم ظروف الجزائر الصعبة خلال الحرب العالمية الثانية، فإن نشاطات الجمعية لم تتوقف، بل وسعت من الهياكل التعليمية،و طعمت العربية، وأرست المدرسة الحديثة وإستعانت بالمناهج العصرية، وكل ذلك أقلق فرنسا من جديد، وأصدرت في نوفمبر 1944 مرسوما جديدا ينص على غلق المدارس الحرة، وإلحاق قوانين جديدة تعسفية ضد المعلمين وإجبارية تدريس اللغة الفرنسية إلى جانب العربية (24).

وقد حاول الإستعمار من خلال سنه لهذا القرار تعطيل تعليم اللغة العربية، وتهجينها أيضا بعد ما أجبر تعليم الفرنسية إلى جانبها وأصبحت ضرة لها. وبذلك يتسنى له تكوين نموذج جديد من المتعلمين المولدين لغويا، وعن طريق هذه الجماعة يحقق مشروعه،لكن القرار الفرنسي الذي وجد من يصوغه، فإنه لقي من يعارضه، وتمثل ذلك في رجال الدين الأحرار، وعلى

رأسهم الشيخ العقبي الذي عارض قرار شاتينيو، وأرسل رسالة مؤرخة في 20 نوفمبر 1945 إلى مدير الشؤون الأهلية يطلب منه فيها بالتراجع عن قرار فبراير لأنه لا يخدم الجزائريين، ومما جاء في الرسالة قوله: " فنحن نتوجه إلى هذا المشروع ونحن أقوياء بحقنا ،أقوياء بما قدم لنا من صريح العهود والوعود لكن لتكونوا على ثقة سيدي المدير بأن المسلمين ليسوا متحملين مسؤولية هذه الغلطة الفادحة، نعم لقد كان من الممكن ولا زال من الممكن أن نطلب من شيوخ التدريب الحر مقدارا من اللباقة والكفاءة والأخلاق الحميدة، وإحترام القوانين والنظم ، إنما الأمر الذي لا يفهم ولا يتوصل لفهم كنهة الإدراك هو إجباركم على الخضوع لشيء ليس هو في طاقتهم ولا مقدرتهم. وكيف يمكن أن نطلب من المسلمين وجوب معرفة اللغة الفرنسية دون أن تكون أبواب المكاتب مفتوحة على مصراعيها أمام الجميع دون أي ميز أو إجحاف" (25) .

أما فرنسا فقد حاولت إسكات صوت الشيخ العقبي، وإنه لم يكن معنيا بهذا القرار وكأنها ترى في خروجه من إدارة الجمعية هو تخليه عن القضية الجزائرية، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وإعتبرت أن القرار لا يمس مدرسة الشبيبة الإسلامية التي كانت موجهة من طرف العقبي، لكن صراحة العقبي كانت أقوى من المناورة الفرنسية، وأنه لا يقبل المساومة، وإن قانون شاتينيو جاء لضرب الحركة التعليمية والإصلاحية في الجزائر قاطبة بقوله :

" إن تنفيذ قرار 27 فبراير قد أثار في القطر الجزائري إستياءا عميقا، وأنه لإستياء معقول. توصلوا مع كل الأسف إلى ضرب الفكرة الإصلاحية نفسها، فصادموا عواطف شعب كامل في أعز مقدساته وجعلوه يفهم من عملهم هذا أنهم يريدون الحيلولة بينه وبين لغة وطدت أسسها القرون، وكانت هياكل كيانه، ولن تستطيع أية قوة بشرية مهما تعاظمت أن تحرمه منها " (26) ..

هكذا عبر الشيخ العقبي لفرنسا على أن العربية لغة لها جذورها في العمق التاريخي الجزائري. كما نشير هنا إلى قضية هامة عالجتها الجمعية في موضوع الهوية، وهي أخذها بإحترام جميع جوانب الهوية الجزائرية، وسعت

إلى جمع شمل الأمة الجزائرية بل وحافظت على الفلكلور الثقافي بما فيه الأمازيغية، وغذت التزاوج الثقافي الذي إنصهر في بوتقة واحدة، ولم تفتح المجال أمام الإستئصال، وقد عبر رجال الجمعية في المناسبات العديدة حول ضرورة التعايش الثقافي، ومن ثم فقد كان رد الشيخ إبن باديس صائبا جدا بعد الكلمة التي ألقاها الشيخ يحي حمودي باللهجة القبائلية في نادي الترقي، وكان تدخل إبن باديس ليبرز مدى تنوع الثقافة الجزائرية تحت لواء الإسلام، وقد أشار إلى ذلك بقوله: " إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم أبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا، أمه الجزائر وأبوه الإسلام ، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات إتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعادة كلمة الله، وما أسالوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم. فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم" (27) .ولكن ماذا يقول إبن باديس لو نهض من قبره اليوم !!!؟.

هكذا خدم رجال الإصلاح مقومات الهوية الجزائرية، وكانت نظرتهم صائبة بإعتبار أن الوحدة اللغوية والفكرية هي أساس الوحدة الوطنية ، ولذلك فقد لخص إبن باديس مقومات الشخصية الجزائرية في قوله: " إن الأمة الجزائرية المسلمة موجودة مثلها في ذلك مثل بقية الأمم، وإن لهذه الأمة تاريخها المجيد، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وعاداتها وطباعها " (28) ...

3 - عنصر التاريخ:

إذا كان التاريخ هو ذاكرة الأمة، فإن الإستعمار الفرنسي في الجزائر عمل بكل ما في وسعه لتحريف وتزييف ما في الأمة الجزائرية، وقد أرسى لذلك منهجا خاصا تمثل في نشاط الكنسيين والمستشرقين والمؤرخين العسكريين، لكن محاولة الهدم الإستعمارية لم تكن خفية عن برنامج جمعية

العلماء، وسعت إلى إحياء الذاكرة الجزائرية، بل غرست في نفوس الجزائريين الهمم، وقد أشار إبن باديس إلى ذلك في محاضرة له بعنوان " الشعب الجزائري لن يموت "، ومما جاء فيها قوله: " إننا شعب خالد ككثير من الشعوب وإنما علينا أن نعرف تاريخنا، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لاحقة به في هذا الوجود، ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين: اللغة العربية لغة الدين لغة الجنس لغة القومية لغة الوطنية المغروسة " (29) ...

وأما عن مصطلح القومية الذي وظفه هنا إبن باديس فإنه يعني به التواصل الحضاري العربي الإسلامي مشرقه ومغربه، ولم تكن القومية الباديسية هي الدعوة للعرقية الضيقة مثلما دعا وبشر إليه العديد من البعثيين في بلاد الشرق العربي.وهكذا فقد نبذت الجمعية فكرة الإنقسامات الجهوية ، ووضعت برنامجا أكاديميا لإحياء ذاكرة الأمة، وتمثل ذلك في إرساء أول مدرسة جزائرية لكتابة التاريخ الوطني عبر العصور، وقد تزعم هذه المدرسة الشيخ مبارك الميلي بعد شروعه في جمع المادة وتأليف كتاب : تاريخ الجزائر في القديم والحديث " (30).، إضافة إلى إسهامات العديد من الرعيل الذي سار على نهج الميلي أمثال توفيق المدني وعبد الرحمان الجيلالي وغيرهما.

وقد لقي عنصر التاريخ عند الجمعية العناية القصوى، وهذا لم يكن في ميدان الإهتمام بالبحث والكتابة بقدر ما كان كذلك في ميدان التدريب وخلال برامج التعليم، وقد أشار أحد المستشرقين الفرنسيين المهتمين بالتحولات الفكرية والدينية والسياسية في الجزائر خلال بداية القرن، والمدعو " ديبارمي " قلت أشار إلى الرؤية الجديدة التي عمدها العلماء في برنامجهم الإصلاحي والمتمثلة في عنصر التاريخ وإحياء تلك الحلقة التي كانت مفقودة في السابق وهي حركة الإنبعاث التاريخي بغرض نهوض الأمة وإستعادة كل مقوماتها الحضارية عبر التاريخ وبالتالي يتسنى لها المطالبة بحقوقها كاملة " (31)

4 - الوحدة االوطنية :

لعل الشيء الذي ميز الظاهرة الإستعمارية الفرنسية عن غيرها من ظواهر الإستعمار الأوروبية الأخرى، هي ظاهرة فرق تسد وسط الأمة الواحدة كي يتسنى لها التحكم فيها أكثر. وشجعت لذلك فكرة القبلية والعروشية وعمقت الجهوية، ونصبت المشايخ والقياد والباشغات لتطبيق أوامرها . ولم يرق هذا العمل الجهنمي جمعية العلماء وحاربته بوسائل عديدة ورفع إبن باديس شعاره في جريدة المنقذ بقوله: " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء .

كما أن الدارس لنشاطات الجمعية يجدها قد غطت أكبر عدد ممكن من مناطق الوطن ، كما تجنبت قدر الإمكان خصوصا مع بداية تأسيسها الدخول في المهاترات والصراعات الهامشية التي لا تخدم المصلحة الوطنية التي سطرتها الجمعية وهي: وحدة الرأي والوطن والمصير.

ولذلك فقد واجه إبن باديس خصوم الجمعية بالحكمة وفضل المصلحة العامة على الذاتية وقد أشار إلى ذلك بقوله: " أما موقف الجمعية من خصومها، فإنها تعلم أن الأمة اليوم تجتاز طورا من أشق أطوارها وأخطرها، فهي تتناسى كل خصومة وتعمل لجمع الكلمة وتوحيد الوجهة، ولا تنبذ أولئك الرؤوس، رؤوس الباطل والضلال الذين لا تجدهم الأمة في أيام محنتها إلا بلاء عليها، ولا يتحركون إلا إذا حركوا لغايات عكس غاياتها" (32) ...

كما شرح إبن باديس البعد الوطني الذي تنشده الجمعية، وإن هذه المصلحة تستدعي التكثيف من الإجتهاد والتفاني،وأن هذا الإجتهاد هو جزء لا يتجزأ من خدمة الوطن الكبير وهو العالم العربي والإسلامي، وكتب إبن باديس في الشهاب بقوله: " لمن أعيش: أعيش للإسلام والجزائر، أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض عليه تلك الروابط لأجله كجزء منه، وأنا أشهر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة. نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص

أوطانا آخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال ونحن فيها نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لا بد وأن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص" (33) ...

أما الشيخ الإبراهيمي فقد حاول هو بدوره أن يكشف عن الدسائس الإستعمارية التي سطرت لتمزيق الوحدة الوطنية والوحدة الفكرية، ودعا الإبراهيمي إلى ضرورة تفاعل الشعب الجزائري مع بعضه البعض، وتناسى الأحقاد والخلافات، والإنصهار في بوتقة واحدة بدلا من إنتهاج سياسة التآكل الداخلي التي تحبذها فرنسا وبعض أعيانها، وقد أشار الإبراهيمي إلى ذلك بقوله: " إن العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل وجاء بالعربية ومعها العلم، فالعدل هو الذي أخضع البربر للعرب ولكنه خضوع الإخوة لا خضوع القوة وتسليم الإحترام لا تسليم الإجرام، والعلم هو الذي طوع البربرية للعربية، ولكنه تطويع البهرج للجيدة لا طاعة الأمة للسيدة " (34) ...

5 - الأحزاب السياسية:

إن الدارس لعلاقات الجمعية مع الأحزاب السياسية يجدها متذبذبة وغير مستقرة على مواقفها تجاه هذه الأحزاب ، وذلك بحكم إختلاف الظروف والمراحل من جهة وحتى تطور مواقف الأحزاب من جهة ثانية، وبذلك فالجمعية لم تكن بمعزل عن الساحة السياسية، كما يذهب إليه البعض (35) ولو أنها ذكرت في قانونها الأساسي بأنه لا دخل لها في قضايا السياسة كما أشرنا آنفا، ولكن ذلك غير صحيح ، بل ماهو إلا مطية منها بغرض الحصول على الشرعية وإعتماد التأسيس على غرار الجمعيات التي تأسست من قبلها. وإن جمعية العلماء دينية وأن فرنسا طبقت قانون فصل الدين عن الدولة منذ بداية القرن.

وكانت الجمعية منذ تأسيسها غير متفتحة على الأحزاب الأخرى، لأنها كانت منشغلة ببناء هياكلها وإرساء أسسها ، وبعد أن مكنت من

نفسها، ومع منتصف الثلاثينيات إزداد إهتمامها بالساحة السياسية خصوصا بعدما تألق نجم شمال إفريقيا الذي كشف عن برنامج عمله خلال مؤتمره الذي عقده بباريس سنة 1933 (36).

وهكذا أصبح واضحا لدى الجمعية بأن الخوض في المسائل السياسية أصبح أكثر من ضرورة خصوصا وأنها أصبحت تملك رصيدا كبيرا ومعتبرا من المناضلين والهياكل والمؤسسات وكل ذلك يجعلها تتوغل أكثر في العمق الجزائري وتكسب القاعدة العريضة من الجزائريين، ومن ثم لا بد عليها أن تمثل هذا الرصيد الهائل في كل المناسبات وأصبح كذلك عليها أن تقدم مطالب هذا الزخم البشري الهائل للإدارة الفرنسية إلى جانب مطالب الأحزاب السياسية الاخرى.

وقد أوضح الإبراهيمي أن المطالب التي تبنتها الجمعية هي مطالب وطنية لم تألفها فرنسا ، وقد أشار إلى ذلك بقوله: " قامت الجمعية تعمل لإصلاح الإسلام بين المسلمين ، والمطالبة بحقوقه المغصوبة وبحرية لغته المسلوبة، وسمع الإستعمار لأول مرة في حياته بهذه الديار نغمة جديدة لم تألفها أذناه ، تدعو إلى الحق في قوة ونطالب بإنصاف في منطق" (37) ...

ويعتبر المؤتمر الإسلامي 1936 أول لقاء رسمي للجمعية مع الأحزاب والجمعيات المشاركة في المؤتمر بإستثناء النجم ، وكانت مشاركة أعضاء الجمعية في المؤتمر صائبة، إذ أنه لا يعقل في مثل ذلك الوقت أن تبقى الجمعية معزولة من الأحداث ، هذا في الوقت الذي نشطت فيه أحزاب آخرى بجهرية بغرض إحتواء الساحة السياسية ، ومن ثم جاء نداء الشيخ ابن باديس لعقد المؤتمر حتى يجتمع كل ممثلي الرأي الإسلامي ورجال السياسة والجمعيات والقضاة والأساتذة وحتى الحرفيين والتجار، وكان إبن باديس يقول دائما لا يمكن أن نمثل الأمة إلا بالرجوع إلى الأمة، وكان الغرض من المؤتمر هو جمع الآراء حول مستقبل الجزائر والخروج من المؤتمر بمطالب تضبط مصير المسلمين الجزائريين (38).

وكانت مشاركة الجمعية في المؤتمر هو ضمان الشخصية الجزائرية، وأن المطالبة ببرنامج بلوم فيوليت يجب أن لا يتحول إلى مشروع يهدد مقومات الأمة الجزائرية ، كما أن مشروع بلوم ماهو إلا نقطة من النقاط العديدة التي تناولها المؤتمر حسب قول الإبراهيمي (39).

والظاهر أن حضور الجمعية في المؤتمر لم يكن هو رهن الجزائر أو بيعها في المزاد العلني كما تروجه بعض الأقلام، بل هو محاولة جاءت من الجمعية لتقديم المطالب الجزائرية في إطار قانوني وديمقراطي ، ولعل تصريح إبن باديس بعد عودته من باريس في صائفة 1936، ما يوضح ذلك إذ يقول : " أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فرقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل بها وكيف نحيا لأجلها. إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا وفتحنا قلوبنا فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد، أيها الشعب لقد عملت وأنت في أولى عملك، فإعمل و دم على العمل وحافظ على النظام وأعلم أن عملك هذا على جلالته ماهو إلا خطوة ووثبة وراءها خطوات ووثبات وبعدها إما الحياة وأما الممات " (40)

هذا عن الجمعية والمؤتمر، وأن الحدث الثاني البارز الذي بلور العمل السياسي عند الجمعية هو مشاركتها في إثراء البيان الجزائري الصادر في فبراير 1943، ويمثل هذا الحدث تحولا جديدا في تطور مسار الحركة الوطنية الجزائرية، فبرغم ظروف الحرب القاسية، والحضر الذي فرض على الجزائروخنق صوت رجال الدين والسياسة، فإن رجالات الحركة الوطنية قد إستغلوا نزول الحلفاء في الجزائر، وأصدروا البيان الجزائري حتى يحملوا الحلفاء مسؤوليتهم الكاملة حول حرية تقرير مصير الشعوب التي رفعوها، ولذلك فقد لعب فرحات عباس والعلماء وحزب الشعب الدور الهام في إيصال هذه المطالب إلى الحلفاء (41).

وقد كان للموقف السلبي الذي وقفته فرنسا وحلفائها من مطالب البيان أثره الفعال على تطور مواقف الجمعية تجاه الإدارة الفرنسية، لذلك فقد رفضت الجمعية برئاسة الإبراهيمي مرسوم ديغول الصادر في 7 مارس 1944، ونفس الموقف وقفه العقبي لأن المرسوم قد وسع من دائرة التجنس دون خدمة المطالب الجزائرية (42).

وقد خابت آمال الجمعية في الإصلاحات الفرنسية كغيرها من الأحزاب الوطنية الأخرى، ولذلك فقد أخذت تتقرب تدريجيا في علاقاتها مع الأحزاب وخاصة البيانيين للتقارب في وجهات النظر في الإتجاهين من جهة ، ولتشابه الوسائل ومنهجية العمل من جهة آخرى، وقد عبر الإبراهيمي في ذلك التقارب من خلال البيان الذي وزع بضواحي الميلية بالشرق الجزائري سنة 1947 تحت عنوان " لماذا أنا مع البيان " ومما جاء فيه قوله: "كان البيان من يوم وضعه محل إتفاق بين العناصر الصالحة من الأمة لأنه خطوة في تحقيق رغائبها وهم تلك الرغائب الثلاثة: الشخصية الجزائرية والدين الإسلامي واللغة العربية ، وهذه الثلاثة هي أصول مبادىء جمعية العلماء المسلمين.وأني لا زالت من أنصار البيان ومن المؤيدين الأنصار ماداموا محترمين لبرنامج البيان عن النقطة السياسية من تصريح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي " (43)

وبرغم تطور الإدارة الفرنسية ومرونتها تجاه الجزائريين لكسب ودهم وإمتصاص غضبهم وقيامها من جديد بتأسيس لجنة الإصلاحات الإسلامية، فإننا نجد الجمعية كغيرها من الهيئات الأخرى تقدم مذكرة بإسم الإبراهيمي إلى هذه اللجنة وتطالب فيها بجملة من المطالب الدينية والثقافية والإجتماعية والسياسية .(44) ولكنها لم تخرج عن مطالبها المضادة.

وإذا كانت الجمعية قد تطورت في مواقفها تجاه فرنسا والقضايا الوطنية، فإنها لم تعلن صراحة عن ذلك كي تحافظ على وجودها ، ومع ذلك أصبحت رافضة لسياسة الإصلاحات الواهية التي تنتهجها فرنسا من حين لأخر ، بل أصبحت الجمعية وكأنها مؤهلة للعمل بفكرة العصيان المدني، وقد تجلى ذلك

في جملة اللقاءات التي جمعت الشيخ الإبراهيمي بزعماء الأحزاب السياسية قبل حوادث 8 ماي 1945، إذ تذكر المصادر أنه بتاريخ 19 أفريل 1945 إلتقى الشيخ الإبراهيمي و فرحات عباس ومصالي الحاج بقصر الشلالة في سرية تامة وإتفق الأطراف الثلاثة على برنامج عمل وهو مهاجمة الإدارة الفرنسية (45).

كما تذهب العديد من الروايات الأخرى أن الجمعية عقدت لقاءات عديدة قبيل حوادث 8 ماي ، إذ يذكر الأستاذ توفيق المدني أن إجتماعا عقد يوم 6 ماي بمتجر عباس التركي وضم الإبراهيمي وخير الدين وفرحات عباس وتمحور اللقاء حول دراسة أوضاع الجزائر وإمكانية تشكيل خط دفاعي مع تونس والمغرب الأقصى (46).

ولذلك نجد الإدارة الفرنسية تتهم العلماء أنهم كانوا وراء أحداث الثامن ماي ، وإتضح ذلك من خلال تصريح الجنرال توبير الذي ترأس لجنة التحقيق بعد الأحداث. وقد إعتبرت اللجنة أن دور العلماء كان بطريقة غير مباشرة في تكوين خميرة الأحداث، إذ أن علماء الجزائر كانوا على صلة تامة بالحركة الإسلامية في الخارج وبالدوائر الوطنية في مصر، ولذلك كانت دعاياتهم تخلو من التحريض، وهي متشابهة مع دعاية حزب أصدقاء البيان والحرية، وكان العلماء يبثون دعايتهم في المدارس وينشدونها في أناشيدهم وحتى في مناشيرهم وحفلاتهم ومحاضراتهم، وقد بلغ تأثيرهم أن أصبح التلاميذ الجزائريون يفضلون التخلي ومقاطعة المدرسة الفرنسية ويلتحقون بمدارس الجمعية (47).

كما أننا لايمكن فصل صدى الحركة الإصلاحية عن التحضير لمثل الثامن ماي خصوصا وأن المتظاهرين رفعوا شعارات هامة لها صلة بعمل الجمعية منها الجهاد في سبيل الله وطرد الكفار، ولو أن الإبراهيمي أرجع المكيدة إلى جنون فرنسا ضد الأبرياء وأن المعمرين قد خشوا على مصالحهم في الجزائر، وبرغم ذلك فالجريمة ستبقى وصمة عار في جبين الحضارة الفرنسية وقد أشار الإبراهيمي إلى ذلك بقوله: " لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من

نور ، ثم كتب في آخر هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله (48) .

وبعد نهاية الحرب الثانية إزداد إرتباط الجمعية بالأحزاب الوطنية، وقادت الجمعية في معارضتها للإصلاحات الفرنسية، وقد إستفادت في تحولها هذا من مجزرة 8 ماي، ولذلك فقد كانت بداية جديدة في تحولها السياسي، فبعد إصدار قانون الجزائر في 20 سبتمبر 1947 (49)، عارضت الجمعية كغيرها من التشكيلات الأخرى هذا الإجراء الجديد. ومع بداية الخمسينات عرفت الساحة السياسية في الجزائر تطورات إيجابية بعد ظهور فكرة الترويج لقيام وحدة جزائرية بين جميع الأحزاب، وقد قامت جريدة المنار التي أصدرها عبد الحميد بوزوزو (50) بسبر الآراء مع العديد من الشخصيات السياسية والدينية.

كما عرفت هذه الفترة كذلك ميلاد حزب سياسي جديد بإسم حزب الوحدة الجزائرية برئاسة الشيخ الحسين السليماني، وكانت مطالب الحزب ضرورة الوحدة وتحقيق فكرة الإستقلال التام ونبذ الإصلاحات الفرنسية (51).

وفي الخامس من شهر أوت 1951 تأسست لجنة الدفاع عن الحرية وإحترامها وذلك بعد سلسلة من اللقاءات التي تمت بين جمعية العلماء برئاسة خير الدين والعربي التبسي والإنتصاريين بقيادة مزغنة ومصطفى فروخي ، والبيانيين الذين مثلهم أحمد فرانسيس وقدور ساطور، والشيوعيين الذين ناب عنهم أحمد محمودي وبول كاباليرو.

وتمحور لقاء 25 جويلية الذي ضم لجنة الدفاع في الحركة ، بإبلاغ الرأي العام الجزائري والفرنسي عن الإجراءات الضرورية التي يجب أن تتخذ ضد السياسة الفرنسية ومنها إلغاء الإنتخابات التشريعية المزعومة، وإحترام حرية الإنتخابات والحريات الأساسية من ضمير وصحافة ومحاربة القمع بجميع أنواعه، وإطلاق سراح جميع السياسيين، ورفع التدابير التعسفية ضد شخصية مصالي، وإنهاء تدخل الدولة في شؤون الديانة الإسلامية.(52)

والظاهران هذا التجمع الوطني لم يكتب له النجاح لأنه جاء متأخرا نوعا ما بالنسبة للقضية الجزائرية خصوصا بعد شيوع فكرة العمل الثوري بين صفوف المناضلين في الأحزاب السياسية.

6 - مفهوم الإستقلال عند الجمعية:

إذا كان النجم الذي آل إلى حركة الإنتصار قد عبر صراحة عن توجهه الإستقلالي ، فإن الجمعية لم تعلن صراحة عن ذلك ، لأن وسيلة العمل عندها إعتمدت كما أشرنا سابقا على أسلوب المرحلية في البناء بغرض إيجاد قناعات ذاتية فاعلة قد تحقق المطالب والأهداف ، ولذلك فإن فكرة الإستقلال الإستعجالي لم يكن واردا في برنامج العلماء، بل إعتبروا ذلك نوعا من المغامرة التي تؤول إلى الفشل خصوصا خلال الثلاثينات.

وأما عن مفهوم الإستقلال الذي كانت تنشده الجمعية فهو إستقلال الفكر واللسان والتصور ، ثم رسم منهج جزائري تتولد من خلاله رغبات الجزائريين وبالتالي تساهم في تكوين البنية الجديدة لإرساء مشروع المجتمع الجزائري الجديد الخالي من الذهنية والهيمنة والتبعية لرواسب الفكر الإستعماري، وهكذا يكتمل الشرط للمطالبة بالإستقلال.

ولا غرابة أن نجد الجمعية تتهم في وقتها بأنها لا تفقه في علم السياسة لإختلاف بعض وجهات نظرتها مع الأحزاب الأخرى وخاصة حزب الشعب ، وقد كتب إبن باديس في الشهاب سنة 1936 بعنوان : " حول كلمتنا الصريحة " يرد فيها على بعض الذين أدخلوا الشكوك في مصداقية العمل السياسي الذي تخوضه الجمعية وعبر عن ذلك بقوله: " فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض في مثل هذه الميادين ، وأنهم لا يزعجونا أن جرونا للبحث في مسألة الإستقلال ، إن الإستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد إستقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنفعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله

ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ " (53) ...

ونحن هنا إذ نورد الفكر الباديسي لأنه الناطق الرسمي بإسم العلماء ،وأن هناك تصريحات عديدة لرجال الإصلاح تتشابه إلى حد كبير مع نظرة إبن باديس ، فمثلا الشيخ العقبي يعتبر الرجل الثاني في الجمعية بعد إبن باديس قبل إستقالته عن المجلس الإداري سنة 1938 .

وقد صرح العقبي مرارا حول نظرة الجمعية لقضايا الإستقلال ، ففي سنة 1936 بعد عودة وفادة المؤتمر كتب يقول:" إن الأمة الجزائرية نضجت سياسيا... إننا لسنا مهيجين ، بل نحن رجال قانون نطالب بحقوقنا في إطار القانون (54) ".. وكشف في مناسبات أخرى عن مفهوم الإستقلال لدى العلماء قائلا: " لم يكن ذهابنا إلى باريس بغرض المطالبة بالإستقلال ، بل نحن نطالب بإستقلال أفكارنا " (55) ...

هكذا إذن نظرت الجمعية إلى مفهوم الإستقلال ، فهي تطالب بالجزء حتى تتحصل على الكل أي بمعنى إنتهجت ثورة القانون وسياسة خذ وطالب، وعبر عن ذلك العقبي خلال تدخله في الملعب البلدي ببلكور سنة 1936 إذ شبه للحاضرين الإستقلال بالطائر الذي لاريش له، فهل بإمكانه الإعتماد على نفسه كي يحلق في الجو بنجاح وقال كيف يطير من لا جناح ولا ريش له (56).أي بمعنى توفير شروط الإستقلال.

ونظرا لما عرفته نهاية الثلاثينيات من قمة التهريج السياسي، وعدم قناعة بعض الأطراف من رجال السياسة وقتئذ بعمل الجمعية، فقد كشف إبن باديس عن الأهداف البعيدة المدى التي سطرتها الجمعية، وندد بالتهكمات التي ذهب إليها البعض الأخر ضد الجمعية وأشار إلى ذلك بقوله: " إن هذه الأمة ليست فرنسا ولا يمكنها أن تكون فرنسا ولا ترغب في أن تكون أبدا فرنسا حتى إذا رغبت نفسها في سياسة الإدماج. إن للجزائر أراضيها الواضحة وحدودها المعروفة " (57) .

ومع ذلك فإن أسلوب المرحلية الذي أخذت به الجمعية، ظل معارضا من طرف دعاة الإستقلال وخصوصا بعد خطاب مصالي سنة 1936 في الملعب البلدي، وقال أن أعضاء المؤتمر يرغبون في بيع الجزائر .(58) ومع ذلك فإن نظرة مصالي تعتبر خطأ منهجي لإكتمال الإيديولوجية الوطنية ، لأن البعد الثوري ليس كافيا ، بل لم يكن مهضوما عند العامة خلال تلك المرحلة ، لأنه من باب التنظير الواقعي أن يكون البعد الإستقلالي مشحونا ومتشبعا بالوازع الديني والوطني كي يحافظ على إستمراريته في عملية البناء الذاتي دون الإرتباط بالتركة الإستعمارية بعد الإستقلال (59).

أما النظرة الفرنسية للجمعية ، فكانت تختلف عن نظرة المصاليين ، وإعتبرت فرنسا أن الجمعية كانت تخفي في عملها خبايا العمل الثوري، وقد تجلى كل ذلك حين جولاتها سنة 1937 للعديد من المناطق الجزائرية ، ووقوفها عند إنشغالات العامة، ولعل خير مثال على ذلك زيارتها لمدينة ميلة بالشرق الجزائري بوفد مكون من الشيوخ إبن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي ، وقد خطب العقبي عن الجمهور سأله قائلا: ماذا تقولون لو أننا أمرناكم حالا بالقيام بالثورة ضد فرنسا ، فرد الجمهور قائلا: نحن تحت تصرفكم فرد العقبي: إن الوقت لم يحن بعد (60) وقد تركت هذه الزيارة إضطرابات عديدة في الإدارة الفرنسية وخاصة بين حاكم ميلة ومسؤول عمالة قسنطينة والحاكم العام في الجزائر.

وبعد وفاة إبن باديس في قمة شعبيته ظل الإبراهيمي مسايرا للخط الباديسي خلال رئاسته للجمعية التي عصفت بها عواصف عديدة، وكتب المقالات العديدة يرد من خلالها على دعاة الإلحاق والمحبين للألوان الفرنسية، وإعتبر الإبراهيمي أن فكرة الجزائر فرنسية ماهي إلا خرافة وعبر عن ذلك بقوله: " لو أن البحر الأبيض جف والتأمت حافتاه حتى أصبحت الجزائر ربضا من أرباض مرسيليا ، لما كان لهذه الكلمة موضع في العقل مادامت تلك الفوارق قائمة، ولو أن الجزائريين كفروا بالواحد وآمنوا بالثلاثة لما كان لهذه

الكلمة موقع في النفس مادامت سنن الله في ملكه جارية ، ولو أن حاكما حكم عليهم يقطع نسبهم من عدنان وإلصاقه باللأتان لم يكن حكمه لا كحكم قاضي الجزائر في الصدم والأخطاء... إن الجزائر ليست فرنسية ولن تكون فرنسية كلمات قالها أولنا ويقولها آخرنا ومات عليها سلفنا سيلقي الله عليها خلفنا " (61)

د- ردود الفعل الفرنسية تجاه الجمعية:

يبدو وأن الإدارة الفرنسية حينما منحت الإعتماد لتأسيس جمعية العلماء، كانت تظن أن هؤلاء العلماء لا يختلفون في شيء عن رجال الدين المحافظين (62) وأن جمعية العلماء هي إمتداد طبيعي لباقي الجمعيات التي سبقتها إلى الميلاد كالجمعية الرشيدية والتوفيقية وغيرهما. ولكن سرعان ما تفطنت الإدارة الفرنسية للخطر المحذق الذي سوف ينجم عن الجمعية خصوصا بعدما تتبعت أثرها وفهمت حقيقة نشاطاتها.

ولذلك فقد لجأت الإدارة الفرنسية إلى تكثيف جهودها لنسف الجمعية ولو أنها تبنت لذلك وسائل غير مباشرة دون توظيف قرار الحل ، لأنها كانت تخشى من ردود الفعل الجزائرية المتشبعة بمبادىء الجمعية وذلك يعود إلى بداية العشرينيات وتجدر أكثر خلال الثلاثينات والأربعينات. وقد حاولت الإدارة الفرنسية في أكثر من مرة أن تعصف بالجمعية ولعل من بين تلك المحاولات نذكر مايلي:

أ- تأسيس جمعية علماء السنة (63) تأسست بزعامة المولود الحافظي، وهو من العلماء الذين أسسوا الجمعية،وقد نسق مع عمر إسماعيل العضو الدائم في نادي الترقي طبخة هذا المولود الجديد، وقد تم فعلا الإنفصال عن جمعية العلماء، وقد حاولوا بذلك إدخال الإرتباك والشكوك في مصداقية الجمعية ورجالها، وتشجيع التآكل الداخلي فيما بينهم، ولذلك فقد كانت فكرة الإنفصال والإنسلاخ عن جسم الجمعية الأم بإيعاز من الإدارة الفرنسية

وأعوانها ذوي الوظيف ورجال الطرق وذلك لا شيء سوى بغية الحفاظ على مناصبهم وإستئصال رجال الإصلاح من المشروع الوطني ، وتأنيب الرأي الجزائريين ضدهم (64)، وقد إتهم رجال جمعية علماء السنة رجال الإصلاح بالتقصير وإهمالهم للسنة النبوية الشريفة ، وأنهم أهملوا قضايا الدين على حساب أمور كثيرة آخرى ، وهذا بالإضافة إلى تشككهم في إنتخابات المجلس الإداري لجمعية العلماء ، وإتهموا إبن باديس وجماعته بالإستحواذ على المناصب الإدارية ، وبالتالي فالجمعية محتكرة وغير ممثلة لكل الجهات ، والظاهر أن كل ذلك لم يغير من عمل الجمعية ونزل عليها بردا وسلاما ، بل كان تطهيرا ناجما بين صفوفها وبذلك فقد تخلت عن العديد من المندسين الذين نصبوا لخدعة الدين لا لخدمته.

ب- إصدار قرار ميشال 16 فيفري 1933:

بعد نجاح الجمعية وإتساع دائرة إتباعها وخاصة الشباب منهم ، ونشر مدارسها الحرة وذاع صيتها داخليا ودوليا ووصل صداها إلى البلاد العربية مشرقا ومغربا، كل ذلك أقلق أصحاب الإمتيازات من مرابطين وعائلات أهلية ونواب، وقد قدموا مع بداية سنة 1933 للإدارة الفرنسية تقريرا كافيا يشتكون إليها فيه من خطر رجال الإصلاح، كما نددوا بأعمال الجمعية.

وفعلا أصدر الكاتب العام للولاية ميشال قراره المشؤوم ضد العلماء، وخاصة العقبي منهم لقوة نشاطه في إقليم الجزائر العاصمة. ومما جاء في القرار " وعليه فإني أعهد إليكم أن تراقبوا بكل الإهتمام ما يروج في الإجتماعات والمسامرات التي تعقد بإسم جمعية العلماء التي يترأسها السيد إبن باديس ولسانها الرسمي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي ، كما يجب أن تشمل مراقبتكم المدارس القرآنية " (65) .

وبعد يومين فقط ،أصدر الكاتب العام قرارا مكملا يمنع فيه العلماء الأحرار من ممارسة أي نشاط داخل المساجد ، مما جاء فيه: " أنهي إلي أنه تكرر وقوع

خطب ودروس ومحاضرات في المساجد، قام بها أناس ليسوا من رجال الدين الرسميين ، ذلك بموافقة رجال الدين صراحة أو بالسكوت " (66) .

وكان لهذا المنشور ردود فعل عنيفة من طرف الجزائريين، ففي 24 من نفس الشهر إنطلقت حشود المتظاهرين من المسجد الكبير بعد صلاة الجمعة بإتجاه مقر الولاية العامة وحضرها ما يربو عن 6000 متظاهر، وتوسعت لتصل إلى حوالي 14000 ، وكان شعارهم إعطاء الحرية التامة للعلماء ، ثم تحولت النداءات إلى المطالب السياسية منها إلغاء قانون الإندجينا (67) .

وقد تعدت الإحتجاجات إلى صفوف الضباط المسلمين في الجيش الفرنسي ورفضوا المشاركة في إحتفالات 14 جويلية الفرنسية (68) وإنتشرت المظاهرات إلى مدن أخرى، وقد عبر احد الفرنسيين عن مكانة رجال الإصلاح وقتئذ بقوله: " إن أفكار إبن باديس والعقبي والإبراهيمي هي مصدر الحس الوطني عند الجزائريين. " (69) .

ج- إغتيال الشيخ كحول وإعتقال الشيخ العقبي:

لقد تزامن إغتيال كحول بإجتماع وفادة المؤتمر الإسلامي بالملعب البلدي ببلكور في أوت 1936 بعد عودتها من باريس وتقديم المطالب الجزائرية للحكومة الفرنسية.(70)

وقد إستهدف الإغتيال شخصية المفتي كحول (بن دالي عمر) بالجزائر العاصمة دون غيره من رجال الدين الرسميين لعوامل نذكر منها : مكانة المفتي عند فرنسا لأنه خادمها ، وهي التي جاءت به من قسنطينة إلى الولاية العامة..كما أن كحول وبعض رفاقه بعثوا ببرقية إلى فرنسا يرفضون فيها تمثيل الجمعية للجزائريين المسلمين ، وأن التمثيل ينحصر فقط في رجال الدين الرسميين.(71)

والمتتبع لأطوار الحادثة ونتائجها يفسرها من وجهات نظر عديدة، إذ يمكن إعتبار أن الإغتيال يراد به حدثا سياسيا وهو إتهام العلماء وإقصائهم عن

دورهم الفعال خصوصا وأنهم كشفوا عن عملهم السياسي المباشر. وبالتالي إدخال الشكوك في مصداقية العمل الإصلاحي الذي رسمته الجمعية ، وكأنها أصبحت جمعية العنف والترهيب لا جمعية التسامح والترغيب، وأن أول من آمن بهذا التدليس ضد الجمعية هو إبن جلول الذي صرح بأنه لا يمكن أبدا أن يتعاون مع من أيديهم مخضبة بالدماء (72).ولذلك لا يستبعد أن تكون فرنسا وراء نسج خيوط هذه المؤامرة الدنيئة.

كما أن الإغتيال قد يفسر تفسيرا وطنيا ، وأن القادم على فعله كان على بصيرة تامة من عمله ولم تكن له جنح الإجرام، وكان يرى أن الوقت قد حان للقيام بمثل هذه الأعمال الفدائية لتطهير صفوف الوطنيين من أذناب الإستعمار وعملائه، علما وأن مثل هذه الإجراءات لم تكن جديدة في نضال الشعوب المطالبة بتقرير مصيرها.

والمهم هنا أن الحادثة أدخلت إرتباكا في نفسية ، بعد أن زج بالشيخ العقبي ممثل الجمعية في الجزائر العاصمة في سجن بربروس بعد إهانته من طرف الشرطة الفرنسية، وكان إعتقاله بداية التحول وعدم الإنسجام والتماسك في صفوف الجمعية ونتج عن ذلك إستقالة العقبي سنة 1938 بعد خروجه من المحكمة بالبراءة النهائية (73).

د- إعتقال رجال الجمعية إبان الحرب الثانية وبعدها :_

إذا كان الشيخ العقبي قد أذاق مرارة سجن بربروس، فإن الشيخ الإبراهيمي لم يسلم هو بدوره من مكائد الإستعمار وكانت الرقابة الفرنسية مشددة عليه خلال إقامته بتلمسان التي إعتقل بها لنشاطاته بدار الحديث، ومن ثم نفي إلى منطقة آفلو بضواحي الأغواط وذلك بتاريخ 10 أفريل

1940، بينما ما يزال إبن باديس علـى رأس الجمعيـة (74).وبقـي الإبراهيمـي ثلاثة سنوات كاملة تحت الإقامة الجبرية.

والظاهر أن إشتداد الرقابة الفرنسية على نشاط الإبراهيمـي قـد تزامنـت أكثر بعد تنصيبه على رئاسة الجمعية خلفا لإبـن بـاديس الـذي تـوفي في أفريـل 1940 (75) ، وبرغم تلك المحن فقد إستمرت الجمعية في نشـاطاتها والتعبير عن مواقفها وخاصة تفاعلاتها تجاه أحداث الثامن ماي 1945.

وبعد يوم واحد من الحادثة قامت الشرطة الفرنسـية بإعتقـال الإبراهيمـي وإهانتـه ، كمـا زجـت بـه في السـجن العسـكري بالعاصمـة، بعـد أن إتهمتـه بالتحريض على الشغب والمظاهرات ، وبعدها حول الإبراهيمي من الجزائر إلى سجن الكدية بقسنطينة حيث يوجد الدكتور سعدان وفرحات عباس (76).

كما أن مصالح الإستعلامات الفرنسية قد داهمت بدورها في نفس اليـوم الذي إعتقل فيه رئيس الجمعيـة ، إقامـة الشـيخ خـير الديـن والعربـي التبسـي، ونقلا إلى سجن الحراش ، وبعد شهرين حولا إلى سجن وهران ثم أبعـدا تمامـا إلى معتقل بوسوي بجنوب مدينة وهران (77).

هـوامـش

(1) - نصب جونار على الولاية العامة ثلاث مرات كاملة ، إبتداءا من 1900 إلى1901، ثم حكم الفترة الثانية وهي أطول فترة ممتدة مابين 1903 إلى 1913 أما الفترة الأخيرة فكانت سنة 1918 وعزل في نفس السنة، وعرفت فترة جونار الإسترخاء والحكم الذاتي ، وهي محاولة جديدة للتحكم أكثر في توجيه وتطويق النهضة الجزائرية وإستدراجها لخدمة مستقبل فرنسا في الجزائر، وقد خلد الحفناوي إسم جونار في قصيدة شعرية على مدخل المدرسة الثعالبية التي دشنت في 17 أكتوبر 1904 في عهد وزير التعليم العام مشومي ومما قاله الحفناوي : شيدت وتاريخنا لحرسنا فتحت * وذو الولاية نجم العصر جونار .

للمزيد أنظر: د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2،ط3 (ش.و.ن.ت الجزائر 1983) ص85.

وكذلك: عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936 ج1، ط1 (المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984) ص74.

(2) - ملحق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قانونها الأساسي ومبادئها الإصلاحية ، (المطبعة الجميلة 1983) ص5.

(3) - نفس المصدر.

(4) - لقد أعاب مالك بن نبي رحمه الله العلماء عن مشاركتهم في المؤتمر الإسلامي، وإعتبر ذلك بداية الإنحراف عن مشروع المجتمع الذي خططوا له، وللأسف الشديد هناك من حمل مالك بن نبي مالم يقل ووظفه لضرب الجمعية وخدمة أغراض دنيئة.للمزيد أنظر: مالك بن نبي ، *مذكرات شاهد القرن- الطالب*، ط1 (دار الفكر لبنان 1970) ص233.

(5) -رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط1 (ش.و.ن.ت 1975) ص 260.

(6) - محمد الصالح الجابري ، *النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962* ط1 (الدار العربية للكتاب 1983) ص 97.

(7) - محمد ناصر ، *الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى1939* ط2 (ش.و.ن.ت 1980) ص 190.

(8) - محمد البشير الإبراهيمي، أنا، مجلة مجمع اللغة العربية ،عدد 21 ، القاهرة 1966، ص 149.

(9) - Joseph Desparmet " un reformateur contemporain en Algerie, *Bulletin du comite de l'Afrique Francaise*, nº 3 , 4 eme annee (mars 1933) p.149.

(10) - مجلة الشهاب ، مجلد 10، جزء 5، الموافق ل 16 أفريل 1934، كذلك:
L'Ikdam, no55, 5eme annee, 28 decembre 1933.

(11) -Le 2eme congres des Etudiants Musulmans nord Africains, in en terre d'islam, nº 56 , septembre, OCTOBRE 1932, p.331.

(12) - تعتبر الحركة الكشفية إحدى الحركات الشبانية الهامة التي إنتجت اطارات جزائرية بزعامة محمد بوراس وقد كان لدور الكشافة المساهمة الفعالة في إذكاء الحس الوطني وحتى الإلتحاق بالثورة وتدعيم المجاهدين، للمزيد أنظر :

DEROUICHE , Le scoutisme Ecole du patriotisme (entreprise national du livre Alger 1985), p. 43.

(13) - أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج3، ط3 (المؤسسة الوطنية للكتاب 1986) ص 114.

(14) - شباب الموحدين ركة شبانية ظهرت في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات، ولها توجه وحدوي إسلامي، وأسست جرائد هامة أهمها القبس واللواء، وكانت الحركة موجهة من طرف العقبي والهادي السنوسي الزاهري وأبوبكر جابر الجزائري.للمزيد أنظر: أحمد مريوش،*الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية*،رسالة ماجستير جامعة الجزائر.

(15) - د/ محمد فتحي عثمان، *دعوة الإصلاح الإسلامي بين الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر والدعاة المعاصرين في المشرق العربي*، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، عدد4 ، المملكة العربية السعودية 1980، ص 438.

(16) - جريدة الشهاب، عدد7،السنة العشرون، 23. ديسمبر 1925.

(17) - صالح خرفي، *صفحات من الجزائر دراسات ومقالات من 1962 إلى 1972*، ط1(ش.و.ن.ت الجزائر 1973) ص286.

(18) - إذا كان كتاب الميلي قد وجد من يرحب به ويقرأه، فإنه لقي من يتهجم عليه، وأثار التأليف ضجة كبيرة وسط التيار الطرقي وخاصة العلوية (بمدينة مستغانم)، ولعل هذه الرسالة التي بعث بها أحد الأتباع إلى مدير جريدة لسان الدين الشيخ قادة بوحلال تعبر عن ذلك السخط إذ يقول فيها: " سيدي المدير المحترم إني أعرف جنابكم العالي بأنني قد أطلعت على الكتاب المسمى بالشرك ومظاهره لمؤلفه الشيخ مبارك الميلي.ولقد عرفتني صورة ذلك الكتاب ما تقاسيه الأمة الجزائرية من المحن والبلايا من جماعة الإصلاح عندكم في الجزائر. طالعت الكتاب فوجدته حقيقا أن يسمى بالشرك ومظاهر لما حواه من التمويهات والأضاليل وفساد العقائد. وبالجملة فقد دس الشيخ مبارك الميلي في هذا الكتاب مالم يدرسه إبليس في ثلاثة عشر قرنا"...للمزيد أنظر: جريدة لسان الدين،عدد 52، السنة الثانية ، 15 ماي 1938.

(19) - محمد البشير الإبراهيمي ، *عيون البصائر*، ج2، ط2 (ش.و.ن.ت الجزائر) ص 355.

(20) - الإبراهيمي، *نفس المصدر*، ص357.

(21) - نفس المصدر ، ص 221.

(22) - محمد الميلي، *ابن باديس وعروبة الجزائر*، ط2(ش.و.ن.ت الجزائر 1980) ص 150.

(23) - الميلي، *نفس المرجع*، ص 51.

(24) - قرار 27 نوفمبر 1944 يعد من بين الإجراءات التعسفية الكثيرة التي أصدرتها الإدارة الفرنسية لضرب الهوية العربية الإسلامية في الجزائر، وقد أصدره الحاكم العام شاطينيو

الذي لقبه الكولون بمعهد شاتينيو وإتهموه بخدمة القضية الجزائرية على حساب مستقبلهم في الجزائر.

(25) - جريدة الإصلاح ، عدد 52، السنة العشرون ، 12 جوان 1947.

(26) - نفس المصدر.

(27) - الميلي، *ابن باديس* ، ص50.

(28) - جلال يحي، *المغرب العربي الكبير – الفترة المعاصرة* ، (دار النهضة العربية بيروت 1981) ج4، ص 218.

(29) – جريدة البصائر، عدد 171، السنة الرابعة ، 22 جوان 1939.

(30) – لقد عرفت بداية القرن ظهور بعض العناوين باللغة العربية حول دراسة قضايا متنوعة لكنها لم تكن كتبا تاريخية مثلما هو كتاب: تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي وهو عبارة عن تراجم لبعض الجزائريين وجاء ذلك بإيعاز الحاكم العام جونار حسب ما يوحي إليه مؤلفه بقوله: وشكرا لحكومتنا الجزائرية على هذه المساعدة الجليلة بطبع ما يسر أبناء طينتا وديننا من معارف الإعتبار ومآثر الإختيار.

للمزيد أنظر: أبو القاسم الحفناوي ، *تعريف الخلف برجال السلف*، ط1(مؤسسة الرسالة بيروت 1982) ص9.

(31)- Desparmet " Naissance d'une histoire de L'Algerie " in : *Afrique Francaise,juillet 1933, p.387.-*

(32) - الميلي، *ابن باديس* ، ص 50.

(33) - مجلة الشهاب، ج1، م 12، جانفي 1937.

(34) - الإبراهيمي، *عيون*، ص 222.

(35) - لقد ذكر لي محمد قنانش وهو من مناضلي حزب الشعب أن الجمعية كانت بعيدة كل البعد عن قضايا السياسة وإهتمت فقط بقضايا دينية بحتة.محادثة شخصية بمنزله بشاطوناف بتاريخ 1985/03/15.

(36) - يمثل مؤتمر النجم الذي إحتضنته باريس بداية جديدة للنجمين، لأنه خلص إلى مطالب هامة فتحت الآفاق أكثر أمام المنخرطين في الحزب، وقد تضمنت هذه المطالب قضايا عديدة منها: الإستقلال وقضايا إجتماعية وثقافية وتنظيمية ونص المطالب نشر في المجلة الفرنسية الإفريقية. للمزيد أنظر :

L.Mohendis " A L'Assaut de L'Afrique Francaise du nord " *in Afrique Francaise, n° 10, 45eme annee oct 1934 , p. 574,590.*

(37) - الإبراهيمي ، *عيون*، ص 22.

(38)- Claude Collot-Jean Rosert Henry, *Le Mouvement national Algerien, textes 1912 - 1954* .(o.p.u Alger 1981) ,p. 64.

(39) - يبدو أن مشروع بلوم فيوليت لم يكن مرغوبا عند جميع الفرنسيين وقتئذ، وإن فكرة إلحاق الجزائر بفرنسا لم تكن مهضومة عند المعمرين وحتى عند رجال السياسة الفرنسية في باريس ، وهي مجرد إصلاحات فقط، ونجد هذا التصور أخذ به ديغول على رأس الجمهورية الخامسة منذ 1958، وذلك ما أشار إليه الإصدار الجديد الذي ألفه أحد المقربين من ديغول والذي يقول فيه. " الجزائر الفرنسية ليست هي الحل، بل هي المشكلة في حد ذاتها."
للمزيد أنظر

Peyrefitte Alain , *C'etait de gaulle* , (edition fallins fayard 1994) p.72.

(40) - الميلي، *ابن باديس*، ص 25.

(41) - فرحات عباس، *حرب الجزائر وثورتها،ليل الإستعمار*، ترجمة أبوبكر رحال، ط1 (مطبعة نضالة المحمدية المغرب) ص 167.

(42) - سعد الله ، الحركة الوطنية، ج3، ص 242.

(43) - جريدة أخبار جيجل،عدد3، الموافق لشهر مارس 1995.

(44) - إبن العقون، *الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر*، (م.و للكتاب الجزائر 1984) ط1،ج2،ص 257.

(45) - عباس، *ليل الإستعمار*، ص 206.

(46) - أحمد توفيق المدني، *حياة كفاح* ، ط1 (ش.و.ن.ت الجزائر 1977) ج2،ص 382.

(47) - سعد الله، *الحركة الوطنية* ، ج3، ص 278.

(48) - الإبراهيمي، حديث لجريدة المصور المصرية.

(49) - يحي بوعزيز، *سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954*، ط1(ديوان المطبوعات الجامعية 1985) ص 76.

(50) - جريدة المنار جريدة ثقافية سياسية أصدرتها حركة الإنتصار، قامت بسبر الاراء مع العديد من الشخصيات الدينية والسياسية حول فكرة إمكانية قيام وحدة جزائرية وطرحت في عملها الأسئلة التالية:

- هل تعتقدون أن الإتحاد في الجزائر ممكن؟
- على أي أساس؟
- ماهي وسائل تحقيقه؟

ومن الذين أدلوا بآرائهم حول الوحدة نذكر: العربي التبسي، المدني، العقبي، مالك بن نبي، حوحو، بيوض ، عبد المجيد حيروش، عبد الرحمن بوشامة، عبد القادر وقواق وغيرهم.
للمزيد أنظر: جريدة المنار، الأعداد: 17، السنة الثانية، 6 فيفري 1953.و 18، السنة الثانية، 27 فيفري 1953.

(51) - تأسس هذا الحزب سنة 1947 وكان يطالب بالإستقلال التام حسب ما جاء في المادة 12 من قانونه الأساسي ، كما عارض الحزب جميع الإجراءات التعسفية الفرنسية، وعارض قانون 1947، وأبلغ باريس ببرقية جاء فيها: " إن حزب الوحدة الجزائرية يعلن

إستنكاره لكل مشروع قانوني لا يراد منه إستقلال الجزائر التام" وكان المجلس الإداري لحزب الوحدة يتكون من العناصر التالية:

- الحاج الحسين السليماني = الأمانة العامة.
- عمار عيماش = أمين سر للكتابة الفرنسية.
- أحمد الشيخ الحوسين الخليفي = أمين سر الكتابة بالعربية.
- إبراهيم أمهدن = أمين مال.

ويضيف إبن العقون في مذكراته : أحمد خطاب للأمانة العامة والشيخ الباحوري للعضوية.
للمزيد أنظر

Partie de l'unite Algerienne , Alger 1947 in: *Archives de la wilaya d'Alger* ,nº 1z 67/9360.

وكذلك : إبن العقون ، *الكفاح القومي*، ج2، ص 449.

(52) - جريدة الجزائر الجديدة، عدد 59، السنة السادسة ، سبتمبر 1951.
وكذلك: جريدة المنار، عدد 6 السنة الأولى ،جويلية 1951.

(53) - مجلة الشهاب، الجزء 3، المجلد 12، جوان 1936.

(54) LA Justice , nº 42 , 2 eme annee , 15 juin 1936. .-

(55) Echo de presse Musulmane , 5 septembre 1936.-

(56) - جريدة الأمة، عدد 85، السنة الثانية ، 11 أوت 1936.

(57) - جلال يحي، *المغرب الكبير*، ج 4، ص 218، نقلا عن مجلة الشهاب ج1، م12، أفريل 1936.

(58)-محمد قنانش، محادثة شخصية بتاريخ 1985/03/15.

(59) - لقد أثبت التاريخ لجماعة فكر الجمعية ، وإلا كيف نفسر التبعية العمياء التي زكتها إتفاقيات لإيفيان على مستقبل الجزائر بعد حصول فرنسا على العديد من الإمتيازات وربط الجزائر الثقافي والإقتصادي، بل تمكين القوة الثالثة خلال فترة لاكوست وسوستيل وغيرهما.للمزيد أنظر: د/ خليفة الجنيدي وأخرون، *حوار حول الثورة* ، ط1(المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام 1986) ج 3،ص 197.

(60) Archives d'Aix en provence: 9h 46.-

(61) - الإبراهيمي، *عيون*، ص 387.

(62) - رجال الدين المحافظين هم فئة من رجال الدين الذين باعوا ضمائرهم للوظيف وهم ينتسبون إلى طبقة الإقطاعيين ، كانت لهم ثقافة مزدوجة (عربية فرنسية) تولوا المناصب الراقية وعبروا عن توجهاتهم السياسية التي تجند التعايش مع فرنسا وبقاء الإمتيازات على حساب مستقبل الأمة الجزائرية.

(63) Oulemas es Sounnah Algeriens , in archives de la (w) d'alger nº 1z 50/1891.-

(64) - لقد نشر عمر إسماعيل بيانا مطولا في جريدة النور تضمين 14 نقطة ندد فيها بجمعية العلماء ، وهي فاتحة جديدة أراد بها الدخول في مهاترات مع بعض رجال الإصلاح خاصة منهم العقبي وأبعاده عن دوره الإصلاحي.
للمزيد أنظر: جريدة النور، عدد 28، السنة الأولى ، 5 أفريل 1932.

(65) - Alger Republicain , nº 261, 2eme annee , samedi 24 juin 1939.

(66) - جريدة البصائر، عدد31، السنة الأولى ، 17 أوت 1936.

(67) - La Lutte Sociale , 31 aout 1934.-

(68) - يوسف مناصرية، *الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939* (المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1983) ص 33.

(69) - Jean La couture , *Cinq Hommes et la France* (Edition du seuil , Paris 1963) p. 257.-

(70) - L .Mohendis " L'assassinat du muphti) in : *af. Francaise* ,aout ,septembre 1936, p.464

(71) - Archives D'Aix en provence : 9h46

(72) - مالك بن نبي، *مذكرات الطالب*، ص 233.

(73) - Charles Robert Ageron , *Histoire de l'Algerie comtemporaire* , t 2 (1ere Edition Paris 1979) p. 441.

(74) - أحمد قصية " الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في منفاه بمدينة أفلو" *مجلة الثقافة* ، عدد 87 (ماي جوان 1985) ص 278.

(75) - لقد رشح سعد الله على لرئاسة الجمعية بعد وفاة بن باديس العقبي لولا قبوله العضوية في لجنة الإصلاحات الإسلامية وخروجه من المجلس الإداري للجمعية. وقد فتح هذا الرأي ردود فعل ضد رأي سعد الله من طرف المقربين من الجمعية وتلاميذها منهم الشيخ خير الدين ومحمد الميلي.للمزيد أنظر: سعد الله ، مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954 مجلة الثقافة عدد 79 جانفي، فيفري 1984) ص 86.
وكذلك : محمد الميلي وخير الدين " حول خلافة بن باديس " مجلة الثقافة عدد 81 (ماي جوان 1984.

(76) - محمد خير الدين، *مذكرات* ، ط1(المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر)ج2، ص21.

(77) - خير الدين، نفس المصدر.

إستـــدراك

سقط سهوا في العدد الأول من نشرية الرؤية قائمة مراجع البحث الواردة في مقال الدكتور بشير خلدون بعنوان "أصول الحركة الوطنية وتطورها (1830 – 1954) وإذ نقدمها نعتذر لقرائنا الكرام عن هذا الخطأ.

مـــراجـــع الـــبحث:

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث – مبارك الميلي (ش.و.ن.ت 1976)
- تاريخ الجزائر الحديث.أبو القاسم سعد الله.
- حياة الأمير عبد القادر شارل هنري تشرشر ترجم د.سعد الله ش.و.ن.ت 1974.
- حياة كفاح – أحمد توفيق مدني (ش.و.ن.ت 1976.)
- حرب الثلاثمائة سنة – أحمد توفيق المدني (ش.و.ن.ت 1976)
- كفاح الجزائر من خلال الوثائق (د. يحي بوعزيز).
- كيف تحررت الجزائر – وزارة الإعلام (ش.و.ن.ت 1979).
- المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر (إسماعيل العربي ش.و.ن.ت 1982.)
- بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (عبد الجليل التميمي.)
- قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (د.جمال قنان م.م.و.م 1994)
- الشخصية الدولية للجزائر قبل 1830 (مولود قاسم نايت بلقاسم).

إصدارات

مقالات العلماء

8ماي 1945

المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية

للأستاذ: عامر رخيلة.

- تعد أحداث الثامن ماي بعثا جديدا و نقطة إنطلاق لأسلوب جديد للنضال الوطني، حيث تصاعد و تعمق الإتجاه الإستقلالي . وتبلور الوعي السياسي لدى الطلائع الثورية التي آمنت بضرورة حمل السلاح كوسيلة فعالة لتصفية المستعمر كبديل أمثل لكل الممارسات النضالية السابقة . وفي هذا الإطار نستعرض هذا الكتاب الذي يعكس الطرح الإستقلالي الذي جسد ميدانيا في إندلاع ثورة نوفمبر المجيدة.

يقع الكتاب في 200 صفحة تم إصداره بالجزائر عام 1995، عن ديوان المطبوعات الجامعية، وتتوزع دراسته على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. إفتتح الأستاذ "عامر رخيلة" موضوعه بمقدمة تطرق فيها بإختصار إلى سياسة المستعمر منذ أن وطئت أقدامه المدنسة أرض الجزائر الطاهرة ، الرامية إلى طمس وتشويه الشخصية الجزائرية ، وكرد فعل لهذا التعسف باشر الشعب الجزائري في النضال المتمثل في المقاومة الشعبية المسلحة والمقاومة السياسية... وحوادث 8 ماي 1945 ماهي إلا حلقة في سلسلة طويلة من المعاناة، هذه المجازر الدموية كانت لها إنعكاسات على مسار الحركة الوطنية التي دخلت منعطفا جديدا في صراعها الطويل ضد الوجود الإستعماري.خصص الفصل الأول للأوضاع العامة لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية. وهذا بالتطرق إلى

هزيمتها أمام الألمان ، وإعلان الحكومة الفرنسية إستسلامها وتشكل حكومة جديدة برئاسة (المريشال بيتان) هذا الإنهزام نجم عنه تصدع سياسي إذ إنقسم الفرنسيون سياسيا بين أنصار الماريشال " بيتان " وأنصار الجنرال ديغول، هذه الحرب التي كان الجزائريون يتتبعون تطوراتها أملا في إيجاد حل عادل لقضيتهم، خاصة وأن المستعمر كسرت شوكته الحرب العالمية الثانية، ولم تعد فرنسا في نظر الجزائريين تلك القوة التي لا تقهر. وإختتم الفصل بأثار الحرب على فرنسا من الناحية السياسية و الإقتصادية والإجتماعية.

- أما الفصل الثاني تناول فيه وضعية الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الفترة المذكورة والتي مرت بمراحل مختلفة من منع الأحزاب الوطنية من النشاط السياسي والتي ساهمت من خلاله مساهمة فعالة في إيقاظ الوعي الوطني إذ تميزت سنوات 1940 - 1942 بغياب النشاط الحزبي العلني للحركات السياسية الجزائرية بسبب قرارات الحظر الصادرة بشأنها من جهة، وللأساليب القمعية التي سلطت خاصة على حزب الشعب الجزائري الذي عرف بطرحه الثوري والإستقلالي. وأوضح الكاتب بأن نزول الحلفاء في الجزائر يوم 8 نوفمبر 1942 كان مناسبة مشجعة للفعاليات الجزائرية لطرح قضية تقرير المصير خاصة وأن الرئيس الأمريكي روزفلت قد صرح بإسم الحلفاء بأن (حقوق جميع الشعوب الكبيرة والصغيرة ستكون محترمة في العهد الجديد)، وبهذا الحدث إنتقلت الحركة الوطنية من مرحلة السرية إلى مرحلة العلنية إذ أعاد الحاكم الفرنسي (بيروتون) الشرعية للحزب الشيوعي، وأطلاق سراح المساجين من مناضلي حزب الشعب، مع عدم الترخيص له بإستئناف نشاطاته هذه الإجراءات التي تحمل في ظاهرها بداية إنفراج وفي باطنها محاولة إحتواء وتحكم في تطور الأمور التي بدأت تتجه نحو تحرك سياسي علني لطرح قضية الوجود الإستعماري في الجزائر.

ولقد أشار الأستاذ في هذا الفصل إلى بيان الشعب الجزائري الذي أعده فرحات عباس وضمنه الوضع الذي آلت إليه الجزائر بعد مرور 112 سنة من

الإحتلال الفرنسي لهـا، وفشـل الإصلاحـات السـابقة، مبرزا أهميـة الحربين العالميتين في حيـاة الشـعوب المستعمرة.. ، كمـا أشـار إلى محـاور البيـان التـي تتضمن المطالب التالية: " إستنكار الإستعمار، دستور خـاص بـالجزائر، الحريـة والمساواة بين السكان دون تمييز عرقي أو ديني ،الإعتراف باللغة العربيـة كلغـة رسمية " إلخ... كما إستعرض الكاتب موقـف السـلطات الفرنسـية مـن هـذا البيان الذي كان بالنسبة لها صدمة عنيفة. ولقـد توقـف عنـد حـدث تأسـيس حركة " أحباب البيـان و الحريـة " في 14 مـارس 1944 التـي إستقطبت كـل التشكيلات الجزائريـة و إقتنعـت بفكـرة الإسـتقلال، ومـا كـادت سـنة 1944 تنتهي حتى كانت الحركة الوطنية أكثر صلابة ووعيا وأعمق تجربـة إذ دخلـت مع المحتل عهدا من التحدي والمواجهة إذ نظـم الجزائريـون في فـاتح مـن مـاي 1945 مظاهرات سلمية في المدن الكبرى رفعت فيهـا الأعـلام الوطنيـة منـادين بإطلاق سراح " مصالي الحاج " و" إستقلال الجزائر."

- وفي الفصل الثالث ركز المولف على مجازر 8 ماي 1945 والأعمال القمعيـة التي واجه بها المستعمر المظاهرة السلمية التي راح ضحيتها 45 ألـف شـهيد إذ خرج الشعب الجزائري كبقية الشعوب المحبة للسلام والحرية إلى شوارع المدن الكبرى ، طالبا من فرنسا تحقيق الوعود بعد الإنتصار على النازية و المتمثلة في الإعتراف للشعب الجزائـري بحقـه في الحريـة وتقريـر المصـير. فكـانت مكافئـة الإدارة الإستعمارية هي إرتكاب مجازر رهيبة في مدن الشرق الجزائري، خاصة قالمة وسطيف وخراطة والتي شاركت فيها القوات البحرية والبرية والجويـة في قنبلة المدن وزرع الموت بين المواطنين بدون تمييز مبرزا حملـة الإعتقـالات التـي رافقت عمليـة الإبـادة للجزائريـين بغـض النظـر عـن إنتمـائهم الحزبـي ، كمـا أقدمت السلطات الإسـتعمارية علـى حـل حركـة (أحبـاب البيـان والحريـة) وإعتقال رؤساء الأحزاب أمثال (السيد فرحـات عبـاس) ، و الشـيخ البشـير الإبراهيمي، كما إستند الكاتب إلى شـهادات ودلائـل تؤكـد أن مظـاهرات 8 ماي 1945 من تنظيم حزب الشعب الجزائري، بالإضافة إلى طرحه إشـكالية "

مظاهرات 8 ماي هل هي مؤامرة؟ " مع إعطاء مزيد من التوضيحات حول حجج القائلين بأنها مؤامرة دبرتها أطراف خارجية (قصد بها الإنجليز والأمريكان)، والقائلين بأنها مؤامرة إستعمارية.

- وفي الفصل الرابع من الكتاب تطرق المؤلف لإنعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على الصعيد االسياسي والشعبي، فمن نتائج المجزرة تبلور الإتجاه الثوري أكثر في الأوساط السياسية ، وإنطلاقا من حالة الإنسداد التي آلت إليها العلاقات بين الطبقة السياسية الجزائرية، والسلطات الفرنسية من جهة آخرى أقدمت هذه الأخيرة في 16 مارس 1946 على إصدار العفو العام وبإسمه تم إطلاق سراح المساجين السياسيين وفي مقدمتهم الشيخ " البشير الإبراهيمي " و السيد " فرحات عباس " هذا الأخير الذي أعلن عن تأسيس (الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U.D.M.A)) ، داعيا إلى العمل وفق برنامج لا يختلف كثيرا عن مضمون البرنامج الأصلي للبيان.أما قيادات حزب الشعب الجزائري فإنها أعلنت عن تسمية جديدة لحزبها " حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية ".

كما إستعرض محاولات المستعمر الرامية إلى تأكيد ربط وإلحاق الجزائر بفرنسا، إذ لوحت السلطات الإستعمارية ببعض المقترحات والوعود مستندة إلى دستور الجمهورية الرابعة الذي صادق عليه الشعب الفرنسي في شهر أكتوبر 1946، والذي إعتبر - أي الدستور - أنه يضع حدا للسيطرة الإستعمارية حيث نص على منح الجنسية الفرنسية لجميع سكان مستعمرات فرنسا ، ولقد إستثنيت الجزائر من ذلك النص الدستوري. إذ أعلن وزير الداخلية بأنه سيتقرر في وقت لاحق بواسطة قانون خاص. كما أورد الأستاذ في هذا الفصل رد الفعل الشعبي إزاء الإدارة الإستعمارية إثر مجازر الثامن ماي 1945 إذ ساد التذمر والسخط على المحتل وممارسته التعسفية، واليأس الجماهيري من العمل السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، وكذا سخطه على

الوضع العام الذي آلت إليه أوضاعه إقتصاديا وإجتماعيا، فضلا عن شعوره العميق بضرورة التحرك الإيجابي للمواجهة الميدانية للعدو.

- ويرجع المؤلف في الفصل الخامس للحديث عن أثر مجازر 8 ماي 1945 في تقارب تشكيلات الحركة الوطنية الجزائرية والتي تؤكد في مجملها بداية تبلور الوعي بأهمية الوحدة وذكرمن تلك المحاولات اللجان العديدة التي أنشئت مثل:" لجنة مساعدة ضحايا القمع" في 1948 ، وكذا " لجنة الدفاع عن الحرية والرأي " في سنة 1950، وهما اللجنتان اللتان تمثلان الأرضية السابقة لميلاد " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات وإحترامها " عام 1951 والتي ضمت كل التنظيمات الجزائرية التي كانت موجودة ساعتئذ وهي: (حركة إنتصار الحريات الديمقراطية)، (الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، (الحزب الشيوعي الجزائري).بعدها أشار المؤلف إلى الفشل الذي آلت إليه هذه الجبهة نتيجة إختلاف أطرافها وتباين أهدافها ووسائلها الأمر الذي جعل الجماهير بمختلف إنتماءاتها الحزبية تتجاوب مع الطرح الواضح لجبهة التحرير الوطني و إلتفافهم حولها بصفتها حركة سياسية - عسكرية - تحريرية هدفها الإستقلال الوطني.

خصص الكاتب الفصل السادس للعمل المسلح وظروف التحضير له موضحا أزمة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية. وريثة حزب الشعب الجزائري ، التي عرفتها طيلة سنوات 1947 إلى1954 والتي عكست في الواقع التناقض بين إتجاهين رئيسيين: أحدهما يمثل جزءا من القيادة الملتفة حول شخص مصالي، والأخر يمثل قاعدة الحركة الداعية إلى تجسيد شعار العمل الثوري ميدانيا هذا الأخير الذي تمكن من إفتكاك قرار إنشاءالمنظمة (الخاصة) في فيفري 1947، وقد أسندت مهمة تنظيمها إلى المناضل محمد بلوزداد.وفعلا إستطاعت هذه المنظمة السرية أن تنطلق إنطلاقة قوية نظرا للتنظيم المحكم في هيكلتها والشروط الصارمة الواردة في قانونها الداخلي الخاص بالتجنيد. والتي

أصبحت في ظرف سنتين (1947-1949) تنظيما عسكريا قادرا على أداء المهام ميدانيا وفي سرية كاملة إلى غاية إكتشافها عام 1950 من قبل العدو (حادثة تبسة). ولقد أشار المؤلف بإسهاب إلى خلفيات إكتشاف المنظمة والتي وصفت(بالمؤامرة) والتي نتج عنها إعتقال معظم مناضليها، وإلتحاق بقية عناصرها بالجبال مواصلين نضالهم، رافضين قرار الحزب بحل المنظمة.

إن أهم المحاور التي تناولها المؤلف في الفصل السابع من الكتاب هي تلك العوامل الداخلية لإنتهاج الكفاح المسلح، وكذا العوامل الخارجية التي ساعدت على إندلاع الثورة، فالعوامل الداخلية لظهور جبهة التحرير وإنتهاج قيادتها للعمل المسلح إختصرها الكاتب في عاملين أساسيين: تدهور الحالة الإجتماعية والإقتصادية للجزائريين مدعما إياها بإحصائيات رسمية للسلطات الإستعمارية وهي تكشف ما آل إليه وضع الشعب الجزائري غداة 1954، وهذه الأوضاع المزرية التي كانت وراء إستجابة الشعب الجزائري لنداء جبهة التحرير الوطني.

أما العامل الثاني: فهو الأزمة السياسية لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، الذي نتج عنها إنشقاق داخل الحزب (المصاليين والمركزيين). لكن أعضاء المنظمة العسكرية السرية لم يقفوا موقف المتفرج من الإنشقاق، بل قرروا الإنفصال والإنصراف للتحضير السري للثورة الذي نتج عنه ميلاد اللجنة الثورية للإتحاد و العمل. وعقد إجتماع 22 هذا اللقاء التاريخي الذي توج بإختيار العمل المسلح كحل وحيد لتصفية الإستعمار. وإختتم الفصل بالتعرض للعوامل الخارجية التي ساعدت على إندلاع الثورة التحريرية.

أما خاتمة الكتاب فتضمنت دعوة الكاتب للإفراح عن الوثائق المتوفرة لدى المؤسسات الرسمية حول مجازر 8 ماي 1945، ووضعها في متناول الباحثين و الدارسين قصد إستغلالها في الكتابة التاريخية. كما تضمن الكتاب عدة ملاحق خاصة بالنظام الداخلي للمنظمة السرية.وقائمة لأسماء المناضلين الذين حضروا إجتماع 22، ونشيد للكشافة حول مجازر 8 ماي 1945 والملحق الأخير

يتضمن مقالا باللغة الفرنسية وهي شهادات " **محمد باشاتارزي** " حول الحياة النضالية " لمحمد بلوزداد ". وأخيرا ضبط المؤلف قائمة الكتب باللغتين العربية والفرنسية بالإضافة إلى مواثيق ونصوص ومجلات وجرائد المعتمد عليها في دراسته.

إعداد المركز

مجلة الدراسات التاريخية الصادرة عن معهد التاريخ لجامعة الجزائر في عددها التاسع

صدر عن معهد التاريخ، جامعة الجزائر مجلة الدراسات التاريخية العدد التاسع، الذي يحتوي على قسمين بالعربية والفرنسية . وقد تضمن العدد مجموعة من المقالات والدراسات التي تغطي تاريخ الجزائر من العصر القديم إلى عصرنا الحاضر.وقدم لهذا العدد المرحوم الدكتور عمار هلال ،ومن بين ماجاء في كلمة التقديم " وكان في نيتنا تخصيص هذا العدد للذكرى الأربعين لثورة نوفمبر 1954، ولكن نقص المادة التاريخية حال دون ذلك، لذا يجد القارىء فيه بعض المواضيع الخاصة بالثورة ، وبعضها الأخر خاص بتاريخ الجزائر المعاصر."

ومن أهم الدراسات " أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر تطوره الشكلي وتحليل مضمونه (الإيديولوجي والسياسي) الوطني (1518-1945).تطرق فيها إلى وصف رايات الجزائر (1518-1831) والدلالات السياسية للرايات الجزائرية (1518-1847) وعلم الوطنية الجزائرية في القرن العشرين (1910-1934) والدلالات الرمزية للألوان والأشكال الواردة في العلم الجزائري المعاصر وكذلك هفوات الكتاب الأوروبيين في وصف العلم الجزائري ، ونضال تحت العلم (1910 - 1945) مع خلاصة وتقييم ، إن هذه الدراسة تتتبع ظهور العلم الوطني في مراحله من العهد العثماني إلى سنة 1945، مبينة التطورات و التغييرات التي عرفتها الراية الوطنية مبرزة الرموز والقيم التي تحتويها ، وقد إستنتج الأستاذ حباسي بأن مرجعية ألوان وأشكال العلم

الجزائري هي إسلامية " ولا خلاف في أن العلم الجزائري المعاصر بالشكل الذي هو عليه اليوم من إنشاء نجم شمال إفريقيا ، حيث أدرك زعماؤه القيمة الرمزية الإستقلالية للعلم فأعتمدوه مرسخا للوطنية ومعبئا للجماهير ، ومن هنا تكمن القيمة الرمزية للعلم في الحركات الوطنية وأهمية إستعمالها في الصراع السياسي مع المستعمر."

أما الأستاذ عيسى جعنيط فقد شارك في العدد بدراسة عنوانها " مقاومة سكان الواحات للإحتلال الفرنسي في القرن 19 ثورة الزعاطشة 1849 *أسبابها* تطوراتها " تطرق فيها إلى الثورة الشهيرة في منطقة الزيبان بقيادة الشيخ بوزيان الذي أعلن الجهاد ضد الفرنسيين لإخراجهم من المنطقة "، ومن بين المقالات الآخرى " الترتيبات التاكتيكية لحصار قرية الزعاطشة أكتوبر- نوفمبر 1849 " للأستاذ إسماعيل العربي تعرض في بدايته إلى لمحة جغرافية عن منطقة الزيبان، ودخول الفرنسيين إليها ، وبداية ثورة الشيخ بوزيان، ثم مسير الجيوش الفرنسية إلى الزعاطشة ، وتأمين معسكر الجيش الغازي وترتيبات حصار الثوار قصد خنقهم والهجوم عليهم يوم 28 /1849/11، لتنتهي حلقة من حلقات المقاومة الباسلة لسكان المنطقة الجنوبية.

وفي نفس الموضوع كتب الأستاذ بوخاري حمانة عن " بعض أسباب فشل ثورة الزعاطشة " حاول أن تستنتج في هذا المقال بعض العوامل التي أدت إلى عدم وصول ثورة الزعاطشة إلى مبتغاها أهمها : عدم التمهيد الجيد للثورة ، من الناحيتين العسكرية والسياسية ، وعدم الإستفادة من الثورات والإنتفاضات السابقة بصورة كافية . لم تكيف قواتها وأسلوبها مع إمكانيات وأساليب العدو . عدم إستعمال الخداع العسكري أو المراوغة الحربية بالقدر الكافي، مطالبها السياسية والإجتماعية لا تتماشى وحجم تضحيات المشاركين فيها.

كما شارك في العدد الأستاذ يحي بوعزيز بدراسة عن " أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881) إستهلها بالحديث عن ماضي الأسرة

وفروعها، وأوضاع صف الغرابة حتى عام 1864 ، وأوضاع الشراقة وبروز شخصية سي حمزة ، وتعيين سي حمزة خليفة، وتعيين سي سليمان بن حمزة في منصب الباش أغا، ثم أسباب الثورة ، والسبب المباشر ، وكذلك إستعدادات الطرفين لإستعمال العنف ،وتطرق إلى معركة عوينة بوبكر يوم 08 أفريل ونتائجها ، ثم تدعيم الثورة بأنصار جدد ، وظهور الثائر سي الأزرق بلحاج في فليتة، وكذا إستعدادات الفرنسيين العسكرية ضد الثورة وظهور مولاي محمد والحاج محمد العربي في ورقلة . ثم تعرض إلى مصير الثورة بعد مقتل زعيمها الثاني . وقد تتبع تطوراتها ومراحلها خطوة بخطوة ومرحلة بمرحلة.

وكتب الدكتور أبو القاسم سعد الله " بعض رسائل الدكتوراه الأمريكية عن الجزائر " تتبع فيها ما جد من دراسات أمريكية في جميع المجالات العلمية يتعلق بالجزائر ، حيث أحصى حوالي 117 رسالة جامعية منها 15 رسالة في التاريخ أغلبها يتعلق بالمقاومة والحركة الوطنية والثورة.

أما الأستاذ أحمد مريوش فقد شارك بدراسة بعنوان " القضية الفلسطينية في إهتمامات الشيخ الطيب العقبي " حاول فيها إبراز حضور فلسطين في وجدان الشيخ ، وكيف ناضل من أجل حق فلسطين ، وتقريب وجهات النظر في هذه القضية الجوهرية بين الأحزاب السياسية في الجزائر، لإتخاذ موقف موحد ، إنتهى إلى تأسيس اللجنة العليا لإعانة فلسطين.

وفيما يتعلق بالقسم الفرنسي فقد شارك في تحريره الأستاذ شارل روبار أجرون (ch.r.ageron) بمقال " تطور الرأي العام الفرنسي وحرب الجزائر (2) . إنطلاقا من عمليات سبر الأراء التي كانت تقوم بها المؤسسات المختصة وتنشرها الصحافة الفرنسية دوريا. والتي تؤكد على أن المواطن الفرنسي في داخل فرنسا نفسها تغيرت نظرته إزاء الثورة والجزائر وهذا بمرور السنوات حينما شعر بأن هذه الثورة تؤثر عليه في الأعماق إنسانيا وإقتصاديا وسياسيا.

كما يحتوي هذا القسم على مقال عن الشهيد باجي مختار بقلم القس ج . كارلان (j.kerlan) الذي تعرف عليه وإلتقى به وحدثه عن أصوله ، والأسباب

التي أدت به للإشتراك في الثورة، وعن مبادئه ،وعن إيمانه العميق بمستقبل الشعب الجزائري.

وكذلك دراسة عن الثورة للأستاذ سليمان الشيخ تنقسم إلى قسمين أو محورين

الأول : غزو الساحة العالمية

والثاني: سياسة الأحلاف.وفي الأخير إختتم المرحوم الدكتور عمار هلال هذا القسم بمقال " النضال ، الوطنية والإتجاه العربي الإسلامي للطلبة والمثقفين الجزائريين (1919-1962) حاول فيه إبراز المؤثرات الثقافية الخارجية على هؤلاء ، ومدى دورهم ومساهمتهم في نضالات الشعب الجزائري.

عرض: مسعود كواتي

الهوامش

1 - يحمل العدد التاسع من مجلة الدراسات التاريخية التي كان يترأسها المرحوم الدكتور عمار هلال تاريخ السنة 1415ه/1995م.

2 - يحاول الفرنسيون دوما نعت الثورة الجزائرية " بالحرب " ويتمسكون بهذه التسمية في العديد من تصانيفهم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، العناوين التالية:

- Yves courriere, la guerre d'Algerie, 1974 ,4 tomes
- Pierre Beyssade, la guerre d'Algerie,1968
- Laurent Theis et Philipe Ratte, la guerre d'algerie ou le temps des meprises, 1974.
- Pierre Houart, l'attitude de l'eglise dans la guerre d'algerie 1960.
- Henri Alleg, la guerre d'algerie ,1981, 3 tomes
- Robert Aron ,et autres, les origines de la guerre d'algerie,1962.

وأخرون لا يخرج عن هذا المسلك الذي رسمه هؤلاء لكتاباتهم عن الجزائر، والحقيقة فإن كانت بالنسبة إليهم حرب، فهي بالنسبة للجزائريين ثورة بأبعد وأعمق معانيها.

عرض ملخص للعدد الثالث من مجلة الذاكرة الصادرة عن المتحف الوطني للمجاهد

إن مؤسسة المتحف الوطني للمجاهد، من المؤسسات الحكومية القليلة التي أخذت على عاتقها نشر المعرفة التاريخية بين الأوساط المثقفة والشعبية لما لهذه المعرفة من أثر على تنمية الفكر وترسيخ القيم الوطنية للمحافظة على ذلك التواصل الحضاري بين ماضي الشعب الجزائري وحاضره.

وما فتأت هذه المؤسسة منذ إنشائها تسير بخطى ثابتة نحو تحقيق أمال الوطنيين ورجال الفكر والمؤرخين. من خلال إصداراتها من كتب ومطبوعات ومنشورات تعتبر لبنة في إتجاه إرساء مدرسة تاريخ جزائرية :

" الذاكرة ": هي مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة " يصدرها المتحف الوطني للمجاهد دوريا؛ وبين أيدينا العدد الثالث للسنة الثانية والصادر في خريف 1995، وتتضمن هذا العدد دراسات أكاديمية متنوعة من بينها مواضيع عن الحركة الوطنية خلال القرن التاسع عشر والعشرون، ومواضيع تخص جوانب من ثورة التحرير، وفي هذا العدد موضوع عن واقع الدراسات التاريخية وملف خاص بالحكومة المؤقتة الجزائرية، وسنقف على سبيل المثال لا الحصر على بعض المواضيع. نظرا لضيق المجال، ومن ذلك موضوع الدكتور جمال قنان والذي يحمل عنوان " واقع الدراسات التاريخية بعد ربع قرن من إستعادة الإستقلال الوطني " وهي خلاصة أعمال فوج الدراسات التاريخية ضمن لجنة وطنية تشكلت سنة 1987 لتقويم الإنتاج العلمي والأدبي والفني منذ عام 1962.

وجاءت نظرا لأهمية الموضوع الذي يأتي ليسد فراغا في الدراسات التاريخية نورد بعض عناصره .

أول ملاحظة يبديها الدكتور جمال قنان في مقاله تخص النقص في عدد المنتجين في هذا المجال من الدراسات، حيث تم حصر عدد لا يزيد عن ستين مؤلفا (60) وهو عدد ضئيل إذا ما قيس بعدد السكان (23 مليون) (في ذلك الوقت) وعدد الطلاب المسجلين في التعليم العالي. والمقدرين في ذلك الوقت بـ 15 ألف طالب، والملاحظة الثانية. تخص الإختلال الملاحظ في توزيع الدراسات عبر مختلف العصور، بحيث تطغى عناوين الفترة الحديثة على عناوين الفترات التاريخية المتقدمة سواء كانت قديمة أو وسيطة؛ إضافة إلى الميل إلى الكتابة في التاريخ السياسي، وإهمال أوجه التاريخ الأخرين الإجتماعية والإقتصادية والفكرية.

ويلاحظ صاحب المقال أن التاريخ الوطني كان من الضحايا الأول التي إستهدفتها يد الإحتلال ونالت منها بشكل خطير. وعندما نأتي لرد الإعتبار لهذا التاريخ الوطني نجد الإعلام الموجه إلى الجمهور لايزال يشكو نقصا كبيرا في التعبير عن هذا الإهتمام وعذره في ذلك ربما يعود نقص المادة الضرورية، هذه المادة التي تقع مسؤولية توفيرها على عاتق المؤرخين.

ومن النقاط الهامة التي يشير إليها هذا المرضوع هو معاناة الإنتاج التاريخي في بلادنا من تأثير المدرسة الإستعمارية، ولكن نلاحظ بالمقابل التزايد للروح الوطنية والمسؤولية التاريخية التي ظهرت بصورة جلية لدى بعض الباحثين المحليين بحيث تم التطرق إلى موضوعات كانت مهملة وإزداد التعامل مع تركة المدرسة الإستعمارية بروح النقد والمراجعة، وهي مظاهر تؤكد حتمية قيام مدرسة في التاريخ الوطني.

ويعرض علينا الدكتور جمال قنان أسباب النقص والقصور المشار إليه سابقا، ويضع على رأس هذه الأسباب في مرحلة ما بعد الإستقلال

1- عدم توفر الإطار الكفء للقيام بهذه المهمة

2- إنصراف الجهود إلى عنصر التكوين
3- تعبئة الجهود من أجل البناء،

وهذا لا يعني أن تلك الأسباب كانت عائقا بل كانت لها إيجابيات تمثلت اليوم في توفير البلاد للعنصر البشري المؤهل والخبرة وتجربة تستطيع أن توظفها بنجاعة وفعالية في هذا المجال.

وهناك من جهة أخرى عدد من الضواغط لاتزال تؤثر على سير الدراسات التاريخية، ويعوق إنطلاقها، وهي على التوالي

1- علاقة التكوين العالي بالدراسات التاريخية
2- وضعيته التوثيق على المستوى الوطني
3- مكانة الدراسات التاريخية في مراكز البحث العلمي
4- وضعية الطباعة والنشر.

وإن كانت النقطة الأولى قد حصل بصددها تغيير طفيف خلال السنوات الأخيرة، بحيث تقلصت نوعا ما ظاهرة التكوين بالخارج في ميدان الدراسات التاريخية، ولكنها لم تنعدم، وكلنا ندرك ذلك الأثر الكمي والنوعي الذي يخلفه الإعتماد على الخارج بالنسبة للدراسات التاريخية في البلاد. أما التوثيق فإن الحديث عنه هو الحديث عن التاريخ بحد ذاته، بحيث لايمكن إنجاز أي عمل في التاريخ بدون وثائق ولتفادي النقص في هذا المجال، لابد من تجميع شتات الوثائق التي خلفتها الإدارة الإستعمارية، وإستقدام الوثائق التي تخص الجزائر في شكل مكروفلمات ... وبخصوص مكانة الدراسات التاريخية في مراكز البحث العلمي. فإن الدكتور قنان يلفت الإنتباه إلى النقص في هذا المجال، بحيث ظلت العلاقة بين الدراسات التاريخية ومراكز البحث العلمي لم تتبين بعدها أفاقها المستقلية، رغم ظهور مؤسسات مثل المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي أنشئ عام 1971، والذي يظل دوره ناقصا، والأمل معلق عليه وعلى غيره للقيام بالمهام المنوطة بهذا المجال من الدراسات. وتبقى

النقطة الأخيرة الخاصة بالطباعة والنشر تتجاذبها الإيجابيات أحيانا والسلبيات أحيانا أخرى.

ويختتم الدكتور قنان مقاله بعرض جملة من التوصيات خرجت بها اللجنة المكلفة والملاحظ على هذه التوصيات أن أغلبها إن لم نقل كلها قد وجد سبيله للتحقيق وإن لم يكن بالصورة الكاملة.بحيث إزداد إهتمام العديد من الأوساط سواء السياسية أو التربوية أو الإعلامية أو حتى الجماهرية بالتاريخ، وسادت القناعة لدى هؤلاء أن الأمم المحضرة بنت حاضرها بترسيخ ماضيها الذي لم تهمل منه ذرة، والحمدلله وجدنا أنفسنا اليوم في الجزائر أمام بعث حقيقي لإظهار تاريخنا وكتابته وتحقيق أمنية العديد من المفكرين الجزائريين بإيجاد مدرسة تاريخ جزائرية.

والمقال الثاني الذي إرتأينا عرضه في هذا الملخص يخص موضوع " البعد الثوري للحركة الوطنية والثورة التحريرية " لصاحبه الدكتور " محمد الحسن زغيدي " وهو موضوع يحمل تنبيها وتأكيدا على أن الثورة الجزائرية قد نجمت عن تخمر ثوري، ونتيجة تجارب ثورية عديدة أدت في الأخير إلى التحرر والإنعتاق، فالشعب الجزائري لم يعرف طريق الإستسلام، وإختار طريق الثورات الشعبية المنظمة وغير المنظمة والتي شملت كل أنحاء البلاد من سنة 1832 إلى غاية 1924، وتلى ذلك مرحلة تماشت وظروف العصر وتطوراته، وقد تبلورت في شكل مقاومة سياسية تزعمتها التنظيمات والأحزاب الشعبية، ويعد " نجم شمال إفريقيا " من أوائل هذه الحركات السياسية التي لعبت دورالمنبه والمؤكد على إستمرارية الحركة الثورية الجزائرية، وواكبته جمعية الهوية الوطنية، ويظهر حزب الشعب الجزائري ليتحول إلى مدرسة وطنية ثورية تخرج منها جيل نوفمبر، وتتفاعل هذه الحركات وتمتزج بين صفوف الشعب الجزائري لتعطي مظاهرات 8 ماي 1945 التي حولت الوضع إلى شرارة أضاءت طريق الكفاح المسلح، وقطعت الطريق على أنصاف الحلول.إذن فكل تلك المراحل قد عملت على صياغة جيل الثورة الذي ظهر

بمظهر الواعي والمقتنع والشجاع وقد أبرز قناعاته، وأكد عليها في بيان نوفمبر، وهو الذي يعد الوثيقة الأولى والأساسية للثورة التحريرية. ويظهر لنا صاحب المقال كيف أن البعد الثوري قد لازم هذا الشعب ولازم ثوريته التحريرية منذ إندلاعها إلى تحقيقها لهدفها المنشود ضمن ثورية بيان نوفمبر، إلى ثورية الشباب الذين حملوا لواء الدفاع عن شعبهم، إلى إنتشار الوعي العالمي بأهمية وقيمة هذه الثورة، لنصل إلى بيان الصومام الذي أظهر للعالم أن الثورة الجزائرية هي ثورة منظمة وليست حركة ثورية فوضوية. وهي ثورة إلتزم بها وطنيون ومتطوعون ومجاهدون كانوا نواة جيش التحرير، الذي حصل على تأييد مطلق من شعبه والذي منحه وحماسه وتضامنه إلى تحقق الهدف المنشود.

عرض: طرشون نادية

بطاقات_

1 فاطمة نسومر

(1830- 1863)

فاطمة نسومر

مولدها و نشأتها :

ولدت فاطمة نسومر في حوالي عام 1830م، في قرية ورجة التي تبعد عن دائرة عين الحمام بـ 5 كلم، إسمها الحقيقي هو سيد أحمد فاطمة، تنتسب إلى فرع الشرفاء المتحدرين من الأدارسة (المرابطين)، ترعرعت في عائلة معروفة ومحافظة حيث كان والدها سيد محمد عيسى يدير الزاوية الرحمانية .

مقاومتها و كفاحا :

ذكرت بعض مصادر القرن 19 أن البطلة كانت تلقب بـ " لالا نورجة" نسبة للقبيلة التي ولدت بها . تيتمت لالا فاطمة وذلك بعد وفاة والدها الذي كان سندها الوحيد وبذلك غادرت أسرة فاطمة قريتها الأصلية لتستقر بقرية "سومر"، ومن تلك الفترة، أصبحت تعرف بإسم " لالا فاطمة نسومر"، وذلك إحتراما لنسبها الشريف.

فشل زواج فاطمة في حوالي 1845 - 1846 مع أحد الأشراف بسبب صغر سنها الذي كان لايتجاوز 14 سنة وحبها للإستقلال، وبالتالي كانت تميل للإنشغال بالأمور الإجتماعية والسياسية وتمكنت من فرض نفسها بين مرشدي الزواية.

سنة 1849م اتصل بها سي محمد الهاشمي وهو أحد زعماء مقاومة بومعزة بعدما نجح في الفرار من السجن والإنتقال إلى بلاد القبائل، وبذلك إتفق سي الهاشمي مع

فاطمة في تنظيم مقاومة مسلحة في القبائل العليا (جرجرة) لإنقاذ المناطق الساحلية والسهلية التي دخلت إليها القوات الفرنسية منذ 1842م، وأخضعت البعض منها مثل: يسر، دلس وبرج منايل ... بعد هذا المشروع بقليل إندلعت الثورة في المنطقة بزعامة بوبغلة في 1850م وبرزت فاطمة بمساندتها له . لقد وقعت المعركة الأولى سنة 1854 وذلك بقرية (تزروتس) " ضواحي عين الحمام "، وفيها واجهت فاطمة نسومر القوات الفرنسية لأول مرة، إنتهت المعركة التي دامت طوال جوان وجويلية ولم تنجح القوات الفرنسية في إخضاع ضواحي نسومر وعين الحمام رغم إحتلالها لبعض نواحي منطقة القبائل. وفي حوالي عام 1857م، زحف الجيش الفرنسي وعلى رأسهم الماريشال " روندون " إلى الأربعاء من أجل كشفها من حيث توبوغرافيتها ومعرفة موقف السكان إتجاه الفرنسيين لكنهم وقعوا في " كمين " من طرف سكان المنطقة بقيادة البطلة " لالا فاطمة " فكان النصر لجيوشها.

لم يهدأ بال " روندون " ولم يهضم الهزيمة التي تلقاها على يد "بوبغلة" و "لالا فاطمة " لذلك تابع توغله في جبال القبائل ثم أعاد الهجوم على منطقة "إيشريضن"، وبذلك تمكنت قوات الإحتلال من محاصرة المنطقة من كل النواحي.

وفي 11 جويلية 1857م، أخذت "لالا فاطمة" تواجه الفرنسيين بكل قوة إلى أن قبض عليها من طرف الجنرال يوزف " YUSUF " " قائد الحملة " الذي نقلها إلى معسكر الماريشال "روندون"، ثم نقلت مرة ثانية إلى زاوية محي الدين أحد عملاء فرنسا في بني سليمان (قرب تابلاط) وسجنت فيها إلى غاية وفاتها عام 1863م عن عمر يناهز 33 سنة.

لم يكتف الإستعمار الفرنسي بكل هذا بل قام بنهب منزلها وأخذ كل ما وجده من بينها مائة ألف دينارا من الفضة، كما إستولى الجيش الفرنسي على مائة وخمسين مجلدا من أثمن الكتب وأشهر التآليف في مختلف الفنون والعلوم.

بقي سكان المنطقة يزورون قبر فاطمة بالزاوية إعترافا بمقاومتها وببطولتها وقد ذكراها حية في القصائد الشعبية المنتشرة.

إعداد المركز

2 الشيخ الطيب العقبي
(1888م – 1960م)

مولده ونشأته:

ولد الطيب محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي سنة 1888م بمدينة سيدي عقبة، ضواحي بسكرة، وهو من عائلة متوسطة معروف بالورع والتقوى. في سنة 1894، وكان عمره آنذاك ست سنوات هاجرت عائلته إلى المدينة المنورة، وهناك كبر ونما وترعرع الولد الطيب، فحفظ القرآن الكريم وتلقى مختلف الدروس في اللغة، الفقه والتوحيد، لكن وفاة أبيه في هذه الأثناء أرغمته على مساعدة أمه في تربية إخوته.

وقبيل الحرب العالمية الأولى بدأ الشاب في نشر مقالاته حول السياسة والدين، ومراسلة بعض الصحف والمجلات، لكن هذا النشاط لم يدم طويلا حيث إعتقل من طرف السلطات العثمانية بتهمة موالاته للشريف الحسيني، وأنه زعيم حركة النهضة العربية، ونفي إلى الأناضول بتركيا حيث أمضى هناك أكثر من عامين.

وفي سنة 1918، مع نهاية الحرب العالمية الأولى عاد واستقر في مكة المكرمة وعين من طرف أميرها الشريف حسين، مديرا لجريدة " القبلة" وفي هذا المنصب استطاع الشيخ الطيب أن يقوم بدور هام في النهضة العربية. لكن رغم هذا النشاط كله لم يكن مطمئنا على التطورات التي كانت تعرفها البلاد العربية آنذاك، حيث بدأ التكالب والتحالف الغربي على إبتلاع خيراتها وإستغلال ثرواتها، مما عجل بعودة الشيخ إلى وطنه الجزائر، إلى مدينة بسكرة بحجة الإشراف على أملاك أسرته. وكان وصوله إلى هذه المدينة سنة 1920، واستقر به المقام هناك، وبدأ يهتم بشؤونه الخاصة دون غيرها.

نضاله:

لم يبدأ الشيخ الطيب العقبي نضاله مباشرة بعد عودته من مكة، ففي الفترة ما بين (1920-1927) كان يعيش بين أهله وقومه مهتما بأملاك أبيه يكسب ويوفر بها العيش والهناء لنفسه ولأسرته. وفي سنة 1927 تكونت له صداقة وعلاقة مع بعض الأدباء ورجال الإصلاح مثل الأمين العمودي ومحمد العيدآل خليفة وأحمد العابد العقبي وغيرهم، وقرر إصدار جريدة عربية إصلاحية بعنوان "الإصلاح "وبواسطتها بدأ الشيخ ينشر أفكاره الإصلاحية، ويلح على ضرورة القيام بنهضة عربيةإسلامية خالية من الإنحرافات والشعوذة، ومبنية على القرآن والسنة، مثلما كان يدعو إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة " الشهاب"، لكن هذه الجريدة لم تدم طويلا حيث توقفت عن الإصدار

سنة 1930 .هذا النشاط جعل الشيخ الطيب العقبي يتنقل بين المدن الجزائرية ويتصل بعلمائها، وفي مدينة الجزائر كان الشيخ ينزل بنادي " الترقي" ويقوم فيه بنشاط ملحوظ، وخصوصا بإلقاء محاضرات كان لها وقعا كبيرا في نفوس الحاضرين، وهذا بطلب من جماعة النادي. وفي تلك الفترة تفجرت عبقرية الشيخ العقبي حتى أصبح إسمه مقرونا باسم " نادي الترقي" فهو المسير والمحرك لجميع أنشطته.

وفي سنة 1931، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي تنظيمتها وتوجيهها، وعين نائبا لرئيسها. وفي سنة 1935 عندما أصدرت الجمعية جريدة البصائرعين مديرا لها، وفي سنة 1936 لعب الشيخ العقبي دورا كبيرا في نجاح " المؤتمر الإسلامي" الذي وافق على بعض المطالب السياسية الإصلاحية، خصوصا الفصل بين الدين الإسلامي والإدارة الفرنسية، وكان الشيخ ضمن الوفد الذي عينه المؤتمر للذهاب إلى باريس لتقديم هذه المطالب إلى الحكومة الفرنسية.

وعند رجوع الوفد من فرنسا قدم تقريرا حول النتائج الذي تحصل عليها في مهرجان كبير بالملعب البلدي بمدينة الجزائر، واستغلت السلطات الإستعمارية هذه المناسبة لتقوم بإغتيال مفتي الجزائر " محمود كحول" وإتهمت الشيخ الطيب بأنه وراء هذه العملية، فأعتقلته برفقة عباس التركي وزجت بهما في سجن " بربروس". غير أن الإحتجاجات على هذا الإعتقال كثرت من جميع الجهات وأرغمت السلطات الاستعمارية على الافراج عنهما.

ولقد تركت هذه الحادثة في نفس الشيخ أثرا سيئا، فأرغمته على التقليل من نشاطه وعلى التحلي بالحذر والاحتياط، فتخلى أولا عن إدارة جريدة "البصائر" في سنة 1937، ثم عن العضوية في المجلس الإداري لجمعية العلماء سنة 1938.

وفي سنة 1939، أصدر الشيخ العقبي من جديد جريدته القديمة " الإصلاح" التي توقفت منذ 1930، وبدأجدال عنيف يظهر بينه وبين جمعية العلماء، وكان العقبي يساند موقف حركة الزوايا وأهل السنة المنافسين لجمعية العلماء، لكن هذا التحول جعله يفقد شعبيته حتى أصبح معزولا.

مـــوته ومـــآثره:

بعد إعتقال الشيخ الطيب بدأ نشاطه يتقلص من فترة لأخرى حتى أصبح واضحا، فبقي يساير ويواكب المحنة التي تمر بها الجزائر، وظل يساهم ويمد بآرائه لكن ليس بالصفة المعتادة. غير أن ذلك لم يمنعه من ملازمة نشاطه في نادي الترقي حتى وافته المنية سنة 1960. وقد ترك وراءه إنتاجا فكريا يتمثل في المقالات التي كتبها في صحف وجرائد مختلفة منها: جريدة المنتقد التي أسسها عبد الحميد بن باديس، وكانت مقالاته فيها كلها مدعمة بالحجج والأدلة، ثم جريدة الشهاب التي كتب فيهامقالات بعنوان " في سبيل الوفاق" إضافة إلى ما كتبه في جريدته " الإصلاح" وفي جريدة البصائر التي تأسست سنة 1935. وأخيرا مجموعة من المحاضرات القيمة التي كان قد القاها في نادي الترقي.

إعداد المركز

أ معركة أسطاوالي
19 جوان 1830

مكان معركة سطاولي

تعتبر معركة أسطاوالي حلقة من حلقات المعارك التي خاضها الشعب الجزائري ضد العدو الفرنسي والتي تعود إلى عدة أسباب إقتصادية، سياسية، وعسكرية، ويبقى الهدف الرئيسي لهذه المعركة هو الإستيلاء على الجزائر.

سير المعركة:

في صبيحة يوم السبت 19 جوان إستعد الجيش الجزائري، بعد أن أدى المسلمون صلاة الصبح لخوض المعركة. كان عدد القوات الجزائرية حوالي خمسة عشر ألف جندي نظامي وغير نظامي، أما عدد القوات الفرنسية فقد بلغ سبعة وثلاثون ألف جندي يسندهم إثنان وسبعون مدفع جربت لأول مرة في ميدان المعركة. بدأ الهجوم عندما إنطلقت نيران مدفعين ثقيلين، يوجدان في وسط المعركة، وكان الجيش بقيادة باي قسنطينة وباي وهران يشكلون الميمنة والمسيرة يطوفون بالمعسكر، أما الجيش النظامي كان يشكل القلب، وفي نفس الوقت كونوا نصف دائرة تتعدى المكان الذي ينتهي عنده الموقع الفرنسي.تقدم الجنود الجزائريين للهجوم، وهم يهتفون " الله أكبر "، وإجتازوا الوادي الذي كان يفصلهم عن إحدى الكتائب الفرنسية، وكانوا يهاجمون الفرق الفرنسية وسيوفهم بين أسنانهم ومسدساتهم بأيديهم، فلم تستطع كتيبتان

فرنسيتان عند اللقاء الأول، الوقوف أمـام هـذا الهجـوم العنيـف، ولكـن أخطـر عمليـة حددت مصير المعركة هي الهجوم المضاد الذي قامت به القوات الفرنسـية علـى ميمنـة الجزائريين، فإضطرب المشاة وتبعهم الفرسان وعمت الفوضى داخـل صفوفهـم، فتفـرق الجيش، وإستغل الفرنسيون هذا الوضع الذي لم يكونوا ينتظرونه و تقدموا بسـرعة نحـو معسكر أسطاوالي الذي كـانت تحميه بطريتـان فقـط وثمانيـة مدافـع سيطروا عليهـا، فإستولوا على المعسكر والسهل بأكمله.

نتـائـج المعـــركة:

إن مأساة معركة أسطاوالي التي مني بها الجزائريون تعود إلى الأسباب التالية :

1 - إن الإستعدادات الجزائرية في أسطاوالي من الناحية الحربية والدفاعية،كانت غـير محكمة حسب "حمدان خوجة" إذ لم تحضر المدفعية ولم تحفر الخنـادق ولـم يكـن هنـاك سوى بطاريتين وثمانية مدافع.

2 - حسب "سيمون بفايفر" كان عدد الجرحى حوالي ثمانمائة وستين قد أصيبوا على العموم برصاص البنادق، بإستثناء عدد قليل منهم أصيب بقنابل المدافـع وإثنـين بـرؤوس الحراب.

3 - حسب "حمدان خوجة" غادر الآغا إبراهيم المعسكر وكله يأس مختفيـا مـع أربعـة من خدمه في دار ريفية، لأنه كان يريد محاربة الفرنسيين بدون جيش منظـم ولا ذخـيرة حربية ولا مؤن وبالتالي لم يكن قائدا ممتازا، ولم يكن يعرف الشئ الكثير من التكتيك العسكري كالآغا يحي.

4 - بعد الهزيمة عـاد سـكان مدينـة الجزائـر والجيـش إلى المدينـة وقـد إستولى عليهـم الذهول حاملين معهم عددا كبيرا من الجرحى، وكان الطريـق كلـه مـن أسـطاوالي إلى الجزائر مغطى بهم.

5 - إستيلاء الفرنسين على قصر الـداي وتوقيـع إمعـاهدة الإستسـلام يـوم 5 جويليـة 1830، من طرف الداي.

إعداد المركز

ب معتقل قصر الطير

مكان معتقل قصر الطير عين ولمان

1- موقعه و تأسيسه :

يقع معتقل قصر الطير في موقع إستراتيجي، يحده من الشمال قرية قلال و من الجنوب عين ولمان و سلسلة جبال الحضنة و من الشرق دوار ملول، و من الغرب أولاد بو طارة.

و سميت المنطقة بقصر الطير منذ أكثر من ثلاثة قرون ، نسبة إلى ذلك البيت الكبير الذي كانت تأوي إليه الطيور الجارحة ، يبلغ علوه سبعة أمتار.

عندما وصل الغزو الإستعماري سنة 1871 إلى المنطقة، قاومه سكانها بقيادة " لعروسي البوعبدلي " . وبعدها وزعت تلك الأراضي الخصبة المحتلة على المعمرين. و في ماي 1956 أنشأت الإدارة الفرنسية مركزا للتعذيب في المنطقة،ثم حول إلى معتقل في ماي 1958.

2 - هياكله:

عندما دخل العدو هذه المنطقة، و تمركز بها في ماي 1956، نصب بها خيمة، وبعد عام واحد أخذ في إنشاء المعتقل، و حول ثلاثين مسجونا من سطيف و باتنة إلى قصر الطير. و في أكتوبر 1957 أصبح يتكون من ثلاثين بيت مقسمة إلى تسعة أقسام سميت بالأحرف اللاتينية من حرف (A) إلى حرف (i)

. يتربع المعتقل على مساحة عشرة هكتارات محاطة بثلاثة أنواع من الحواجز ، الأول عبارة عن أسلاك شائكة تحيط بالمعتقل ، ويبلغ عرضها ستة أمتار بالألغام، و الثاني عبارة عن خط من الأضواء الكاشفة ، و الثالث عبارة عن حائطين من الأسلاك العادية بينهما ممر تجوبه الكلاب البوليسية بدون توقف.

بعد أن كان عدد المساجين يبلغ المئتين (200) ، إرتفع إلى أكثر من ثلاثة آلاف (3000)، يقوم على حراستهم كتيبة من جنود العدو ، وضباط مختصين و متخرجين من الكليات العسكرية يشرفون على التعذيب تحت قيادة النقيب " أرشونو " بمساعدة الملازمين " منصور- وبربو. "

3 - أنواع التعذيب ومحاولة الفرار:

إشتهر المعتقل بأبشع العذاب حتى أطلق عليه " معتقل الموت البطيء" ، وللإشارة فإن له مرافق متعددة الخدمات كالمراقد وقاعة غسل الأمخاخ ، وقاعات للتعذيب و الزنزانات و غيرها، كلها تصب في بوتقة الجحيم.

وللتعذيب عدة أنواع، منها التعذيب الجسدي وهو متعدد الصور كالأعمال الشاقة ، و التعذيب النفسي كالحجز الإنفرادي و تحطيم المعنويات وغيرها.

رغم مختلف صنوف التعذيب المستمرة ، فقد ثبت المجاهدون على مبادئهم ، وصمدوا جميعا في وجه العدو. وقد حاول السجناء عدة مرات الفرار و القيام بعمليات التمرد خلال سنوات 1959-1962م، فمنهم من نجح في الهروب مثل ما حدث سنة 1959، و منهم من فشل مثل ما حدث سنة 1962 .

و في الحقيقة أن موقع المعتقل الحصين بأسلاكه المكهربة وبعده عن الجبال، لم يتح لوحدات جيش التحرير الوطني من القيام بهجومات عليه.

و في الأخير تجدر الإشارة إلى أنه بعد الإستقلال إحتفظت القرية بإسمها القديم " قصر الطير " إلى غاية 1973 ، أين تم إنشاء قرية فلاحية تحمل إسم " قصر الأبطال " ، وفي سنة 1984 أصبحت هذه القرية بلدية من بلديات دائرة عين ولمان ولاية سطيف.

إعداد المركز

قراءات قانونية

قراءات قانونية

بقلم عبد المجيد شيخي

مقدمة

الوثائق الخاصة بالحركة الوطنية منذ 1830 إلى غاية إسترجاع الإستقلال الوطني، وذلك قصد توفير الوثيقة كلما أمكن ووضعها في متناول الباحثين. وتعتمد المجلة طريقة التقديم مع دراسة مبسطة لبعض الجوانب البارزة في الوثيقة مع بقاء الباب مفتوحا لكل مساهمات قد تثري البحث التاريخي الحقيقي المنصب أساسا على الوثائق.

و نقدم للقارئ الكريم-وسيكون ذلك من كل عدد إن شاء الله-بعض قد إخترنا هذه المرة وثيقتين ترتبطان إرتباطا وثيقا فيما بينهما رغم الفارق الزمني

فالوثيقة الأولى هي معاهدة تسليم السلطة للفرنسيين من طرف الداي حسين باشا في 5 جويلية 1830، والوثيقة الثانية هي بيان أول نوفمبر 1954. وكل من هتين الوثيقتين يثير كثيرا من الملاحظات، ويطرح عددا من الإستفسارات.

1- ***أما بالنسبة للوثيقة الأولى*** فإنها معاهدة تسليم القصبة من طرف الداي حسين باشا لقائد الحملة الفرنسية التي نزلت شواطئ سيدي فرج (1) في 14 جوان 1830 والتي قضت على الدولة الجزائرية فالوثيقة تأتي بعد أحداث وقرارات متنوعة هي :

- القضاء على الأسطول الجزائري في نافارين سنة 1827.
- 1827/4/29 حادثة المروحة.
- 1827/6/17 بداية الحصار البحري الفرنسي ضد الجزائر.

- 1827/10/17 بداية التحضير لحملة ضد الجزائر (إجتماع المجلس لملكي)
- 1829/7/30 تحديد شروط رفع الحصار الفرنسي ورفض الداي حسين باشا لها.
- 1829/10/17 دراسة مشروع ثان للحملة الفرنسية ضدالجزائر (المجلس لملكي الفرنسي.)
- 1830/1/31 إتخذ المجلس الملكي الفرنسي قرار بشن حملة بحرية برية ضد الجزائر قصد إحتلالها.
- 1830/4/03 عين قائد الحملة وهو الكونت دي بورمون وقائد البحرية.وهو دوبيري وصدور أمر ملكي بتاريخ 1830/4/18 في هذا الشأن.
- 1830/5/12 رسالة إلى الحكومة البريطانية تخبر فيها فرنسا بقرارغزو الجزائر ووجهت نفس الرسالة إلى كل الدول الأوروبية الحليفة لفرنسا (2) وتثير الوثيق الأولى هذه، الملاحظات التالية:

أولا: الملاحظات السياسية:

1 - إن البيان التاريخي لإعداد الحملة والإجراءات المتخذة من طرف المملكة الفرنسية يفيد بأن فرنسا تقوم بعمل حربي عدواني على دولة كاملة السيادة ولذلك بادرت بإخبار حلفائها بما هي مقدمة عليه، فقد كان قد تقرر في مؤتمر فيينا سبتمبر 1814 المحافظة على التوازن الدولي القائم أنذاك وعدم التعرض لوحدة الخلافة العثمانية والجزائر إحدى ولاياتها الهامة.

2 - إن توجيه رسالة إلى الدول الحليفة لفرنسا يفيد أنها تريد تبرير موقفها وعملها العدواني، حتى لايختلط الأمر على المجتمع الدولي أنذاك بأن الحملة ضد الجزائر ليست عملية واسعة يقصد من وراء إستئناف الحروب النابوليونية التوسعية التي أدانها مؤتمر فيينا سنة 1814/15.

3 - لم ترسل الدولة الفرنسية أي مبعوث أو رسالة إلى الخليفة العثماني في أستنبول لإعلامه بالحملة وذلك لاقتناع فرنسا وإعترافها بأن ولاية الجزائر (ضمن اطار الخلافة العثمانية) ولاية مستقلة.

ثانيا: الملاحظات القانونية:ـ

1 - يأتي نص المعاهدة غير كما هو معروف في المعاهدات الدولية وهذا يدل على إستخفاف السلطات الفرنسية بالداي وما يمثله الداي، كما أن من الممكن أن تكون السلطات الفرنسية مقتنعة بأن عملها ضد الجزائر خرق للقوانين والأعراف لذلك لم تفكر في إحترام الشكليات.

2 - إن المعاهدة تخص تسليم القصبة بمافيها القصر أي مقر الحكومة الجزائرية ولم يرد الداي أن يلتزم بأكثر من كثره إذ ترك للشعب الجزائري والسلطات الجهوية والمحلية مهمة الدفاع عن الوطن، ولايظهر ذلك في هذه الوثيقة فتحسب، ولكن في الرسائل العديدة التي كان يوجهها من منفاه في إيطاليا إلى بعض أصدقائه في الجزائر.

3 - إن المعاهدة تضمنت قبول فرنسا لشروط إستسلام الداي وحاشيته وهي:

- حرية ممارسة الشعائر الدينية.
- حماية الممتلكات الفردية.
- وأخيرا يمكن إعتبار هذه الوثيقة كوثيقة عسكرية موقعة بين قائدين عسكريين ، أحدهما منتصر وآخر منهزم، لكن الملاحظ في الأخير :

1 - إن مع إعتراف فرنسا بالدولة الجزائرية فإنها لم تعلن الحرب ضدها، بل إعتبرت الحملة مجرد خطوة أخرى من خطوات الحصار البحري القائم منذ 1827.

2 - إن إعلان الحرب ضد الجزائر لم يكن ممكنا من الجانب الفرنسي، من الناحية القانونية ذلك أن تطور القانون والتعامل الدوليين منذ مؤتمر وستقاليا سنة 1648 جعل الدول تميز بين" الحرب العادلة" و" الحرب الظالمة " أي الحرب العدوانية، وكذلك بين الحرب " التأديبية " والحرب" الشاملة " أي الإبادية، فالحرب التأديبية لاتقضي على الدولة، أما الحرب الإبادية فإنها تقضي على كل شئ.

ولقد وضعت أبعاد الحملة ضد الجزائر الإيديولوجية الإستعمارية إعتمادا على لمنطلقات القانونية والفلسفية المذكورة أعلاه.

2 – أما الوثيقة الثانية فهي بيان أول نوفمبر 54 الذي يمثل تتويجا لنضال الشعب الجزائري ، ويعتبر بحق دستور الثورة الجزائرية . لذلك فإن أية دراسة تحليلية له يجب أن تضعه في سياق هذا النضال الذي يبدأ حتما عندما وطئت أقدام الاستعمار الفرنسي هذه الارض الطيبة ، و لا بد من ذكر بعض المعطيات الاساسية والضرورية للتحليل السليم سياسيا كان أم قانونيا.

1 – قبل 1830/6/14 كانت الجزائر تحمل إسم " إيالة الجزائر " أو " جمهورية الجزائر " ، وهي دولة مستقلة في نظر القانون الدولي إذ ذاك بدليل العديد من الإتفاقيات المبرمة مع دول أجنبية من بينها فرنسا (أكثر من 70 معاهدة) والولايات المتحدة الامريكية (التي كانت الجزائر أول دولة تعترف بها بعد انفصالها عن بريطانيا) والدول الاسكندنافية مثل الدنمارك والسويد . أما من ناحية القانون الدستوري والاداري فالجزائر كانت ولاية من ولايات الدولة العثمانية في إطار تنظيم ما كان يسمى بـ " دار الاسلام " أو الدولة الاسلامية الكبرى ، وكانت العلاقة القانونية الوحيدة الموجودة بين " دار الخلافة " و " إيالة الجزائر" علاقة إسمية تتمثل في الولاء للدولة الكبرى . فالإستعمار الفرنسي إحتل دولة جزائرية قائمة وذات سيادة كاملة.

2 – إن عدد سكان الجزائر في 1830 كان 10 ملايين نسمة حسب تقدير " حمدان خوجة" وتؤكد هذا الرقم تقريبا كل الطرق الاحصائية والحسابية الموضوعة لهذا الغرض ، وبما أن عدد السكان بعد 1860 وعند صدور أول قانون لتوزيع الاراضي المصادرة من الجزائريين في 1862 ، كان عدد السكان لا يتجاوز 3 ملايين فان عمليات الاحتلال الاولى تكون قد كلفت الشعب الجزائري قرابة 7 ملايين شهيد ، مع العلم أنه لم يسجل أي وباء واسع خلال هذه الفترة يمكن ان يتخذ ذريعة لتبرير هذا العدد الهائل من الضحايا. كما تجدر الاشارة الى أن التزايد الطبيعي للسكان خلال الفترة 1954/1830 لم يتمكن من سد العجز المسجل إذ كان عدد السكان عند الثورة المباركة لا يتجاوز 9 ملايين نسمة ،أي انه بعد قرن وربع القرن

بقي عدد السكان أقل من العدد المسجل فى 1830. وهذا لم يحدث فى اية مستعمرة على الاطلاق.

3 - إن الجزائر أول دولة حققت وحدتها الوطنية حول سلطة واحدة وذلك قبل ظهور مفهوم الدولة/الامة بقرنين أوأكثر ، اذ توحدت الجزائر بحدودها الحالية فى مطلع القرن السادس عشر ، ولم يتحقق ذلك فى فرنسا مثلا الا فى أواسط القرن الثامن عشر تحت حكم لويس الرابع عشر ، وشاركت الجزائر فى حروب اكمال الوحدة الوطنية الفرنسية.

4 - ان الجانب الديمغرافي والحربي قد احدثا اختلالا فى توازن المجتمع الجزائري من عدة نواحي نوجزها فيما يلي :

- الاقتصادية بإدماج الاقتصاد الجزائري ضمن الدورة الاقتصادية الاستعمارية ، فصار بذلك يتحمل حاجيات المجتمع الوطني والمجتمع الفرنسي مما زاد من بؤس الجزائريين وفقرهم.

- الاجتماعية بتفكيك الوحدات الاجتماعية الكبرى والخلايا الاساسية للمجتمع وهي القبائل والعائلات التى كانت تعيش فى ظل نظام التكافل والتضامن الاجتماعي ، كان وحده قادرا على تحقيق الكفاية الذاتية من المواد والخدمات الاساسية ، كما أن تعطيل المؤسسات الدينية ومصادرة ما كان لديها من أملاك (الاوقاف مثلا) جعل المجتمع يتفكك.

- الثقافية بالقضاء على النخبة المثقفة فى البلاد والتي لم تجدد بعد ، وتجهيل الباقي من أبناء البلاد.

- السياسية بإنكار أي وجود للشعب الجزائري وذلك:

- باعتبار الجزائر جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي،

- بتطبيق قوانين زجرية على الجزائريين المعروفة بـ : " قانون الاهالي."

هذه المعطيات الاساسية هي التى أخذتها الحركة الوطنية بعين الاعتبار منذ بداية نضالها فى مطلع القرن الحالي ووضعتها فى مطالبها منذ الوهلة الاولى ، وجاء بيان أول نوفمبر 54 ليحدد اساليب العمل من أجل تحقيقها .

وقد وضعها أمام الشعب ليصدر حكمه فيها بالمساندة أو الرفض ، إن هو لم يقتنع بجدواها ونجاعتها لذلك جاءت العبارة الاولى منه معبرة تعبيرا صادقا عن الوطنية فى انبل معانيها وحب الوطن فى أسمى صوره ومدى ارتباط المناضلين من أجل القضية الوطنية بالشعب ، فكانت:

" أيها الشعب الجزائري ،
ايها المناضلون من أجل القضية الوطنية ،
أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا ، نعني الشعب بصفة عامة ، والمناضلين بصفة خاصة. "

وكانت العبارة الختامية من البيان أصدق تعبير عن الاخلاص والتضحية والفداء:

" أما نحن ، العازمون على مواصلة الكفاح ، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبريالية والاستعمار ، فإننا نقدم للوطن انفس ما نملك ".

والملاحظ هنا أن البيان كتب أصلا بالفرنسية ، لذلك جاءت ترجمة بعض العبارات غير معبرة التعبير السليم عن المشاعر ، وهذه خصوصيات اللغات والقدرة على التعبير فى لغة ما بعبارات تحمل نفس القوة فى لغة أخرى . فقد كان من الاصح القول مثلا:

" أنتم الذين ستقيمون أعمالنا وتحكمون عليها " لأن كلمة **Jugement** فى الفرنسية لا تعني الحكم القضائي فقط بل تعني أيضا التقييم والتقدير ، كما كان من الأصح ترجمة العبارة الأخيرة من البيان بما يلي:

... " فإننا نهب أسمى ما نملك للوطن " حتى يبين سمو الروح على المادة وهي الجسد وحتى ينتهي البيان بكلمة **" الوطن"**

ولا بد هنا من ملاحظة أخيرة حول روح الوثيقة . فالإستعمار عندما غزا الجزائر وأخضعها بالحديد والنار ، كان قد وقع على معاهدة

مع رئيس الدولة الجزائرية المهزوم " حسين داي " الذي سلم القصبة فقط ولم يسلم كافة تراب الإيالة . وقد تضمنت المعاهدة التزام فرنسا باحترام الاملاك والاشخاص والدين ، فما أن وقعت المعاهدة حتى بدأ التقتيل الجماعي والتشريد والسلب والنهب ومنع الشعائر الدينية أو التضييق عليها. أما الثورة الجزائرية فإنها تصرفت مع الاستعمار تصرف المتحضرين المتخلقين إذ حددت مبادىء الكفاح وخصائصه ووسائله مع احترام حقوق الانسان وكذلك الحقوق المادية المكتسبة بصورة شرعية ، وهذا فى حد ذاته درس فى الأخلاق والاعراف الدولية (3).

أولا: الاطار العام للكفاح المسلح:

بعد التأكيد على أن الحركة الوطنية وحدت الشعب حول فكرة الاستقلال مما يجعل العمل من أجل تحقيقه نتيجة منطقية للنضال الطويل ضد الاستعمار ، يشير البيان الى أن الإنفراج الدولي والتغييرات فى المفاهيم الدولية ، كل ذلك يشكل ظرفا مميزا يشجع على الاقدام . ورفعا لكل التباس يؤكد البيان:

1 - حركة التحرر الوطني الجزائرية هي جزء من حركة تحرير شمال إفريقيا ، وأن الجزائريين أول من طلبوا بتوحيد الكفاح ضد الاستعمار فى الاقطار الثلاثة فى المغرب العربي ، وعليه فالحركة الجزائرية ليست حركة انعزالية ، بل يجب أن ينظر اليها فى سياق كفاح شعوب المغرب العربي.

2 - إن هذه الحركة لا تحمل سمات الحركات القائمة فى العالم لأن الإطار الطبيعي والبعد الإستراتيجي هو العالم العربي والاسلامي . وهذه إشارة واضحة بأن الحركة الوطنية الجزائرية ليست شيوعية حتى ولو أنها استعملت مصطلح "الامبريالية ". (4) لذلك فإن حركة التحرير الجزائرية رافد من روافد حركة التحرر العربية الاسلامية.

3 - إن حركة التحرير الجزائرية ليست حركة حزبية ولا تنتمي لأي حزب من الاحزاب القائمة أو سيقوم فى المستقبل ، ولكنها حركة الشعب الجزائري

بأكمله . لذلك فإنها متفتحة على الجميع بدون استثناء ، والانتماء الوحيد المقبول هو الانتماء للثورة ممثلة فى قيادتها " **جبهة التحرير الوطني** "، خيث لا زعامة حزبية ولا انتماء حزبي.

ثانيا : الأهداف :

وهي من ثلاثة أنواع:

1 – الهدف الاساسي:

وهو تحقيق الاستقلال بإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الاسلامية . وهذا الهدف يثير الملاحظات التالية:

آ– الإستقلال ومعناه الإنفصال الكلي عن الدولة الفرنسية ، بحيث أن الدولة الجزائرية التى ستقام لن تكون لها اية ارتباطات مفروضة عليها إلا ما ستختاره بكل حرية.

ب– الطابع الديمقراطي الاجتماعي هو الذي يحقق العدالة الاجتماعية فى البلاد ، وهذا اهم عنصر فقده الشعب فى ظل الاستعمار.

ج– الدولة التى ستقام سيكون إطارها المبادئ الاسلامية ومعنى ذلك الرجوع الى الثقافة الاسلامية والعربية التى هى جزء لا يتجزأ منها ، بل إن الإلتزام بين الثقافتين يتجسد فى اللغة المستعملة فى كليهما فتنطلق من الواحدة لتغوص فى الاخرى دون أي حرج.

د– احترام الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني ، وذلك أن الثورة المسلحة فى مسيرتها لن تمس بالحريات والمعتقدات ، كما أن الدولة المستقلة ستلتزم بهذه المبادئ الحضارية التى لم تلتزم بها السلطات الاستعمارية طيلة قرن وربع القرن.

2 – *الاهداف الداخلية* : وتتمثل في :

آ– إعادة توجيه المجتمع الجزائري نحو الاهداف السامية والإبتعاد عن المعارك السياسية العقيمة.

ب– عدم انتظار أية مبادرة من الاستعمار والتى ستكون حتما عمليات إصلاح ، بعيدة كل البعد عن المطامح الحقيقية للشعب. وتجدر الاشارة الى أن المقصود بعبارة " روح الإصلاح " الواردة فى البيان ، ليس الحركة الإصلاحية التى كانت تقوم بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كما يحلو للبعض أن يفهموا ذلك . فالإصلاح المقصود هنا هو تلك السياسية التى انتهجتها فرنسا منذ مشروع " فيوليت " سنة 1936 ، الى قانون 1947 وتعيين " الجمعية الجزائرية " الى غير ذلك من العمليات التضليلية.

ج– تصفية الإستعمار كنظام ، وهذا يعني القضاء على جميع مظاهره السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. فالعملية إذن عملية تطهير لجسم المجتمع من كل دنس علق به من جراء احتكاك الاستعمار به وهذه المظاهر تتمثل في:

- اللغة الفرنسية
- الإدارة الفرنسية وموظفيها
- القوانين الفرنسية جملة وتفصيلا.
- الإقتصاد الاستعماري وتحرير الإقتصاد الوطنى من تبعيته له.

3 – *الأهداف الخارجية*:

آ– تدويل القضية الجزائرية ، وهذه نقطة هامة جدا لأن هناك أهداف قانونية يجب أن تتحقق وخاصة أن التدويل يؤدي الى الإعتراف بصفة المحاربين التى لها مفهوم قانوني مضبوط ، وهو بمثابة الاعتراف بخصومة ثابتة بين طرفين أضعفهما فى طريقه الى التساوي مع الآخر فى الوضعية القانونية ، ويقع على عاتق المجموعة الدولية مساعدته أو تسهيل الأمر له ليصل الى هذه

المساواة . كما أن الحصول على صفة المحاربين تفسح للثورة مجالات واسعة منها:

– الحصول على الدعم المادي والمعنوي والسياسي من الدول وليس فقط المنظمات الإنسانية .

– الدخول فى المنظومة القانونية الدولية وخاصة التمتع بالحماية القانونية التى تكفلها معاهدات جنيف الخاصة بالحرب وحماية الأسرى واعتبارهم أسرى حرب .

– الحصول على فرض مراقبة الصليب الأحمر الدولي لأعمال القمع التى تمارسها السلطات الاستعمارية فى الجزائر، ومراقبة معاملة المساجين فى السجون والمعتقلات والمحتشدات التى تلتزم السلطات الاستعمارية بالتصريح بوجودها، ومجمعات اللاجئين الجزائريين فى تونس والمغرب.

– الحصول على حق التمثيل فى المنظمات السياسية الدولية مثل الأمم المتحدة (صفة ملاحظ) ، إذ تجدر الإشارة الى أن أعضاء وفد جبهة التحرير الوطني فى الأمم المتحدة كانوا فى البداية ضمن الوفد السوري أو السعودي ، ثم اعترف اهم بحق الحضور كملاحظين.

ب– العمل على تحقيق وحدة المغرب العربي فى إطاره الطبيعي العربي الإسلامي.

من هذه العوامل والعناصر جميعها تتحدد شروط الحرب بين الشعب الجزائري والنظام الإستعماري وهي ثلاثة:

1 – الاستقلال الوطني بإنهاء النظام الاستعماري بجميع مظاهره.

2 – وحدة الأمة على أساس التمايز القائم بين الشعب الفرنسي والشعب الجزائري ، إذ لا سبيل للتفريق بين الصفوف ، فكل السياسات الفرنسية المطبقة للوصول الى هذا الهدف مرفوضة ولا مكان لها فى أي حوار أو مفاوضات بين الطرفين ، بل إنها غير قابلة للمناقشة.

3 – وحدة التراب الوطني.

فالإعتراف بهذه المبادئ الثلاثة يشكل أرضية للمفاوضات ، لذلك يعرض البيان على السلطات الإستعمارية الفصل فى هذه القضايا حقنا للدماء . وفى المقابل تعترف الثورة الجزائرية بأن النظام الاستعماري أحدث أوضاعا قانونية لا يمكن تجاهلها ، وهذه الأوضاع تتمثل فى:

1 – الحقوق المكتسبة بطريقة شرعية من طرف الافراد والجماعات سواء كانت هذه الحقوق اقتصادية أو ثقافية ، وهو ما عبر عنه البيان بـ " المصالح الفرنسية " ، لكن هذه المصالح لا تشمل بأي حال من الأحوال تلك التي تمس بالسيادة الوطنية ووحدة الأمة ووحدة التراب الوطني.

2 – حق الإختيار بين الجنسية الجزائرية والجنسية الفرنسية بالنسبة للفرنسيين المقيمين فى الجزائر والذين يختارون البقاء فى الجزائر ، وما ينجر عن ذلك من آثار قانونية تحدد حسب القوانين التى ستصدرها الدولة الجزائرية المستقلة.

3 – تكون المصالح والروابط بين الدولتين محل اتفاق بينهما بعد الاستقلال.

هذه بعض الملاحظات حول بيان أول نوفمبر والمسائل القانونية التى يثيرها، وتبقى اسئلة هامة مطروحة حول مدى تطابق الواقع الذى عاشته الثورة فى مسيرتها والنتائج التى آل اليها العمل الثوري والذى توج باستقلال البلاد ، ومدى تطابق كل ذلك مع نص وروح بيان أول نوفمبر الذي يبقى " دستور الثورة الجزائرية " والمعين الذي لا ينضب والذي ستنهل منه الأجيال المبادئ السامية التى دفعت بالشعب الى اعنف مواجهة مع النظام الاستعماري ، فكان النصر حليفه لا لشئ سوى لبسالة أبنائه ولعدالة قضيته.

الهوامش:

1 – نص الرسالة في La conquete de L'Algerie و p. Montagnon ص69–طبقة 1986.

2 – أنظر مجلة "الرؤية" العدد الأول (1996) ص 256 والبطاقة الخاصة بمعلم "سيدي فرج"

3 – لمن يريد التوسع في طبيعة معاهدة تسليم القصبة وخاصة المنشور الموجه الى الشعب الجزائري لتبرير الغزو الفرنسي يراجع كتاب " هابارت : تاريخ يمين كاذبة " باريس 1961

M.HABART: Histoire d'un Parjure . Paris 1961

4 – ذكر لي العقيد بن عودة ان البيان نص على الامبريالية احتراما للخط الذي تبنته الحركة الوطنية في بدايتها.

ملحق

الوثيقة الأولى: معاهدة السلم 1830/7/5

الوثيقة الثانية: بيان أول نوفمبر 1954

الوثيقة – 1

5جويلية 1830– إتفاقية بين القائد العام للجيش الفرنسي وسمو داي الجزائر.

سيتم تسليم حصن القصبة، وكل الحصون التابعة لمدينة الجزائر وميناءها، إلى القوات الفرنسية في هذا الصباح، على الساعة العاشرة (حسب التوقيت الفرنسي)

يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي إزاء سمو داي الجزائر، بالحفاظ على حريته الشخصية وأمواله الخاصة.

للداي الحرية في التوجه، صحبة عائلته وأمواله الخاصة إلى المكان الذي يختاره، وطالما كان موجودا في مدينة الجزائر، سيظل هو وعائلته، تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي، وسنخصص حراسة لضمان سلامته وسلامة أسرته.

يوفر القائد العام لكل جنود الميليشا نفس المزايا ونفس الحماية.

تبقى ممارسة الدين الإسلامي حرة، وتبقى حرية السكان بمختلف طوائفهم، ونحلهم، وممتلكاتهم، وتجارتهم وصناعتهم، مصونة. وسوف يحترم شرف نسائهم.

يتعهد بشرف القائد العام بهذا الشان.

سيتم تبادل هذه الإتفاقية قبل الساعة العاشرة، هذا الصباح وستدخل القوات الفرنسية عقب ذلك فورا القصبة فحصون المدينة والبحر.

بالمخيم، أمام مدينة الجزائر، يوم 5 جويلية 1830

حسين باشا **الكونت دي بورمون**

الوثيقة – 2

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء الشعب الجزائري

هذا هو نص أول نداء وجهته الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني إلى الشعب الجزائري في اول نوفمبر 1954

" أيها الشعب الجزائري.

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية.

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشاننا – نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلين بصفة خاصة– نعلمكم ان غرضنا من نشر هـذا الإعـلان هـو أن نوضـح لكـم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الإسـتقلال الوطنـي في إطار الشمال الإفريقي ورغبتنا أيضا هـو أن نجنبكـم الإلتبـاس الـذي يمكـن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الإنتهازية.

فنحن نعتبر، قبل كل شيء أن الحركة الوطنية– بعد مراحل من الكفاح – قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية – في الواقع– هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعمليـة تحريريـة، فإننـا نعتبـر أن الشعب الجزائري، في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الإستقلال والعمـل، أما في الأوضاع الخارجية فإن الإنفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشـاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الديبلوماسي وخاصة مـن طـرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لهـا دلالتهـا في هـذا الصـدد، فهـي تمثـل بعمـق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا. ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ

مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل. هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

إن كل واحد منها اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة، نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيىء، محرومة من سند الراي العام الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الإستعمار يطير فرحا ظنا منه انه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية.

إن المرحلة خطيرة .أمام هذه الوضعية التي يخشى ان يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها اغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة، ان الوقت قد حان فخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي اوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الإعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الإستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض امام وسائل الكفاح السلمية، أن يمنح أدنى حرية.

ونضن أن هذه الأسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت إسم:

جبهة **التحرير الوطني** هكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الإجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنظم إلى الكفاح التحريري دون ادنى اعتبار آخر.

ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي :

الهدف: الإستقلال الوطني بواسطة :

1 – إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الإجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادىء الإسلامية.

2 – إحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية:

1 – التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

2 – تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الإستعماري.

الأهداف الخارجية:

– تدويل القضية الجزائرية

– تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

– في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.

وسائل الكفاح:

إنسجاما مع المبادىء الثورية، واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في الميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبعيين.

" ن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية ". وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية

وثيقة مشرفة للمناقشة إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها.

1 – الإعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2 – فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على اساس الإعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

3 – خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد المكافحين.

وفي المقابل:

1 – فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو إقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة ستحرم، كذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

2 – جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الإختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بمالهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

3 – تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الإثنتين على أساس المساواة والإحترام المتبادل.

أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة. وواجبك هو أن تنضم إليها الإنقاذ بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك.

أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقين من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك".

فاتح نوفمبر 1954
الأمانة الوطنية

قراءة قانونية للملتقى الوطني الثاني لتدريس التاريخ الوطني بين وزارتي المجاهدين والتربية الوطنية

إن مهمة الدولة في المحافظة على التراث التاريخي وحمايته قانونا تعتبر من بين المهام الموكلة لها بموجب دستور 23 فبراير 1989 الذي أولى للمجال التاريخي أهمية كبرى لإرتباطه بالهوية الوطنية ودوره في ترسيخ سيادة البلاد حيث نص في مادته 115/ 22 على حماية التراث التاريخي والثقافي والمحافظة عليه وقد سبقه في ذلك الدستور وميثاق 76 وأكده ميثاق .86 هذا الإهتمام البالغ الذي يحظى به التاريخ في التشريع الجزائري، استلزم أن يكون له تشريعا خاصا به تطبيقا للمبادئ الدستورية المذكورة أعلاه، منها المرسوم التنفيذي رقم 295/91 المؤرخ في 24 أوت 1991 المحدد لصلاحيات وزير المجاهدين الذي ينص في مادته (2) على أن "يقترح وزير المجاهدين كل التدابير الخاصة للمحافظة على التراث الثقافي والتاريخي المرتبط بحرب التحرير الوطنية وإضفاء القيمة عليه، علاوة على أنه يضطلع بمهام نذكر منها البحث عن الوثائق والمحفوظات والأشياء واسترجاعها ونشرها وتصويرها في أفلام دقيقة" وحرصا من الدولة على ضرورة جمع كل الحقائق التاريخية ونشرها وتدريس قيم ومبادئ الثورة التحريرية المظفرة على مستوى المؤسسات التعليمية

والجامعات للأجيال المتعاقبة وتجسيدا لتوجيهات سيادة رئيس الجمهورية اليمين زروال الذي أكد وألح على هذه المهمة النبيلة في الكلمة التي ألقاها يوم 25 مارس 1995- أثناء لقائه مع ممثلي الملتقى الثاني لترقية تدريس التاريخ الوطني - على ضرورة احتلال تاريخنا المجيد المكانة المرموقة والمستحقة في المدرسة الجزائرية حيث جاء في هذه الكلمة ما يلي:

" نعم يجب أن يحتل تاريخنا الوطني مكانته المرموقة في منظومتنا التربوية المتكلفة بأجيالنا الصاعدة، سواء تعلق الأمر بالآداب أوباللغات أو بالفلسفة أو بأية مادة أخرى من مواد المعرفة."

ويضيف " ***فلا يجب أن يحصر التاريخ في مجرد مادة أو برنامج تعليمي بل يجب أن يحتل التاريخ الوطني بما له من مرجعية وتجارب وثراء مكانة المنبع لكل جهد يسعى إلى ترقية العلم والمعرفة في بلادنا.*** "

وقد عبر برنامج الحكومة عن هذه الإنشغالات ونص عليها (الباب الفرعي السابع: في ميدان الثقافة، البند 428 - ب- بعنوان كتابة تاريخ الكفاح التحرري الوطني ج- حماية وتثمين التراث التاريخي للكفاح التحرري الوطني.(كمحاور للنشاط في ميدان ترقية المعرفة التاريخية وتوسيعها، حتى يحتل التاريخ وخاصة تاريخ الثورة التحريرية المجيدة المكانة اللائقة به، مما يتطلب بذل المجهودات اللازمة والمتمثلة في:

- تنظيم لقاءات وطنية وجهوية وأيام دراسية حول الثورة التحريرية

- إحصاء وطني للوثائق والأشياء والمعالم البارزة وتسجيل شهادات صانعي المآثر بواسطة الوسائل السمعية البصرية.

- الإنطلاق في إنجاز الدلائل وكراسات حول الثورة والحركة الوطنية توجه للتعليم المدرسي.

- تدعيم التنسيق والتشاور بين وزارات المجاهدين والتربية والتعليم والثقافة حول المسائل التي تتعلق بتعليم التاريخ الوطني والبحوث التاريخية حول الحركة الوطنية وثورة نوفمبر المجيدة.

- الإنتهاء من إعداد دليل الأماكن والمعالم التاريخية

كل ذلك من أجل إحداث مرجعية تاريخية تتكفل بها وزارة المجاهدين والوزارات ذات الصلة بالموضوع .

لقد جاء هذا الملتقى الوطني نتيجة إنعدام المرجعية التربوية في تدريس التاريخ الوطني وكذا نقص الإهتمام وتهميش المواضيع الخاصة بالثورة التحريرية .

وبعد مناقشة المشاكل التي تعاني منها المنظومة التربوية واستعراض نقص الوسائل وانعدام الإستراتيجية البيداغوجية، أصبح من الضروري تسليط الضوء على ماضينا المجيد، لذا دونت التوصيات والإقتراحات في تقارير مفصلة لخمس لجان جاء فيها كيفية تقسيم وإدراج تدريس التاريخ الوطني في الطور الأول، الثاني، والثالث من التعليم الأساسي والثانوي وكذا المعاهد التكنولوجية، وقد حاولت كل لجنة من هذه اللجان الخمس من خلال

تقاريرها توضيح الأهداف والمضامين وكذا الوسائل الكفيلة بوضع برنامج ثري يسمح للأستاذ الإلمام بالمادة التاريخية.

- وبعد استعراض التقارير السابق ذكرها ودائما في إطار التعاون والتنسيق بين الوزارات المعنية تقرر ما يلي:

- ضرورة التنسيق بين الوزارات الثلاث: (التربية، المجاهدين، الثقافة والإتصال حول تقديم كل ما يخص بالتاريخ الوطني وفقا للمناهج المقررة في المؤسسات التربوية (التوزيع السنوي للمواضيع)

- تزويد المعاهد من طرف وزارة المجاهدين بالمجلات والخرائط و الصور التي تساعد على تبسيط التاريخ وفهمه.

- التعاون بين المعاهد ومديريات وزارة المجاهدين ومنظمة المجاهدين مع تسهيل الزيارات الميدانية.

- إقتراح أن تكون المصادر والمراجع المتوفرة في متحف المجاهد ووزارتي التربية،المجاهدين، الأرشيف الوطني، المكتبة الوطنية والجامعية مرجعا أساسيا وهي كمادة خام متوفرة.

- تشكيل لجان للبحث خاصة بكل المراحل التعليمية، تبقى هذه اللجان مستمرة في العمل لإخراج كتاب متكامل، بحيث توزع المهام حتى يمكن إنجاز العمل في مدة قصيرة وتوضع لها أجال محددة من الهيئتين الرسميتين (وزارة التربية والمجاهدين) ويكون لهذه اللجان عمل أولي تحضر من خلاله النصوص في شبه كتاب يبدأ العمل به في بداية الموسم الدراسي المقبل، كما

إرتأت اللجنة الخامسة أن تنص ضمن عناصر البحث والتوثيق على تشكيل لجنة رسمية على المستوى المعهد التربوي والمتحف الوطني للمجاهد والمتحف المركزي للجيش باعتبار دور المعهد التربوي الإشراف والتوثيق وهو أيضا القطب الذي يجمع بين الجهات المعنية الثلاث (وزارة التربية وزارة المجاهدين وزارة التعليم العالي) وكذا الإعتماد على المتحف الوطني للمجاهد في توفير الوثيقة والمصدر التاريخي والعمل مع المنظمة الوطنية للمجاهدين ووزارة المجاهدين لطبيعة الإحتكاك المباشر ببعض المجاهدين والتصريحات التي أدلو بها، أكدت اللجنة على إنشاء مركز وطني للدراسات التاريخية يشمل كل التخصصات (ما قبل التاريخ إلى الوقت المعاصر)، كما إقترحت المنظمة الوطنية للمجاهدين إنشاء مركز وطني للتاريخ المعاصر يكون بنكا لتاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية مقره في العاصمة وله فروع في الولايات التاريخية الستة كمرحلة أولى.

وعند إختتام الملتقى خرج المشاركون على أمل تجسيد كل التوصيات ميدانيا نظرا للأهمية التي يكتسيها موضوع المصادر والتوثيق والبحث التربوي في مادة التاريخ الوطني.

قراءة قانونية لبروتوكول إتفاق بين وزارتي المجاهدين والتعليم العالي والبحث العلمي

في إطار التنسيق والتعاون في ميادين البحث والدراسات التاريخية للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بادرت وزارتا المجاهدين والتعليم العالي والبحث العلمي إلى إبرام بروتوكول يوم 6 جويلية 1995 بمقر وزارة المجاهدين وقعه السادة سعيد عبادو وزير المجاهدين وأبو بكر بن بوزيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي.

وبعد تبادل الأراء بينهما حول منهجية العمل وسبل تطبيق وتجسيد محاور برنامج الحكومة أعطى الوزيران التوجيهات لوضع كافة الميكانيزمات التي يسمح بها التشريع المعمول به في ميادين البحث العلمي، وكذا توفير الموارد البشرية ذات الكفاءة والإمكانيات المادية اللازمة حتى يتمكن القطاعان من أداء المهمة التي أبرم من أجلها هذا البروتوكول.

كما أكد الوزيران على ضرورة وضع صيغ للتشاور والتنسيق بين المؤسسات المعنية تسهيلا لعملية البحث من قبل كل من الوزارتين، وفي هذا الصدد صدر قرار وزاري مشترك بين الوزارتين المعنيتين تعين بمقتضاه لجنة متابعة تتشكل من :

- عن وزارة المجاهدين:

* المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

* المتحف الوطني للمجاهد.

* المصالح المختصة التابعة للوزارة نذكر منها: مديرية التراث الثقافي والتاريخي.

- عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:

* الجامعات والمراكز الجامعية.

* المعاهد الوطنية للتعليم العالي والمدارس العليا.

* ديوان المطبوعات الجامعية.

* هيئات ومؤسسات ووحدات البحث العلمي.

لقد إتفق الوزيران على إنشاء فريق عمل للمتابعة توكل إليه مهمة التنسيق بين مصالح الوزارتين لتطبيق بنود البروتوكول وما ورد في برنامج الحكومة فيما يخص التاريخ والثقافة التاريخية .

طباعة : " مطابع الجزائر " 52 شارع أحمد حميدوش الحراش

الهاتف : 83 02 66 (02) - 31 45 66 (02)

86 58 52 (02)

1996 / 09
- الجزائر -

شروط و مقاييس النشر

1 - تستقبل " الرؤية" المقالات والدراسات والابحاث وتنشرها على مسؤولية أصحابها، شرط أن تكون هذه الأعمال، مساهمة فعالة في تطوير وترقية البحث التاريخي الأكاديمي الذي يهدف الى تعميق الروح الوطنية، وكشف تزوير ومغالطات وتشويهات المدرسة الاستعمارية وتصحيح المفاهيم والابتعاد عن التجريح والسب واثارة الضغائن والأحقاد.

2 - الإلتزام بالإطار الزمني الذي حدده المركز كمجال للدراسة والبحث والمتمثل في 1830-1962.

3 - المقال الغير الموافق عليه فإنه يعاد الى صاحبه لإجراء التعديلات المقترحة إن وجدت على ان يعاد الى إدارة التحرير في غضون اسبوع واحد.

4 - أنْ لايكون المقال أو البحث أو الدراسة قد سبق نشرها في مجلات مماثلة.

5 - الأعمال التى تصل " الرؤية" لا ترجع لاصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

6 - يستحسن شرح المصطلحات والاعلام الواردة في المقال وكتابة الأسماء الأجنبية بالحروف اللاتينية.

7 - يشترط في تقديم الرسوم أو الخرائط أو الصور أن تكون واضحة.

8 - تدفع " الرؤية " مكافأة تقديرية لكاتب الاسهامات التى نشرت فيها طبقا للقوانين المعمول بها.

9 - ترسل البحوث والمقالات بإسم مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

63 نهج الانتصار 23 نوفمبر 1836 الأبيار – حديقة الصنوبر –